جامعة الجزائر 2 . أبو القاسم سعد الله
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

هيئة فرسـان التيـوتـون

دورها العسكري وأثرها الحضاري في منطقة حوض البلطيق
من القرن 13 إلى القرن 15 الميلاديين.

The Knights of the Teutonic Order
It's military role and cultural impact in the Baltic region
From the 13th century to the 15th century AD.

من إعداد الطّالبة:
فتحيّة الفروجي

تحت إشـراف:
أ. د./ رشيد تومي

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
عبد العزيز بوكنة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	رئيسا
رشيد تومي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	مشرفا ومقررا
قويدر بشار	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	عضوا مناقشا
زكية كربال	أستاذة محاضرة أ	جامعة الجزائر 2	عضوا مناقشا
فاطمة بوعمامة	أستاذة التعليم العالي	المدرسة العليا للأساتذة	عضوا مناقشا
برق الاغويني	أستاذ محاضر أ	جامعة الجلفة	عضوا مناقشا

السـنـة الجـامـعـية

1442-1443هـ/2021-2022م.

University of Algiers 2 Abu al-Qasim Saadallah
College of Humanities and Social Sciences
Department of History

The Knights of the Teutonic Order
It's military role and cultural impact in the Baltic region
From the 13th century to the 15th century AD.

A dissertation submitted for the degree of Doctorate for Medieval history

Submitted by:
Mrs. Fethia el Ferroudji

Supervised by:
Prof. Toumi Rachid

Board of Examiners

Prof. Abd Al Aziz Boukenna	Chair
Prof. Toumi Rachid	supervisor
Prof. Kouider Bachar	Enternal Examiner
Dr. Zakia Kerbal	Enternal Examiner
Prof. Bouamama Fatima	External Examiner
Dr. Brague Al Iguini	External Examiner

Academic year

2022-2021

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى قرّة عيني أمي حفظها الله.

إلى والدي رعاه الله.

إلى أخي، وإلى زينة الحياة الدّنيا ميـرال وليـليـان.

إلى أستاذي الفاضل تـومي رشيد الذي ذلّل لي صعوبات البحث العلمي ولقنني أصوله.

وإلى الأستاذتين كربال زكيّة وشفيقة عيساني والأستاذ بوكنة عبد العزيز

وإلى كلّ أساتذتي ومن ساندني.

ـ المختصرات ـ

C. H. R. : *The Catholic Historical Review.*

E. H. R. *: The English Historical Review*

I. H. R. *: International History Review*

J. B. S. *: The Journal of Baltic Studies*

J. E. H. *: The Journal of Ecclesiastical History*

J. M. H. *: The Journal of Medieval History*

L. H. S. *: Lithuanian Historical Studies*

P. P. T. S. *: Palestine Pilgrims' Text Society*

P. R. *: Polish Review*

J. G. O.*: Jahrbücher für Geschichte Osteuropas*

مقدمة

مقـــــــدمّة.

إنّ تناول موضوع نشاط هيئة فرسان التيوتون في أوربا، يعني الخوض بالدّراسة في إحدى أهمّ الصفحات في التاريخ الأوربي في أواخر العصور الوسطى لما أحدثته هذه الهيئة من تطوّرات سياسية ودينية وحضارية في منطقة شرقي أوربا الوسطى، كان لها أكبر الأثر على المشهد الإقليمي والواقع الجيو ـ سياسي في عالم البلطيق ردحا من الزّمن.

نشأت هيئة فرسان التيوتون على غرار هيئتي الداوية والاسبتارية في إطار الحروب الصليبية ببلاد الشّام إبّان القرن الثاني عشر الميلادي، لكن على خلاف الدّاوية والاسبتارية اللتين تميّزتا بدورهما الصليبي الفعال في منطقة الشرق الأدنى إلاّ أنّ هيئة التيوتون قد انصرفت أنظارها تلقاء مجال البلطيق حيث تزعّم أعضاؤها وبحماس فياض حركة صليبية وراء نهر الأودر ضدّ القبائل الوثنية الليفونية، البروسية والليتوانية التي شكلت أراضيها امتدادا طبيعيا ومجالا حيويا لمنطقة جرمانيا. وقد اندفع فرسان التيوتون إبّان القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين في حملات توسعية متتالية ومكثفة استهدفت البر السلافي وراء نهري الأودر والفيستولا استكمالا لمشروع استعمار الشّرق أو ما اصطلح عليه تاريخيا باسم"**Ostsiedlung**".

انخرط التنظيم في نشاط يختلف كلية عن مهامه في الأراضي المقدّسة، إذ باتت مهمته تنحصر ظاهريا في تنصير القبائل الوثنية على سواحل البلطيق الجنوبية وكذا حمل لواء الكاثوليكية ومدّ نفوذ البابوية إليها، لكن عند النّظر إلى العوامل الحقيقية التي دفعت بالفرسان التيوتون إلى تغيير حيّز نشاطهم يستشفّ أنّها لم تكن نابعة فقط من نزعة صليبية بقدر ما ارتبطت ـ في معظم الأحيان ـ بأطماع وطموحات توسعية، فضلا عن رغبتهم في إحياء مشروع الأباطرة الألمان الرامي إلى فرض الهيمنة الجرمانية على الجزء الأكبر من أوربا. والسّؤال الذي يطرح نفسه، هو إلى أي مدى نجح فرسان التيوتون في مساعيهم لتنصير القبائل الوثنية وكذا إنجاز تطلعاتهم في مجال البلطيق؟ وما هي أبرز الانعكاسات والآثار التي ترتبت عن وجودهم الذي دام قرابة ثلاثة قرون في المنطقة؟.

الواقع أنّ تنظيم فرسان التيوتون بلغ من القوة والعظمة ما لم تبلغه الدّاوية والاسبتارية عبر تاريخيهما، ذلك أنّه نجح في تأسيس دولة مترامية الأطراف شملت أجزاء واسعة من جنوبي بحر البلطيق في أعقاب تنصير وجرمنة

القبائل البروسية، وبهذا فإنّه وفّق نسبيا في تجسيد مشروع الإمبراطورية الجرمانية المقدسة، لكن الذي يشدّ الانتباه هو أنّ انتصارات فرسان التيوتون كان سببا في تهاوي عظمتهم وسقوطهم، حيث لم يلبث أن أثارت هذه النجاحات مخاوف وقلق دول البلطيق المجاورة لهم، إذ رأت في زحف فرسان التيوتون تهديدا لكيانهم واستقرارهم مما أدّى بهذه القوى وعلى رأسها مملكة بولندا ودوقية ليتوانيا العظمى إلى تشكيل حلف عسكري قوي أجبر هؤلاء الفرسان على المواجهة في عدّة جبهات أسفرت عن تحوّل ميزان الصّراع لصالح الحلف فكان إيذانا بوقوب غسق التنظيم ونهايته.

أسباب اختيار الموضوع.

لاشكّ أنّ للميول الذاتية أثرها الملموس على التّوجه نحو الاهتمام بالتاريخ الأوربي الوسيط لما تتضمنه هذه الحقبة الطويلة ـ حوالي العشرة قرون ـ من أغوار معقدة تجلب الألباب وتثير الفضول، لكن للدّافع العلمي دوره الأساسي في الاستقرار عند هذا الموضوع، ذلك أنّ الدّراسات المتخصصة في التاريخ الأوربي الوسيط عندنا لا تزال محدودة للغاية، حيث توجد مواضيع عديدة في هذا الصدد لم يتم سبر أغوارها والبحث فيها، ويعدّ تاريخ التنظيمات الرهبانية العسكرية من بين هذه المواضيع التي لم تحظ بدراسة علمية جادّة من لدن الباحثين في المشرق والمغرب الإسلاميين، ومعظم الكتابات التي تناولت موضوع الفرسان التيوتون لم تتعد كونها مجرّد دراسات نمطية قائمة على أساس شذرات بسيطة ومعلومات سطحية، وعليه فإنّ هذه الدّراسة تعدّ إحدى المحاولات العلمية القليلة التي تبناها مجال البحث التاريخي بالجامعات العربية الإسلامية

يحتمل أن يكون ارتباط تاريخ فرسان التيوتون بحوض البلطيق أكثر منه بالأراضي المقدّسة سببا كافيا للباحثين المسلمين في الإحجام عن دراسة هذه الجماعة الألمانية في الشرق الأدنى الإسلامي مقارنة بالدّراسات الغزيرة التي حظي بها تنظيما الدّاوية والاسبتارية.

خطّة البحث.

لقد بنيت هذه الرسالة الموسومة بعنوان "**هيئة فرسان التيوتون، دورها العسكري وأثرها الحضاري في منطقة حوض البلطيق من القرن الثّالث عشر إلى القرن الخامس عشر الميلاديّين**" وفق ما تقتضيه الإشكاليات المطروحة على أساس مقدّمة وأربعة فصول وخاتمة.

يحمل الفصل الأوّل عنوان "**هيئة فرسان التيوتون، نشأتها، تنظيماتها ودورها العسكري في الشّرق الأدنى الإسلامي**". وفيه سلطت الضّوء على رحلات الحجّاج الألمان إلى الأراضي المقدّسة وظروف إقامتهم هناك، وذلك بغية تتبّع أمثل لقيام المؤسسات الخيريّة الألمانيّة التي اهتمت برعاية الحجّاج الألمان، كونها النّواة التي انبثق منها التنظيم بشكله العسكري فيما بعد والذي عرف في المصادر التّاريخيّة بـ "مشفى القدّيسة مريم للألمان في بيت المقدس" أو"تنظيم فرسان التيوتون".

وضمن هذا الفصل تعرّضت بالتّفصيل إلى الظّروف التي أحاطت بظهور فرسان التيوتون ببلاد الشّام إبّان الحروب الصليبيّة بالمشرق الإسلامي، وكذا دواعي الجمع بين الجانبين الخيري الإنساني والحربي. كما تناولت فيه كذلك الهيكل الإداري لهيئة فرسان التيوتون، بدءً بالخلفيّات الدّينيّة التي استندت عليها، والنّواميس الدّاخليّة التي كانت تحدّد شروط الانتساب إلى التنظيم والخصائص التي ميّزتها عن نظيرتيها. وأشرت أيضا إلى المهام الحربية المنوطة به.

في الفصل الثّاني الذي يحمل عنوان" **النّشاط العسكري لتنظيم فرسان التيوتون في أراضي بروسيا**" تناولت فيه نشاط فرسان التيوتون في بروسيا. واستهللت هذا الفصل بالتّطرق للأوضاع العامّة السائدة في أقاليم حوض البلطيق الجنوبية قبيل انتقال فرسان التيوتون إلى الأراضي البروسية والليفونية، وركزت خاصّة على نشاط التنظيم في بروسيا والذي تعود بدايته إلى عام 1230م، وعلى الانعكاسات الناجمة عن إقامة كيان قوي لهم هناك.

وجاء الفصل الثالث تحت عنوان "**المواجهة العسكرية بين فرسان التيوتون والتكتل الليتواني . البولندي**"، تناولت فيه طبيعة علاقات التنظيم التيوتوني بالقوى المجاورة وبخاصة دوقية ليتوانيا الكبرى باعتبارها قوّة مؤثّرة في المنطقة، درست فيه كذلك طبيعة العلاقات التيوتونية . البولندية التي سرعان ما انفرط عقد الودّ الذي

طبعها نتيجة لأطماع الطّرفين الجليّة في إقليم بوميراليا"Pomeralia"، مما دفع بدوقية ليتوانيا إلى التّحالف مع مملكة بولندا نتيجة تنامي سطوة الفرسان التيوتون على السّواحل البلطية. ثمّ سلطت الضّوء على الحرب التي اشتعلت بين الطّرفين وأهمّ المعارك التي دارت بينهما لعقود، وفي مقدّمتها معركة تاننبورغ عام 1410م حيث مُني الفرسان خلالها بهزيمة نكراء وشكّلت هذه الهزيمة بداية لتشتت شمل الفرسان وتسرّب الوهن إلى قوّتهم وحيويتهم، وفي آخر الفصل وقفت عند ظروف تقهقر عظمة التنظيم وكيفية فقدان الفرسان لدورهم في منطقة البلطيق.

أمّا في الفصل الرّابع والأخير الذي أعطيته عنوان" **الأثر الحضاري لهيئة فرسان التيوتون بمنطقة حوض البلطيق**"، فقد كشفت فيه عن الدّور الحضاري لتنظيم فرسان التيوتون في منطقة حوض البلطيق، وإسهاماته الكبيرة في تنصير القبائل المحلية الوثنية، وكذا في نقل الثقافة الجرمانية إليها، بينت فيه أيضا فضل الفرسان التيوتون في بروز منطقة شرقي أوربا الوسطى إلى الساحة الدولية إبّان العصور الوسطى، ذلك أنّ مكوّنات تاريخ المنطقة كانت شبه مجهولة قبل القرن الثالث عشر الميلادي، مما يدفع إلى اعتبار مرحلة تواجد الفرسان التيوتون محطّة فارقة ومشرقة بالنسبة لمنطقة البلطيق الجنوبية، ودلّت الشّواهد على الحجم الملحوظ للتحصينات التي شيّدها الفرسان في هذه المنطقة، لكن دون إغفال درجة استغلالها الكثيف لثرواتها.

عرض لأهم مصادر ومراجع الدّراسة.

لمعالجة هذا الموضوع اعتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع الأجنبيّة والعربية التي أفادتني في إنجاز هذه الرسالة، وقد خصّصت هذا الرّكن لعرض بعض المصادر والمراجع الأجنبية فقط نظرا لطبيعة الموضوع:

أ. المصادر الأجنبية:

تنشطر المصادر الأجنبية لهذه الدّراسة إلى مجموعتين أساسيتين، تتعلق المجموعة الأولى بتاريخ تنظيم الفرسان التيوتون في منطقة الشّرق الأدنى، وتتصدرها رواية عن أصل الفرسان التيوتون " **Narrcio de primordiis ordinis Theutonici** " أو "**A narrative on the origin of the Teutonic order**" لمؤلّف مجهول.

تعدّ **الرواية** إحدى أهم المصادر التي تناولت بالتّفصيل تأسيس المشفى الألماني بالقدس، وكذا نشأة تنظيم الفرسان التيوتون بدء بتأسيس المشفى بعكّا ثمّ تحوله إلى تنظيم عسكري في سنة 1198م. يرجّح المؤرّخ الألماني ماكس برلباخ"**Max Perlbach**" أنّ الرواية كتبت في حوالي سنة 1211م، أمّا مواطنه والتر هوبيش "**Walther Hubatsch**" فيذكر أنها دوّنت بين سنتي 1204م و1211م.

من المصادر الأساسيّة التي أفادتني لإنجاز هذا العمل، الأعمال المترجمة للمؤلّف يعقوب الفيتري"**Jacque of Vitry**" (ت.1240م) أسقف مدينة عكّا (1210م)، يحمل مؤلّفه الأوّل عنوان **تاريخ الشّرق**"**Historia Orientalis**" اعتمد فيه الفيتري على المؤلّف وليام الصّوري الشهير ومصادر أخرى يونانية، ترجم هذا الكتاب سعيد البيشاوي إلى اللغة العربية تحت عنوان "**تاريخ بيت المقدس**". ويحظى "**تاريخ الشّرق**" بقيمة هامة تتضح من خلال وصفه لطبوغرافية الأراضي المقدّسة وتناوله لبعض سمات الحياة الاجتماعية هناك. كما تظهر أهميته في كونه أوّل مؤرّخ يشير إلى نشأة المشفى الألماني في القدس، رغم الخلاف الحاصل بين المؤرخين بشأن روايته فيما تعلق بتطوّر المشفى الألماني في القدس والعلاقة بين هذا الأخير وبين مشفى مدينة عكّا إلا أنّ مضمونه يبقى مادة أولية لهذه الدّراسة.

بيد أنّ الحال يختلف بالنسبة لرسائله السبع التي كتبها أثناء تواجده في بلاد الشّام وترجمت أيضا إلى اللغة العربية حيث تضمّنت معلومات تاريخية قيّمة جدّا حول الأحداث الخاصّة بحصار مدينة دمياط المصرية أين كان شاهدا على تفاصيل مجرياتها، وتناولت هذه خطابات دور التّنظيمات الرهبانية في الحملة الصّليبية الخامسة على مصر، غير أنّ ما يعاب على كتابات يعقوب الفيتري أنّه كتب بقلم ناقم عن الإسلام والمسلمين ممّا جعله يغفل دون ريب أحداثا عديدة لا تخدم نظرته المتعصّبة، وهذا شأنها شأن غالبية المؤلفات الغربية المعاصرة لتلك الفترة.

ويليه في الأهمية، كتاب تاريخ دمياط "**Historia Damiatina**" للمؤرّخ أوليفر أوف بادربورن "**Oliver of Paderborn**" المشهور باسم المعلم، وهو الزّعيم الرّوحي للفرقتين الفريزية والألمانية التي بلغت مدينة عكّا في سنة 1217م. ويعدّ أوليفر أوف بادربورن أحد أبرز شهود عيان أحداث الحملة الهنجارية (1217م) والحملة الصّليبية الخامسة اللتين سطع فيهما نجم تنظيم الفرسان التيوتون.

تكمن أهميّة هذا العمل في أنّه نقل المهام التي اضطلعت بها التّنظيمات الرهبانية العسكريّة، ومن الإشارات الهامة التي أوردها هو وجود المقدّم الأوّل للجماعة الألمانية هرمان سالزا"Hermann von Salza" أثناء وصول أندرو الثاني"Andrew II" ملك المجر وقواته إلى مدينة عكّا. فضلا عن مشاركة الفرسان التيوتون في بناء قلعة الحجّاج، بالإضافة إلى معلومات أخرى هي غاية في الأهمية على غرار نجدة الجماعة للدّاوية إثر هجوم الملك الكامل على معسكرها، علاوة على انفراد بادربورن بالإشارة إلى قدوم الأسطول الصليبي الذي اشتمل على إحدى سفن الجماعة الألمانية من جزيرة قبرص إلى مدينة دمياط.

كما تشمل وثائق المجموعة الأولى مصادر لها قيمة تاريخية ملحوظة في هذه الدّراسة وهي، كتاب تاريخ صليبية فريدريك بربروسة"**Historia de expeditione Friderici imperatoris**"، وينسب المؤرّخون هذا العمل إلى رجل دين يرجّح أنّه نمساوي اسمه أنسبرت"**Ansbert**"، يتألف الكتاب من ثلاثة أجزاء تغطي الفترة الممتدة من سنة 1187م إلى سنة 1198م، وبذلك فهو يعتبر مصدرا معاصرا تماما للأحداث التي أحاطت بقيام الحملة الصليبية الثالثة، حيث تناول فيه أنسبرت عمليات التحضير للحملة الصليبية الثالثة وسيرها بالتّفصيل. وقد أفاد هذا العمل في تغطية جزء مهم جدا من الفصل الأوّل.

كما تعدّ حوليات رئيس دير القديس جون في لوبك، آرنولد"**Arnold of Lubeck**" (ت.1214/1211م) التي تحمل اسمه "**The Chronicle of Arnold of Lubeck**" إحدى أبرز مصادر تاريخ ألمانيا في العصور الوسطى وخاصة بداية مشاركتها في الحروب الصليبية، دوّن أرنولد حولياته في حوالي سنة 1210م معتمدا على روايات شفهية لشهود عيان، وهدف من خلالها أن تكون تكملة لما دوّنه قسيس قرية بوسو، هالمولد من بوسو"**Helmold of Bosau**"(1118/1125ـ1177م).

تتألف حوليات أرنولد من لوبك من مقدّمة وسبعة أجزاء تغطي الفترة الممتدة من سنة 1172م و1209م، حيث يغطي في الجزء الأوّل والثاني والخامس أواخر حكم هنري الأسد دوق ساكسونيا وبافاريا ويركز على رحلة حجه وما أحاط بها من أحداث، أمّا الأجزاء الأخرى (الثالث، الرابع، السادس والسابع) فسرد فيها بشيء من التفصيل أحداث الحملة الصليبية الثالثة بالإضافة إلى نشاط الإرساليات التبشيرية في الأراضي الليفـونية.

وتحتوي المجموعة الأولى أيضا على كتاب للمؤرّخ الإنجليزي روجر أوف واندوفر" **Roger of Wendover**"(ت.1236م) بعنوان زهور التاريخ"**Flores Historiarum**" الذي جمع فيه التسلسل الزّمني من بداية الخلق إلى سنة 1235م، واعتمد في ذلك على مؤلفات سابقيه بمن فيهم بده الجليل، جوفري المنموثي. كما تناول روجر الأحداث التي عاصرها منذ 1215م على غرار توقيع وثيقة الماغنا كارتا للملك جون، وأحداث الحملة الصليبية الخامسة على مصر.

أمّا المجموعة الثانية فإنّها تناولت مرحلة تواجد الفرسان التيوتون في شرقي أوربا الوسطى ومحاولاتهم التوسعيّة هذه في المنطقة خلال القرنين الثالث والرابع عشر الميلاديين.

وتعتبر الحوليات البروسية "**Chronicon Prussiae**" لمؤرّخ التنظيم نيكولاس فون جيروشين "**Nicolaus von Jeroschin**" من أهم المصادر التي تناولت تاريخ الفرسان اليتوتون في منطقة البلطيق، ولد هذا الأخير في حوالي سنة 1290م، يرجّح أنه ينحدر من عائلة ألمانية مهاجرة انتقلت إلى الأراضي البروسية في محاولة إعمارها. كان عضوا بالهيئة تحت قيادة جودفريد فون هايموربغ"Gottfried von Heimberg" قائد كونغسبورغ"Königsberg" بين سنتي 1326 و1329م.

والواقع أنّ حولياته تعدّ ترجمة وتنقيحا لحولية الأراضي البروسية"**Chronicon terrae Prussiae**" التي دوّنها قسيس التنظيم بطرس أوف دوسبورغ"**Peter von Dusburg**"** باللغة اللاتينية، وينحدر هذا الأخير من منطقة دوسبورغ في جنوبي وستفاليا بألمانيا، يرجّح أنّه ولد في حوالي سبعينيات القرن الثّالث عشر الميلادي، وتوفي بعد عام 1326م تاريخ انتهائه من تدوين حولياته التي تعد أوّل عمل تاريخي شامل لتنظيم الفرسان التيوتون. اشتملت حوليات الأراضي البروسية على أربعة أجزاء، الأوّل ويقدّم لمحة تاريخية عن نشأة التنظيم استنادا على المصدر الوحيد الذي تناول نشأته وهو "**Narracio de primordiis ordinis Theutonici**" أو "**رواية عن أصل تنظيم الفرسان التيوتون**" والأحداث التي شارك في الفرسان. الجزء الثاني والثالث تطرّق إلى غزو التنظيم لبروسيا، أمّا الرابع فقد خصص لأعمال المقدّم الأوّل وارن رفون أورسلن. وقد كتبت هذه الحوليات عقب انتهاء الحروب الصليبية على بروسيا بناء على طلب المقدّم الأوّل وارن رفون أورسلن" Werner von Orseln" في الفترة الممتدة بين 1326 و1331م.

انطلق جيروشين في إعادة تدوين الحوليات البروسية في ثلاثينيات القرن الرابع عشر الميلادي (1341.1331م) نزولا عند رغبة المقدّم الأوّل لوثر فون برونشويغ"Luther von Braunschweig "(1335.1331م) قام جيروشين بنقل حوليات الأراضي البروسية لدوسبورغ إلى اللغة الألمانية القديمة، ويبدو للوهلة الأولى أنّ ما كتبه جيروشين لا يوازي في أهميته العمل الأصلي، بيد أنّ الواقع غير ذلك، ذلك أنّه تطرّق إلى كثير من النقاط التي تجاهلها دوسبورغ وجاء بروايات تفصيلية تتضمّن وصفا دقيقا لأحداث غزو الفرسان التيوتون لبروسيا مستعينا في ذلك بشهادات أجيال عاصرت عملية الغزو بعد سنة 1250م، كما قدم معلومات وافية عن الفرع الليفوني للتنظيم كهزيمة ديربن"Durben" الشهيرة سنة 1260م.

ترجمت الحوليات البروسية إلى عدّة لغات منها اللغة الإنجليزية تحت عنوان "الحوليات البروسية تاريخ الفرسان التيوتون في بروسيا 1331.1190م" " **Chronicle of Prussia A History of the Teutonic knights in Prussia 1190-1331**" من طرف ماري فيشر"Mary Fischer" ونشرت في سنة 2010.

اعتمدت كذلك في إنجاز هذا البحث على الحوليات الليفونية" **The Chronicle of Henry of Livonia**" لصاحبها هنري من ليفونيا"**Henricus Lettus**"، وقد اختلف المؤرّخون حول تحديد أصوله، حيث يرجّح أنّه ليفوني نشأ في ألمانيا، فيما ذكر رأي آخر أنّه ألماني ولد بسكسونيا في حوالي سنة 1188م وتولى أسقفية ليفونيا وهو الرأي الأقرب إلى الصّواب، رافق هنري الصليبيين إلى ليفونيا في مطلع القرن الثالث عشر الميلادي وشرع في تدوين حولياته بين سنتي 1225م و1227م. تتجلى قيمة الحوليات الليفونية في كون هنري كان شاهد عيان عن أحداث الحملات الصليبية الأولى التي استهدفت الأراضي الليفونية، واقتبست منها معلومات مفصلة عن انتشار المسيحية في منطقة حوض البلطيق وتحديدا في الأراضي الليفونية التي تشمل اليوم ما يسمى بإستونيا وشمالي لاتفيا.

من المصادر التي أفادتني في إنجاز الفصل الثّالث خاصة الشّق المتعلق بعلاقات تنظيم الفرسان اليتوتون بمملكة بولندا وأحداث معركة تاننبورغ الحاسمة سنة 1410م أذكر حوليات مملكة بولندا المشهورة" **Annales seu cronicae incliti Regni Poloniae**" أو حوليات يان دلوغوش" **The Annals of Jan Dlugosz**" للمؤلف يان دلوغوش"**Dlugosz Jan**"(1480.1415م). ويتألّف هذا المصدر الذي شرع

صاحبه في تدوينه سنة 1455م من اثنتي عشر كتابا. نشر العمل كاملا لأوّل مرة في سنتي 1711-1712م في مجلدين حيث غطّت تاريخ المملكة منذ تأسيسها البعيد حتى القرن الخامس عشر الميلادي(1480م) ترجمه إلى اللغة الإنجليزية الكاتب موريس ميشال"**Maurice Michael**" ونشر في سنة 1997م. ويحظى هذا المصنّف بقيمة تاريخية عالية باعتباره أوّل عمل تاريخي كتب بطريقة علمية حيث استمدّت مادته من المصادر الأولية البولندية واللاتينية الأصلية.

وفضلا عن هذه المصادر، شكّلت المراجع الأجنبية المتخصصة هي الأخرى مادة تعدّ غاية في الأهمية لا يمكن الاستغناء عنها، وقد ساعدتني في تغطية جزء كبير من جوانب هذه الدّراسة، ويأتي على رأسها مجموعة مؤلفات المؤرّخ الأمريكي وليام أوربان"**William Urban**" كالحروب الصليبية البلطية" **The Baltic Crusades**" والحروب الصليبية البروسية"**The Prussian Crusades**"، الفرسان التيوتون التاريخ العسكري"**The Teutonic knights A military history**" بالإضافة إلى كتاب: **السنوات الأخيرة للفرسان التيوتون**"**The last years of the Teutonic knights**" وقد أصدر مؤخّرا، ومجموعة أخرى من مقالاته. اعتمدت كذلك على تاريخ الحروب الصليبية الشّمالية "**The Northern Crusades**" لإيريك كريستيانسن"**Eric Christiansen**".

أمّا فيما يخص الدّراسات العربية التي تناولت نشاط الفرسان التيوتون في شرقي أوربا الوسطى، فانحصرت في دراسة واحدة فقط، وهي رسالة ماجيستير للطالب محمد السيّد صديق رشوان الشريف بعنوان "**منظمة الفرسان التيوتون في شرق أوربا دراسة في التاريخ السياسي والعسكري (1226-1466م)**"، وعلى الرغم من كون هذا العمل يعدّ دراسة قيّمة لاعتماده على مجموعة من أهمّ المصادر، إلاّ أنّ الباحث أهمل مراحل عملية إخضاع الفرسان التيوتون للقبائل البروسية التي تعدّ نقطة محورية لبناء دولة التنظيم"Deutschordensstaat" أو "Ordenstaat" وتناولها من بشيء من السّطحية، من جهة أخرى فإنّه ركّز على صراع التنظيم مع دوقية ليتوانيا الكبرى.

وعن الصّعوبات التي اعترضتني أثناء عمليّة إنجاز هذا البحث، فمن البداهة ذكرها، لكونها جزء من مراحل البحث العلمي الشّاق، لكن العائق الأكبر تمثّل في السّعي وراء المادّة العلمية المتعلقة بهذا الموضوع، بالإضافة إلى

القراءة الطويلة والمتأنية للمادة التاريخية الأجنبيّة المرتبطة به، بالزمان والمكان، وعانيت أكثر من مهمّة ترجمتها إلى اللّغة العربيّة السّليمة وهو ما تطلّب مني وقتا وجهدا إضافيين وذلك هو طبيعة البحث العلميّ الأكاديميّ. ومن حسن حظي أنني استفدت من رحلة علمية إلى تركيا كطالبة ممنوحة استطعت من خلالها جمع جزء ولو يسير من المادة العلمية.

وفي الختام، أتقدّم بالشّكر والامتنان الجزيلين إلى الأستاذ المشرف السّيّد **تومي رشيد** الذي واكب مراحل إنجاز هذا البحث، وأفادني بإرشاداته وتوجيهاته القيّمة، وله أدين بالفضل الكبير في تحقيق هذا الإنجاز العلمي. كما أتوجّه بالشّكر المماثل إلى الأستاذة زكيّة كربال التي لم تبخل عليّ بملاحظاتها السّديدة، والشّكر والتّقدير موصولين أيضا إلى الأستاذ والمؤرّخ وليام أوربان الذي أمدّني بعدد قيّم من أبحاثه. ولا يفوتني أيضا أن أوجّه امتناني العميق إلى كلّ أساتذتي في قسم التاريخ بجامعة الجزائر 2 وعلى رأسهم الأستاذ عبد العزيز بوكنة والأستاذة عيساني شفيقة جزاهم الله عنا جميعا خيرا وهو لا يضيع أجر المحسنين.

الفصل الأوّل

الفصل الأوّل

I- الأصول التّاريخية للتنظيمات الرّهبانية العسكرية:

1- حركة الحجّ المسيحي إلى الأراضي المقدّسة.

2- من العمل الخيري إلى فكرة تأسيس تنظيمات رهبانية عسكريّة.

II- نشأة تنظيم فرسان التيوتون في الأراضي المقدّسة.

1- الحجّاج الألمان في الأراضي المقدّسة.

2- الحملة الصّليبيّة الثّالثة وظروف قيام المشفى الألماني بعكّا.

3- نشاط الجماعة الألمانية في بلاد الشّام قبل سنة 1198م.

III- الهيكل الإداري لتنظيم فرسان التيوتون في بلاد الشّام.

1- قوانين هيئة فرسان التيوتون وتنظيمها الدّاخلي.

2- الجهاز الإداري لهيئة فرسان التيوتون.

IV- الدّور العسكري لهيئة فرسان التيوتون في الشّرق الأدنى الإسلامي.

1- الحملة الصّليبيّة الخامسة على مصر ودور فرسان التيوتون في حصار مدينة دمياط.

2- معركة غزّة الثانية 1244م (لافوربي" La Forbie ").

I. الأصول التّاريخيّة للتنظيمات الرهبانية العسكريّة.

1. حركة الحجّ المسيحي إلى الأراضي المقدّسة*.

ظلت الأراضي المقدّسة في فلسطين منذ القرون الأولى لظهور المسيحية مزارا مفضّلا للمسيحيين برمتهم. جدير القول أنّ ما ميّز هذه الفترة، الحجّ الفردي الذي من خلاله قام عدد من الرجال وحتى النساء الذين كان لهم إسهام بارز في الحقل الدّيني كالقديسة سيلفيا الأكيتانية"Silvia of Aquitania"(385م) أركولف"Arculfus"(670م) وبرنارد الحكيم"Bernard the Wise"(870م)، والقادمين من مختلف جهات الغرب الأوربي بالسير نحو الشّرق أملا في الوقوف على آثار "المخلص" تبركا وتيمنا به[1]. ومع مرور الوقت، تطوّر مدلول حركة الحجّ ليتّخذ طابعا طقوسيا محضا تمثّل في التوبة التي يبديها المسيحي عبر واسطة الهيئة الدينية المخولة لذلك، وبحلول القرن العاشر الميلادي أضحى ركن الحجّ يشغل مكانة هامة في الأدبيات الكنسيّة وأصبح مرادفا للتوبة التي تعدّ أحد أبرز الأسس التي تقوم عليها الدّيانة المسيحية الصحيحة[2].

وبحلول القــرن الحادي عشر الميلادي، انحرف الحجّ عن مفهــومه السلمي المحض، ليتخذ طابعا عدائيا مسلحا، وقد تجسد في سير أعداد هائلة من المسيحيين سواء من نبلاء القوم أو من بسطائهم باتّجاه الأراضي المقدّسة سعيا وراء التوبة، لكن هذه المــرّة بدفع ضريبة الدم[3] في إطار الحـــرب التي اشتعلت أوزارها بين

---

(1) انظر: Runciman Steven, The pilgrimage to Palestine before 1095, In Kenneth Setton and other, A history of the Crusades,Vol.1, 2ND Edition ,the University of Wisconsin press, 1969, PP. 68-78; The Palestine pilgrims' text Society, Trans. By James Rose Macpherson, Vol.3, 1889.

أمّا أوّل رحلة حجّ إلى الأراضي المقدّسة فقد دونت من طرف أحد رهبان مدينة بوردو الواقعة جنوبي غرب فرنسا في سنة 333م.

(2) قاسم عبده قاسم، الخلفيّة الإيديولوجيّة للحروب الصّليبيّة دراسة عن الحملة الأولى 1095.1099م، عين للدّراسات والبحوث الانسانيّة والاجتماعيّة، الطّبعة 1، 1999م، ص31؛ رانسيمان ستيفن، تاريخ الحملات الصليبية، ج.1، تر. نور الدّين خليل، ط.2، الهيئة المصرية للكتاب، ص ص 94-100.

(3) انظر: Geoffrey Hindldley, The Crusades: A history of armed pilgrimage and holy war, Constable Pub., London, 1ST, 2003; Riley-Smith Jonathan, The first crusade and the idea of crusading, 1ST pub., Continuum publisher, 2003, P.22-23 ; Jonathan Phillips, The crusades 1095-1197, 1st pub., G.B., 2002, P.15.

ذهب رايلي سميث وغيره من المؤرخين المتخصصين في الشّأن الصليبي إلى حدّ اعتبروا فيه "الحجّ" بمثابة الرحم الذي خرجت منه الحركة الصليبية، وفي ذات السياق ذهب المؤرخ الرّوسي ميخائيل زابوروف إلى أبعد من ذلك في قوله بأنّ حركة الحجّ تعدّ بمثابة المنظّر للحروب الصليبية. لمزيد من التّفاصيل ارجع إلى: الصليبيون في الشرق، تر. إلياس شاهين، دار التقدم، موسكو، ص24.

*: يعدّ الحجّ شعيرة مستحدثة في العقيدة المسيحية، أساسها الحنين إلى الأرض التي ولد ونشأ بها عيسى عليه السّلام، والتي يعد رمزا مقدّسا عند المسيحيين. وكان للمسيحيين إضافة إلى بيت المقدس مزارات أخرى على غرار ضريح القديس بطرس"ST Peter " بروما والقديس يوحنا" ST John" بسانتياغو دي كومبوستيلا"Santiago de Compostilla" بإسبانيا، ومزار القديس ميخائيل"Micheal" في مونت جارجانو" Mont Gargano" بإيطاليا ومزارات أخرى عديدة. ارجع إلى: Webb Dianan, Medieval European pilgrimage 700-1500, 1st pub., Palgrave Edition, 2002 .

المسيحيين والمسلمين وهو ما اصطلح على تسميته في التاريخ الوسيط بـ "الحروب الصليبية"*.

2. من العمل الخيري إلى فكرة تأسيس تنظيمات رهبانية عسكرية.

إنّ الأجواء السياسيّة المتوتّرة في الشرق الأدنى الإسلامي وانعكاساتها السلبيّة على طريق الحجّ قد أوقع الحجاج اللاتين في وضعية عالية الخطورة، إذ كان عليهم مكابدتها منذ انطلاقهم من بلادهم إلى بلوغهم الأراضي المقدسة، لكن لم تلبث أن جلبت لهم هذه الوضعية عطف رجال الدين والنبلاء على السواء مما جعل هؤلاء يسعون دون هوادة في سبيل تذليل العقبات التي بات يتجشمها إخوانهم في الدين(1).

شكّل الدّير أوّل مؤسسة تعنى براحة الحجاج المسيحيين وتضطلع بشؤونهم خلال إقامتهم ببيت المقدس، وفي النّصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي تدعّمت هذه الجهود الخيرية بتشييد أوّل مشفى ميداني في محيط بيت المقدس على يد بعض التّجار الإيطاليين من مدينة أمالفي"Amalfi"**(2). وكان الهدف من تأسيس المشفى بالدّرجة الأولى هو استقبال الجرحى والمرضى والفقراء الوافدين من غرب أوربا تحديدا. وقد اشتهر هذا الأخير في المصادر التاريخية، باسم مشفى القديس يوحنا المتصدّق"John the

---

(1) انظر: Woodhouse F.C., The military religious orders of the middle The ages Hospitallers The Templars The Teutonic knights and others,London,1879, P.20.

(2) وجد عدد من الأديرة منذ العهد البيزنطي في محيط بيت المقدس، ورغم أنّ معظمها قد أوصدت أبوابها أثناء الغزوات السّاسانيّة الإيرانية. إلاّ أنّ بعضها بقي ينشط في ظلّ السّيادة الإسلاميّة ويقدّم خدماته للحجّاج القاصدين ضريح المسيح عيسى عليه السلام، وتجدر الإشارة إلى بأنّ المشفى الذي شيّد على يد الأمالفيين لم يكن الأوّل من نوعه في بيت المقدس، بل هو امتداد للمشفى أو الملجأ الذي شيّده البابا جريجوري الأوّل العظيم في 632م وجدّده الإمبراطور شارلمان"Charlemagne"(768.814م) فيما بعد. لمزيد من التّفاصيل حول تاريخ الأديرة في الأراضي المقدّسة ارجع إلى: Itamar Taxel, From prosperity to survival : Rural monastries in Palestine in the transition from Byzantine to Muslim rule(Seventh century AD), In Transition Mobility and Change in Prehistory and Classical Antiquity, Proceedings of the graduate Archaeology organization conference on the Fourth and fifth of April 2008 at Hertford College, Oxford, U.K., Edited by Paul R. Preston and others, Lithoscapes, 2013, PP.145-151.

*: يرجع ظهور المصطلح إلى سبعينيات القرن السابع عشر الميلادي وتحديدا إلى سنة 1675م في فرنسا التي انطلقت منها الحروب الصّليبيّة، ويعدّ مؤرّخ البلاط لويس مامبور أوّل من استخدمه على للدّلالة على سلسلة الحروب (ثمانية حروب) التي قادها الغرب الأوربي على الشّرق الأدنى الإسلامي في الفترة الممتدة بين القرنين الحادي عشر والثّالث عشر الميلاديين بهدف استرجاع الأراضي المقدّسة. وإن كان مصطلح الحروب الصليبية يرتبط على مدى عقود بالمدرسة التقليدية، فإنّ المصطلح اتّسع ليشمل لدى أنصار المدرسة الحديثة كل حرب شنتها الكنيسة الكاثوليكية على أعدائها. لمزيد من التّفاصيل ارجع إلى: زابوروف، المرجع السابق، ص 14، انظر أيضا: Andrew A. Latham, Theorizing medieval geopolitics war and world order in the age of the crusades, Routledge, 1st Pub., U.K., 2012, PP.20, 121-122.

**: تقع مدينة أمالفي"Amalfi" في إقليم كامبانيا"Campania"بجنوب إيطاليا، نمت المدينة منذ القرن الرّابع الميلادي وتطوّرت لتصبح جمهوريّة مستقلّة عن نابولي منذ القرن التّاسع الميلادي، وفي منتصف القرن الموالي برزت في شكل دوقيّة قويّة تنافس القوى التجارية الكبرى في المتوسط على غرار جنوة"Genoa"، بيزا"Piza" والبندقيّة"Venice"؛ وقد قدّر للبيزيين الاستيلاء عليها إبّان القرن الثّاني عشر الميلادي، لمزيد من التّفاصيل ارجع إلى: W.G.Moore, The penguin Encyclopedia of places, Penguin books, 2nd edition, 1978, G.B., P.32.

Almsgiver "*[1].

وفي أعقاب سقوط بيت المقدس مع نهاية القرن الحادي عشر الميلادي، وترسيخ دعائم الإمارات الصليبيّة على سواحل بلاد الشام** وسط محيط إسلامي معاد ومهدد لهذه الكيانات، فإنّ فكرة الدّفاع عن الحجّاج اللاتين وتأمين الطّرق العامّة في بلاد الشّام لاقت تأييدا واسعا في أوساط الفرسان المتدينين في الغرب الأوربي الذين لم يلبثوا أن قرّروا تكوين جماعات وهيئات تحمل في طيّاتها عزيمة لا تلين وحماسا منقطع النّظير، وذلك من أجل تحقيق العمل الخيري في أبعد معانيه والمنبثق من روح مسيحية فيّاضة [2].

على أنّ نشاطات هؤلاء الفرسان المتدينين سرعان ما ارتفعت وتيرتها وباتت مهمتهم في الأراضي المقدسة تستوجب، ليس مضاعفة الجهود فحسب، بل مواكبة التطوّرات العسكرية الحاصلة في بلاد الشام، وهذا بعد أن ألقى الطابع العسكري الذي ميّز المجتمع الصليبي الناشئ بضلاله على عمل الجماعات التي اضطرت إلى الانتقال من نمط الحياة الديرية إلى نمط الحياة العسكري، ومن هيئات خيرية إلى تنظيمات حربية، محدثة بذلك نقطة تحوّل كبرى في تاريخ الكنيسة، وكذا نقلة نوعية في طبيعة السلوك الديني الديري وقتذاك[3].

وفي هذا الصدد، يقدّم المؤرّخ البريطاني روبرت بارتلات"Robert Bartlett" وصفا دقيقا لما يمكن اعتباره أرضيّة هيّأت لظهور تنظيمات أو بالأحرى جماعات صليبيّة رأبت الهوّة بين الرّاهب والمحارب، وجمعت

---

(1) انظر: Jonathan Riley-Smith, The knights Hospitaller in the Lavent 1070-1309, 1st pub., Palgrave, Macmillan, 2012, P.16-17; David Nicolle, Knights Hospitallers 1100-1306, In Warriors, Vol.33, Ospray pub., 1st pub., 2001, p.3-5.

(2) يوشع براور، الاستيطان الصليبي في فلسطين مملكة بيت المقدس، تر. عبد الحافظ البنا، ط.1، عين للدارسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، 2001، ص311.

(3) انظر: Michael Walsh, Warriors of the lord the military orders of Christendom,1st pub., William B. Ferdmands pub., U.K., 2003, P.7 ; Nicholas Morton, The medieval military orders 1120-1314, Routledge Pub., London NewYork, 2014, P.10.

يشير المؤرخ نيكولاس مورتون أنّ هذا التّطور كان مزعجا للغاية، ذلك أنّ مهام الرهبانية الديرية كانت تتمحور حول الكفاح الروحي ضدّ الشّر من خلال الصلاة والورع بعيدا عن المعارك، ويستدلّ بمحاولة الراهب الانجليزي سيرن"Cerne" المشاركة في الحملة الصليبية الأولى وتلقيه رفضا قاطعا من طرف رئيس أساقفة كانتربوري"Canterbury" أنذاك.

*: (560-617م) ولد في أماثوس"Amathus" بجزيرة قبرص، ينتمي للكنيسة الأرثوذكسيّة، تولّى منصب بطريرك الاسكندريّة بين سنتي 606 و616م. اشتهر بوحنّا بتقواه وإحسانه فنذر نفسه لتقديم يد العون للحجّاج القاصدين الأراضي المقدّسة ونال بموجبه لقب المتصدّق. أخذت هيئة الاسبتارية اسمه كرمز للأعمال الخيريّة قام بها ارجع إلى: محمّد سهيل طقوش، تاريخ الحروب الصّليبيّة حروب الفرنجة في المشرق (489-690هـ/1096-1291م)، دار النّفائس، ط.1، 2011م، ص ص 240-241.

**: أسس الصليبيون على السّاحل الشّامي أربعة إمارات لاتينية وهي: كونتية الرّها(1098م)، إمارة أنطاكية(1098م)، مملكة بيت المقدس(1099م)، كونتية طرابلس(1109م).

بين الحياة الدّينيّة والأساليب الحربيّة في آن واحد، رغم كونهما نقيضين لا يجتمعان في إطار التّقاليد الكاثوليكيّة[1]. ومن خلال إشارة المؤرّخين مالكولم باربر"Malcolm Barber" وبارتلات وآخرون إلى طبيعة الفارس والراهب إبّان القرن الحادي عشر الميلادي؛ يمكن القول أنّه تمّ دمج وتطوير تصوّري الرّهبنة والفروسيّة وصياغتها في مفهوم جديد انبثقت عنه "**الفروسية الجديدة**" وأصبح اسم الفارس المسيحي أو "Miles Christi" مرتبطا، ليس بالمسيحية، بل بالكنيسة على وجه الخصوص[2].

الحقيقة، أنّ تبلور فكرة "الفروسيّة الدّينيّة" أو "الفروسية الجديدة" كان سيخدم سياسة الكنيسة ضدّ منافسيها العلمانيّين وأعدائها وفق ما أشار إليه في وقت مبكّر الفارس جوفري من شارني" Geoffroi de Charny"** الذي رأى في الكهنوتيّة والفروسيّة تنظيمين تابعين للكنيسة[3] التي نجحت في تصريف طاقات جموع الفرسان خارج أوربا ليصبحوا اليد الضاربة لها، ليس في حماية الحجّاج ومقارعة المسلمين فقط، بل أيضا في منافسة الأمراء العلمانيّين وتأسيس كيانات صليبيّة في الأراضي المقدّسة تتبع الكنيسة الكاثوليكية[4].

---

(1) انظر: Robert Bartlett, The making of Europe conquest colonization and cultural change 950-1350, Penguin Books Pub., 1994, P.264; ; Richard W. Kaeuper, Holy warriors the religious ideology of chivalry University of Pennsylvania Press, U.S.A., 2009, P.120.

لكن مع اعتلاء البابا جريجوري السابع(1073.1085م) الكرسي الرسولي وحاجة الكنيسة إلى الحماية، خاصة في ظلّ مشروعها القاضي بتوسيع نطاق هيمنتها على السلطة الزمنية، فإنّه أفسح المجال للحديث عمّا أطلق عليه بول كراوفورد"Paul Crawford" التّطرّف الدّيني، ذلك أنّه أعفى رجال الدين الذين حملوا السلاح من العقاب وكان مهتما بدعم الفرسان الراغبين في خدمة الكنيسة وقضاياها المقدّسة. ارجع إلى: Paul F. Crawford, Gregory VII and the idea of a military religious order, In Deed done beyond the sea essay on William of tyre cyprus and the military orders presented to Peter Edbury, Ed. By Susan B. Edgington and Helen J. Nicholson, Routledge, 2016, PP.172-173.

(2) انظر: Malcolm Barber, The new knighthood A history of the order of the Templar, Cambridge University Press, 1994, PP.40-41 ; Bartlett , Op.Cit., P.264 ; Crawford,Op.Cit., PP.174-176.

وكان الرّاهب السيسترسياني برنارد من كلارفو"Bernard of clairvaux"(1090.1153م) أوّل مع صاغ تصوّرا واضحا لمفهوم الفروسية الجديدة التي انبثقت عنها فكرة التنظيمات الرهبانية العسكرية وذلك في كتابه المسمى **في تمجيد الفروسية الجديدة**" In the praise of new knighthood". والواقع أنّ أفكار برنارد من كليرفو حول ضرورة وضع الفروسية في قالب ديني يخدم توجّهات الكنيسة لم تكن إلاّ صياغة لرؤية البابا جريجوري السابع، ويرى المؤرخون وعلى رأسهم كارل إيردمان"Carl Erdmann"، مالكولم بربار وبول كراوفورد أنّ البابا جريجوري السابع كان المسؤول الأوّل عن فكرة تأسيس جماعات مقاتلة رهبانية. لمزيد من التّفاصيل حول الموضوع ارجع إلى: Carl Erdmann, The origin of the idea of Crusade, Trans. By Marshall W. Baldwin, Princeton University Press,1977, PP.202-207; Barber, Op.Cit., PP.38-40; Crawford,Op.Cit., PP.174-176.

(3) انظر: Geoffroi De Charny, A knight's own book of chivalry, Intro. By Richard W. Kaeuper Trans. By Elspeth Kennedy, University of Pennsylvania Press, 2005, PP.94-102.

(4): قاسم عبده قاسم، الخلفيّة الإيديولوجيّة للحروب الصّليبيّة دراسة عن الحملة الأولى 1095.1099م، عين للدّراسات والبحوث الانسانيّة والاجتماعيّة، الطّبعة 1، 1999م، ص101؛ زابوروف، المرجع السابق، ص 161.

*: (1306.1356م)، فارس فرنسي اشتهر بكونه أفضل فرسان عصره وقد عايش في شبابه أحداث حرب المائة عام بين فرنسا وإنجلترا توفي في معركة بواتييه"Poitiers" سنة 1356م تحت سيوف الغاسكون والإنجليز، يتمحور كتابه المسمى كتاب الفارس الخاص بالفروسيّة " A knight's own book of chivalry" حول مفهوم الفارس والفروسية وطبيعة العلاقة بين الفارس والرب. ارجع إلى: Geoffroide Charny, Op.Cit.,

كانت الحروب الصّليبيّة في الشرق الأدنى الإسلامي مجالا خصبا للفرسان المسيحيين الذين لم يبخلوا بجهودهم في سبيل مساعدة الصليبيين وحماية الحجاج المستضعفين من أبناء عقيدتهم والدّفاع عن الدين والكنيسة بالدّرجة الأولى، وعلى هذا الأساس بزغت فكرة تأسيس ربط أقسم هؤلاء في ظلّها على النذر الديرية الثلاث، وهي العفة، الفقر والطاعة مدى الحياة، ناهيك عن تعهدهم بخدمة الرب وقتال أعدائه، وكانت المكافأة الموعودة هي الاغتسال من الخطايا والأوزار(1).

من الجليّ أنّ قيام التّنظيمات الرّهبانيّة العسكريّة جاء تلبيّة لحاجات الحجّاج المسيحيّين الضرورية وفق ما تقتضيه مبادئ الفارس الحقيقي من جهة، وهذا أمر منطقيّ إلى حدّ بعيد، غير أنّه ليس من المستبعد أن يكون هذا مجرّد غطاء لتبرير وجودها، وأنّ ظهورها نجم منذ البداية عن رغبة ملحّة في التّخفيف من وطأة معاناة الجيوش الصّليبيّة وإسنادها فضلا عن حماية الكيانات اللاتينيّة في بلاد الشام، كما كان تعويضا للنّقص الفادح في عدد الفرسان الصّليبيّين الذي كانت المملكة اللاتينيّة الفتيّة في حاجة ماسّة إليهم، إذ لا نغفل أنّ اهتمامات هذه الهيئات الرّهبانيّة العسكريّة كانت نابعة من المتطلبات الماسة لجموع الصّليبيّين(2).

ومهما يكن من أمر هذه التطوّرات، فإنّ هذه الجماعات برزت خلال الرّبع الأوّل من القرن الثّاني عشر الميلادي متخذة شكلا عسكريا منافيا لطابعها الإنساني المعهود ألا وهو تقديم المساعدة والعناية للحجّاج اللاتين. وعلى الرغم من أنّ هذه التنظيمات الرّهبانيّة بقيت محافظة على أهدافها التي وجدت من أجلها، إلاّ أنّ حماية تخوم الكيانات الصليبية ومقارعة الجيوش الإسلاميّة والتّصدّي لها أضحت غايتها السّامية(3)، ودلّت الأحداث على طغيان الجانب العسكريّ على العمل الخيري، الذي غيّب أحيانا لدى الدّارسين وصار مفهوم التنظيمات الرّهبانيّة لديهم مرتبطا بشكل مباشر بميدان الحرب والمعارك.

---

(1) انظر: Desmond Seward, The Monks of war .The military religious orders, 1ST Pub., Penguin group, 1972, P.17; Morton, Op.Cit., P.6.

(2) انظر: Alan J. Forey, The emergence of the military order in the twelfth century, **J. E. H**., Vol.36, Issue 2, 1958, P P. 175-177 ; Morton, Op.Cit.,P.12.

الملفت للانتباه أنّ تأسيس هيئة فرسان الهيكل جاء في وقت كانت فيه حاجة الممالك الصليبية ملحة جدّا إلى الإمدادات والتعزيزات العسكرية، كما أنّ هزيمة إمارة أنطاكية في معركة حقل الدم سنة 1119م عقّدت من وضعية الصليبيين وزادت أعبائهم العسكرية، وفي ذات السياق، يذكر المؤرخ نيكولاس مورتون أنّه لم يكن ببيت المقدس خلال هذه الفترة سوى حوالي مائتي فارس وسبعمائة من المشاة. لمزيد من التّفاصيل حول الموضوع ارجع إلى: Morton, Op.Cit.,P.12.

(3) انظر: Anthony Luttrell, The Hospitallers' medical tradition: 1291-1530, In The military orders fighting for faith and caring for the sick, Ed. By Malcolm Barber, Routledge, 2016, PP.64-66.

وفي سياق متّصل، وجب التّأكيد على أنّ هذه الجماعات التي نشأت في الأراضي المقدّسة لم تنقطع عن تقديم خدماتها الإنسانيّة للحجّاج المسيحيّين، سواء في بلاد الشّام أو عقب انتقالها إلى ربوع أوربا؛ ويستشف ذلك، من خلال قوانين هذه التّنظيمات، وخاصّة تلك التي اعتمدت على المبادئ والقواعد الأوغستينيّة* التي تجيز للنّساء المسيحيّات الانخراط في صفوفها(1)، كما يمكن أن إبراز ذلك عن طريق المنشآت المخصّصة لمعالجة الجرحى الصّليبيّن والحجّاج المرضى، كما جاء في رحلة يوحنا من فورزبورغ"John of Wurzburg"** الذي قدّم وصفا دقيقا حول عمل إحدى المستشفيات التّابعة لهيئة الإسبتاريّة التي كانت قد اتخذت طابعها العسكري بحلول ستيّنيّات القرن الثّاني عشر الميلادي(2).

وعلى أرض فلسطين نشأت أهمّ ثلاثة تنظيمات كاثوليكيّة حملت على عاتقها مهمّة الذود عن الوجود الصليبي من خطر القوى الإسلامية في منطقة الشرق الأدنى الإسلامي. وتعدّ الدّاويّة أو فرسان المعبد "Templars"*** أوّل جماعة سارت في هذا النهج(3)، وضع نواتها تسعة من الفرسان يتقدمهم هوغو دي

---

(1) انظر: Myra Miranda Bom, Women in the military orders of the crusades, Palgrave-Macmillan Pub., 1st pub., 2012, P.41-42; Myra Struckmeyer, Female hospitallers in the twelfth and thirteenth centuries, Doctoral thesis (Pub.), University of North Carolina, 2006, PP.121-123.

(2) انظر: John of Wurzburg, Description of the holy land, Trans. By Aubrey Stewart and others, In **P. P. T. S** London, 1890, P.44.

لمزيد من التفاصيل حول عسكرة هيئة الإسبتاريّة ارجع إلى: مصطفى محمّد الحنّاوي، عصر الحروب الصّليبيّة الفرسان الإسبتاريّة ودورهم في الصّراع الصّليبي الإسلامي، مكتبة الرّشد ومكتبة المهتدين، 2004، ص ص 142-150.

(3) انظر: William of Tyre, A History of Deeds done beyond the sea Trans. By Emily Atwater Babcock and A. C. Krey, Columbia university press, 1943, P.524-525; Desmond Seward, Op.Cit., PP.30-32.

*: القواعد الأوغسطينية: نسبة إلى قواعد القديس أوغسطين(354-430م) وتعليماته الإثني عشر التي اعتبرت بمثابة أسس قامت عليها التّنظيمات الرهبانية، ومن أهمها، الوحدة والانسجام، رعاية واحترام الفرد، نكران الذات، التّواضع، المصلحة العامة، الطّاعة المطلقة. لمزيد من التّفاصيل حول تعليماته ارجع إلى:- George Lawless, Augustine of Hippo and his monastic rule, Clarendon press , 1987, PP.75-103.

**: هو قسيس من مدينة فورزبورغ الألمانيّة، وعلى الأرجح أنّه سار في رحلة حجّ إلى الأراضي المقدّسة في أواخر القرن الثّاني عشر الميلادي خلال توطيد أركان المملكة اللاتينية هناك بما أنّ اغلب المؤرّخين يتّفقون على أنّه دوّن مشاهداته في القرن الثالث عشر الميلادي. حول سيرة يوحنا من فورزبورغ ارجع إلى مقدّمة المترجم أوبراي ستيوارت" Aubrey Stewart" في كتاب يوحنا من فورزبزرغ "Description of the holy land".

***: أو الدّيويّة كما وردت في بعض المصادر العربيّة على غرار النّجوم الزّاهرة لأبي المحاسن ج6، الرّوضتين لأبي شامه ج1، والسّلوك للمقريزي ج1، أوّل وأشهر تنظيم جمع بين الطّابعين الحربي والخيري، نشأ في 1118م على يد تسعة فرسان فرنسيين اتّخذوا من معبد سيّدنا سليمان بن داوود مقرا لهم فانتسبوا له، وأطلق عليه لقب الفرسان الفقراء أتباع السيّد المسيح، تمّ الاعتراف بالتنظيم من طرف الكنيسة في مجمع تروي"Troyes" بفرنسا في حوالي 1128م. لمزيد من التّفاصيل حول نشأة التّنظيم أرجع إلى: إبراهيم خميس إبراهيم سلامة، دراسات في تاريخ الحروب الصّليبيّة جماعة الفرسان الدّاوية، دار المعرفة الجامعيّة، 2002، ص ص 46-72، انظر أيضا: Karol Polejowski, Andrew de Baudement and the early years of the Templars in Champagne, In Military religious orders The Templars the rise fall and the legacy of a military religious order, Ed. By Jochen Burgtorf and others, 1ST Pub., Routledge, 2021, PP.3-4; Malcolm Barber, Op.Cit., PP.7-17.

باينز"Hugh de Payens"*. وعلى عكس التّنظيمات الأخرى، فإنّ هيئة الدّاويّة قد اضطلعت منذ بداية نشأتها بالمهام العسكريّة حتى تطوّرت وصارت رأس حربة الجيوش الصليبية والقوّة الضّاربة لها في بلاد الشّام، وتميّزت بكيانها المستقل الذي لا يأتمر إلاّ بأوامر البابوية(1).

بالإضافة إلى جماعة الدّاوية التي أدّت دورا بارزا في مقارعة الجيوش الإسلاميّة في بلاد الشّام، فإنّ مشفى الإسبتاريّة الذي حوّل نشاطه من المجال الخيريّ إلى ساحات القتال، ونظرا لالتزام وشجاعة رجالها شكّلت الهيئة شوكة في جنب القوى الإسلاميّة. أما جماعة الفرسان التيوتون موضوع هذا البحث، فقد ساد الافتراض أنّها جمعت منذ قيامها بين الجانبين الخيري والعسكريّ، ومن خلال هذه الدّراسة سنحاول تبيان حقيقة هذه الفرضيّة من عدمها.

الواقع أنّ هذه التنظيمات لم تكن الوحيدة التي نشأت في بلاد الشّام إبّان فترة الحروب الصّليبيّة، حيث لاقت هذه الإيديولوجية الجديدة قبولا في أوساط بعض الرّبط الخيريّة التي سرعان ما غيّرت وجهة نشاطها على غرار تنظيم فرسان القدّيس توماس"St Thomas of Acre"** الإنجليزي في عكّا الذي حمل أعضاؤه السّلاح أثناء الحملة الصّليبيّة الثّالثة(2)، بالإضافة إلى تنظيم الفرسان المجذومون أو فرسان القدّيس لازاروس" St Lazarus of Jerusalem"*** (3).

---

(1) جوناثان رايلي سميث، تاريخ الحروب الصّليبيّة، ترجمة عبده قاسم عبده، ج.2، ط.1، المركز القومي للتّرجمة، القاهرة، 2009، ص ص 7-9
انظر أيضا: Polejowski, Op.Cit., P.17; Barber, Op.Cit., PP.7-17; Morton, Op.Cit., PP. 10-13.

(2) انظر: Alan J. Forey, The military order of St Thomas of Acre, In The **E. H. R.**, Vol.92, N°364, 1977, PP.481-503.

(3) انظر: Malcolm Barber, The order of Saint Lazarus and the Crusades, In The **C. H. R**., Vol.80, N°3, 1994, PP.439-456.

*: (1119-1136) يعتبر مؤسس جماعة الدّاوية وأوّل سيّد لها، ينتمي لأسرة من كونتات شومباني في فرنسا؛ توجّه في سنة 1118م مع صديقه جوفري دي سانت أومر"Geoffrey of st. Omer" وسبعة من الفرسان الآخرين إلى الأراضي المقدّسة ونذروا أنفسهم لخدمة ومساعدة الحجّاج والصّليبيّين، لمزيد من التّفاصيل ارجع إلى: إبراهيم خميس، المرجع السّابق، ص 48-49.

**: تنظيم إنجليزي سمي تيمّنا بالقديس توماس بكت"Thomas Becket" رئيس أساقفة كانتربوري"Canterbury"، تأسّس في عكّا أثناء الحملة الصليبية الثّالثة من طرف كاهن اسمه وليام، كان في بداياته تنظيما خيريا يعنى بمساعدة الحجاج وخاصّة تأمين الطقوس المسيحيّة للموتى الصّليبيّين. لمزيد من التّفاصيل عن هذا التنظيم ارجع إلى: Forey, The military order of St Thomas, PP.481-503.

***: أصلها غامض، أمّا تأسيسها الفعلي كهيئة عسكرية فيعود إلى منتصف القرن الثّالث عشر الميلادي خارج مدينة القدس على امتداد طريق الحجاج بين جبل الزيتون ونهر الأردن، ويبدو أنّ الهيئة تأسست . على غرار الهيئات الأخرى . كمشفى في النصف الأوّل من القرن الثاني عشر الميلادي، وعني هذا المشفى بمتطلبات مرضى الجذام. ارجع إلى: Barber, The order of Saint lazarus, PP.439-456.

ولا شكّ أنّ هذه التّنظيمات، وعلى رأسها هيئتا الدّاويّة والإسبتاريّة قد سدّتا فراغا مهولا في حياة الصّليبيّين على عدّة مستويات، ففي الميدان الاجتماعي قدّمتا خدمات إنسانيّة جليلة للحجّاج المسيحيّين، ومن النّاحيّة الرّوحيّة وجد أولئك الأتقياء الشّغوفون بالدّفاع عن العقيدة ضالتهم على اعتبار أنّ هذه التّنظيمات جمعت بين حياة الورع والتقوى وحياة الجندي المحارب ، أمّا من النّاحيّة السيّاسيّة والحربية فللهيئتين الفضل الكبير في حماية الكيان الصّليبي والذّود عن حدود وممتلكات اللاتين في الشرق الأدنى الإسلامي ولعلهما ساهمتا على الأقل في تأجيل سقوطها لما بذلته الهيئتان من جهد حربي ملحوظ أظهر رجالهما خلاله استبسالا منقطع النظير(1).

وفي شبه الجزيـرة الإيبـيريّة، كان من الطّبيعي أن يلقى النّشاط المتزايد لهيئتي الدّاويّة والإسبتاريّة في الأراضي المقدّسة صدى واسعا لدى الأوساط المسيحيّة بالغـرب الأوربي في ظلّ ما اقتضته طبيعة الصّراع العسكريّ القائم بينهم وبين مسلمي الأندلس، حيث عمد ملوك النّصارى وفي طليعتهم ملك أراغون ألفونسو الأوّل"Alfonso I"* إلى تقليد سياسة الصّليبيّين في بلاد الشّام، فأنشأ تنظيمين محليّين هما بالشيت"Belchite" في سرقسطة ومونريال"Monreal"(2)، هذا وسرعان ما انتشرت فروعٌ لهيئتي الدّاويّة والإسبتاريّة في شبه الجزيرة وباشرتا مهمّتهما فعليّا مع منتصف القرن الثّاني عشر الميلاديّ، كما اهتدى الملوك النصارى في الأندلس إلى تأسيس سلسلة فـرق محليّة أخرى حذت حذو التنظيمات ذات النّشأة المشرقيّة اتخذت طابعا عسكريا منذ بدايتها، اشتهر منها تنظيم كالاترافا"Kalatrava" في قشتالة، سنتياجو "Santiago" والقنطرة "Alcantara" في ليون (3).

---

(1) سعيد عبد الفتّاح عاشور، الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، ج1، مكتبة الأنجلو المصريّة، ط.1، ص ص 389-390.

(2) انظر: Sam Zeno Conedera, Eccesiastical knights the military orders in Castile 1150-1330 , Fordham university press, NewYork, 2015, P.35.

(2) بن نيلي لخضر، هيئة الإسبتاريّة ونشاطها العسكريّ في الصّراع الصليبي الإسلامي بين مملكة أراجون ومسلمي الأندلس، مجلّة دراسات وأبحاث، مج.10، عدد 4، ديسمبر 2018م، ص 297-300؛ رايلي سميث، تاريخ الحروب الصليبية، ج2 ، ص 12. لمزيد من التّفاصيل ارجع إلى: Condera, Op.Cit., PP.35-49.

*: ملك نافار"Navarre"(1109-1134م) مشبّع بالرّوح الصليبيّة، لقّب بالمحارب"The Battler"، ولد في حوالي 1073م وهو الابن الثّاني للملك سانشو الأوّل"Sancho I"، فشل بعد محاولات سياسية وعسكريّة عديدة في الاستيلاء على مملكتي قشتالة وليون، لكنه نجح في مدّ حدود مملكته جنوبا لمزيد من التّفاصيل عن ها الموضوع ارجع إلى: Alan V. Murry, The Crusades An encyclopedia, ABC-CLIO pub., 2006 ,PP.549-550.

على أنّ مفهوم الحركة الصّليبيّة لم يلبث أن اتسعت دائرته ليشمل، ليس المسلمين في بلاد الشّام والأندلس فقط، بل امتد إلى أتباع الكنيسة نفسها حيث شنّ الباباوات حربا دّينيّة شرسة ضدّ أعداء المسيحيّة الموسومين بالهراطقة داخل الحظيرة المسيحيّة وضدّ الوثنيّين على سواحل البلطيق الجنوبيّة، وبلغ هذا العدوان ذروته في القرن الثّالث عشر الميلاديّ[1].

والواقع أنّ هذه السياسة الحربية للبابوية ارتبطت كما وصفها المؤرّخ كريستوفر تيرمان"Cristopher Tyerman" بسياسة غربي أوربا التّوسعيّة[2]، وبصرف النّظر عن كونها كذلك، فإنّ منطقة حوض البلطيق شهدت هي الأخرى بروز جماعات كاثوليكيّة محليّة في مطلع القرن الثّالث عشر الميلاديّ استهدفت قبائل البلط الوثنيّة، أبرزها رابطة فرسان السيف الليفونية وفرسان دوبرزين بالإضافة إلى بروز أحد أهمّ التّنظيمات الرّهبانيّة العسكريّة التي كانت تنشط في بلاد الشّام ألا وهي هيئة الفرسان التيوتون.

---

(1) انظر: Latham, Op.Cit., P.20.

(2) انظر: Christopher Tyerman, The invention of the crusades, Palgrave-Macmillan, Pub. 1998, P.15,32.

II. نشأة تنظيم فرسان التيوتون في الأراضي المقدّسة.

1. الحجّاج الألمان* في الأراضي المقدّسة.

شكّل الألمان شأنهم شأن شعوب غرب أوربا عنصرا بشريّا فاعلا في سير أحداث الحركة الصّليبيّة في المشرق الإسلاميّ، وإذ غاب أثرهم في الحملة الصّليبيّة الأولى، إلاّ أنّ دورهم في الحملات اللاحقة برز جليا منذ منتصف القرن الثّاني عشر الميلادي، وسرعان ما نما دورهم وتعاظم شأنهم حتّى نافسوا اللاتين في تزعم هذه الحركة الصليبية المتأججة(1).

وممّا تجدر الإشارة إليه، أنّ الصّليبيون الألمان في بلاد الشّام قد واجهوا عائق اللّغة الذي حال دون تواصلهم وتفاعلهم بشكل جيّد مع صليبيّي الغرب الأوربي، وذلك بفعل الصّبغة اللاتينيّة التي اكتستها مملكة بيت المقدس الصّليبيّة وقتذاك(2)؛ وفي ظلّ هذه المعضلة اللغوية وكذا الحاجة الماسّة للحجّاج الألمان ببيت المقدس إلى تلقي يد المساعدة على غرار نظرائهم اللاتين الذين لقوا ضالتهم في مشفى الإسبتاريّة والدّاوية، وجد الألمان أنفسهم أمام حتميّة الانزواء عن المؤسّسات الصّليبيّة اللاتينيّة وخلق مؤسّسات تعنى بشؤون

---

(1): لمعرفة تفاصيل أكثر حول أسباب غياب الألمان عن الحملات الصليبية الأولى والثانية ارجع إلى: صلاح ضبيع، دور الألمان في الحروب الصّليبيّة في بلاد الشّام، ط.1، المكتب العربي للمعارف، 2009، ص 84. وتعود أفضل رحلة مدوّنة عن الحجّاج الألمان إلى عام 1065.1064م وهي الرّحلة التي قادها ونظّمها الأسقف غونثر أوف بامبرغ"Gunther of Bamberg". لمزيد من التّفاصيل حول الحجاج الألمان في بلاد الشام ارجع إلى: Marie Luise Favreau Lilie, The German empire and Palestine: German pilgrimages to Jerusalem between the 12th and 16th century, In **J. M. H.**, Issue 4, Vol. 21, 1995, PP.321-341.

(2) تطرّق جاك الفيتري أسقف مدينة عكاّ والمعاصر للأحداث إلى معضلة اللغة التي واجهت الصّليبيّن والحجّاج الألمان في بيت المقدس وقد نقل أنّ ".. **كثير من التيوتون والألمان الذين توجّهوا إلى بيت المقدس في رحلة حج، ولم يستطيعوا التحدّث بلسان أهل المدينة**...". ارجع إلى: يعقوب الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ترجمة وتعليق سعيد البيشاوي، ط.1، دار الشّروق، 1998م، ص ص 94-95، ارجع أيضا إلى: Favreau, Op.Cit., P. 336.

*: مرادف لمصطلح الجرمان"Germanic" أو التيوتون"Teutonic"، ومثلما وردت في وثائق تاريخيّة أخرى، جاء في موسوعة شعوب أوربا" Encyclopedia of European peoples " أنّ الكلمة مشتقة من الجرمانيّة القديمة "Gàr" التي تعني الرّمح و"Man" الرّجل أي رجال الرّماح. وينسب مالكوم تود"Malcom Todd" أصل الكلمة إلى قبيلة الألماني"Alamanni" التي ظهرت إبّان القرن الثّالث الميلادي في شرقي نهر الراين"Rhine" وجنوبي نهر الماين"Main" في جنوبي غرب ألمانيا اليوم، أصبح هؤلاء جزء من دولة الفرنجة (الميروفنجيّة والكارولنجيّة)، وقد وضعت معاهدة فردان"Verdun" سنة 843م أسس مملكة فرانكيا الغربيّة"Francia Occidentalis" وفرانكيا الشّرقيّة"Francia Orientalis" وبموجب قسم ستراسبوغ"Strasburg" اعتمدت هذه الأخيرة اللغة الألمانيّة القديمة، وصارت منذ القرن العاشر والحادي عشر الميلاديين تعرف باسم ألمانيا. وفي المصادر العربية، ورد لفظ الألمان عند ابن الأثير(ت.1233م) وابن شداد الذين فرّقا بينهم وبين الفرنج. انظر: الكامل في التاريخ، تح. محمد يوسف الدّقاق، مج.10، دار الكتب العلمية، ط.4، 2003، ص193؛ بهاء الدّين بن شداد، النّوادر السّلطانيّة والمحاسن اليوسفيّة، تح. جمال الدّين الشيّال، ط.2، مكتبة الخانجي، 1994م، ص ص 178، 190، 195 . لمزيد من التّفاصيل حول مصطلح الألمان ارجع إلى: Karl Waldman and Cathrine Mason, Encyclopedia of European peoples, Fact on file Pub., 2006, PP.296-330 ; Malcolm Todd, The early Germans, Blackwell, 2nd ed., 2004, P.9.

الحجّاج من بني جلدتهم.

في حوالي عام 1118، تمّ تشييد أوّل منشأة ألمانية* بترخيص من بطريركيّة بيت المقدس وهي عبارة عن مشفى جمع أعضاؤه بين الطّابعين الخيريّ والدّيني كان قد أقامها زوجان ألمانيّان متطوّعان على نفقتيهما وسرعان ما ألحقت بكنيسة وجعلاها وقفا للقدّيسة مريم العذراء، وقد سمي هذا الإنجاز بمنزل الألمان مثلما أورده في روايته مطران أسقف مدينة عكّا جاك الفيتري"Jaques of Vitry"(1216.1228م) [1] وجاء اسمه في المصادر التّاريخيّة باسم "**مشفى القديسة ماريا للتيوتون في بيت المقدس**"**؛ وعلى الرّغم من المساعدات الجليلة التي كان يقدّمها المشفى الألماني ببيت المقدس للحجّاج الألمان، إلاّ أنّ دوره ظلّ محدودا ومغيبا، إذ ما لبث أن غيّب خاصّة بعدما تمّ وضعه تحت وصاية هيئة الاسبتارية[2].

ولما تجلّت تطلعات الإمبراطورية الألمانية في عهد أسرة الهوهنشتاوفن"Hohenstaufen"** نحو شرق المتوسّط وظهرت بوادرها من خلال مشاركة الألمان بصورة فعّالة في الحروب الصّليبيّة منذ نهاية النّصف الثّاني من القرن الثّاني عشر الميلادي، فإنّ حاجتهم إلى مؤسّسة أكثر فاعليّة تعنى بشؤون الصّليبيّين الألمان خاصّة باتت أمرا حتميّا ومطلبا ضروريّا[3]، ولم يلبث أن برزت على السّاحة ببيت المقدس منشأة ألمانيّة على نمط

---

(1) جاك الفيتري، المصدر السّابق، ص 85.

(2) انظر: Indrikis Sterns, The Teutonic knights in the Crusader states, In A history of the crusades by Kenneth M. Setton, Vol.5, The impact of the crusades on the Near East, Edited by Norman Zacour and Harry Hazard, the University of Wisconsin Press, Pub., 1985,1st Pub.,PP.318-319.

وذلك بعد توجيه تهم إلى المشفى بالفساد لسبب يبقى مجهولا وفق رواية ستورن، وفي 9 ديسمبر/كانون الأوّل عام 1143م كتب البابا كليستين الثّاني"Celestine II"(1143.1144م) إلى مقدّم الاسبتاريّة الاوّل، رايموند أوف لوباي"Raymond of le puy"(1120–1158م) يأمره بوجوب الإشراف على المشفى الألماني مع الحفاظ على حريّة هذا الأخير في اختيار مسؤولها وخدمها ولغتها الألمانيّة. وستكون لهذه الوصاية تبعات على المدى البعيد، حول مدى أحقيّة الاسبتاريّة في المشفى الألماني الذي سيؤسّس بعكّا فيما بعد.

(3) انظر:. Nickolas Morton, The Teutonic knights in the holy land 1190-1290, The Boydell Press, 1ST Pub. 2009,P.13-14

*: يقع في الجنوب الشّرقي من مدينة القدس على مقربة من موقع إقامة الدّاويّة؛ ولكون المصادر التاريخيّة بما فيها الرّواية المفصّلة نوعا ما لجاك الفيتري لم تتطرّق لتاريخ نشأته، فقد اختلف المؤرّخون في تاريخ ظهوره وانقسموا بين سنة 1118م وسنة 1127/1128م، أنظر: حسن عبد الوهّاب حسين، المرجع السّابق، ص ص61–62.

**: (1138.1254م) نسبة إلى أسرة سوابية حاكمة، استمدّت اسمها من قلعة في قرية بورن"Buren" شيّدت في القرن الحادي عشر الميلادي وأخذت اسمها من سلسلة تلال شتاوفل"Staufele hills" المحاذية وأصبحت تعرف بهوه شتاوف"Hohe Staufe" أو "High Staufe" بجنوبي البلاد، عرفت هذه الأسرة كذلك باسم وايبلجن"Waibligen"؛ برزت العائلة الهوهنزية على مسرح الأحداث في أعقاب تولي كونراد الثّالث 1137م سدّة الحكم فيما يعود الفضل للملك فريديرك الأوّل بربروسة الذي ثبّت قواعدها على العرش الألماني، أبرز حكامها هنري السّادس، فريديرك الثّاني، فليب السوابي. لمزيد من التّفاصيل ارجع إلى: William Busk, Medieval Popes Emperors Kings and Crusaders or Germany Italy and Palestine 1225-1268, Vol.1, London, 1854, PP.157-158.

هيئتي الدّاويّة والإسبتاريّة.

فمع نهاية القرن الثّاني عشر الميلادي، وفي خضمّ أحداث الحملة الصّليبيّة الثّالثة، شيّد بمدينة عكّا* مشفى ألمانيّ على يد جماعة من الصليبيين من شمالي ألمانيا حمل اسم" Hospitale Sancte Marie domus Theutonicorum in Jerusalem" أي "**مشفى القدّيسة مريم** للألمان في بيت المقدس**"، واشتهر باسم هيئة التيــوتون"Teutonic order"*** أو هيئة فـرسان التيوتون"Teutonic knights" (4).

---

(1) انظر: Max Perlbach, Die statuten des Deutschen ordens, Halle, 1890, P.159-160.

*: من أقدم المدن التاريخية، أطلق عليها تسمية مملكة بيت المقدس الثانية، تقع في شمالي فلسطين، كانت مدينة تجاريّة واعتبرت الميناء الرّئيسي لمملكة بيت المقدس الصّليبيّة بعد الاستيلاء عليها من طرف بلدوين الأوّل"Baldwin I"(1058.1118م) في 1104م، شكّلت عكّا عاصمة المملكة الصّليبيّة بعد الاستيلاء عليها في سنة 1191م إلى غاية سقوطها النّهائي بيد المسلمين سنة 1291م. ارجع إلى: Moore,Op.Cit., P.12.

**: القديسة مريم المجدليّة، من أهمّ الشّخصيات التي ورد ذكرها في العهد الجديد، وإحدى تلامذة المسيح عليه السّلام.

***: قبيلة تقع مضاربها في جنوبي شبه جزيرة جوتلاند، اختلف في تحديد أصلهم، فقد صنفهم الفيلسوف اليوناني بوسيدونيوس "Poseidonius"(القرن الثّاني والأوّل ق. م.) على أنّهم السلت"Celt"، أمّا الجغرافي سترابو"Strabo" فقال إنّهم جرمان وادّعى أنّهم يختلفون عن الكلت، وانفردوا عنهم بكبر حجمهم وشعرهم الأصفر. كان التيوتون أوّل قبيلة جرمانية هاجرت مع السمبريين في أواخر القرن الثاني للميلاد وانثالت على الأراضي الواقعة جنوبا، أطلق عليهم الرومان في غالة اسم جرماني"Germanii" في إشارة إلى أنهم السلت الأصليون. لمزيد من التفصيل ارجع إلى: Waldman and Mason, Op.Cit., P.797.

2. الحملة الصّليبيّة الثّالثة وظروف قيام المشفى الألمانيّ بكعّا:

لا شكّ أنّ استرداد النّاصر صلاح الدّين* لبيت المقدس عقب وقعة حطين عام 1187م، والهزيمة السّاحقة التي تلقتها الجيوش الصّليبيّة وما رافقها من سقوط قلاعهم وممتلكاتهم في أيدي المسلمين، قد أثار موجة من الغضب والفزع في الغرب الأوربيّ الذي استنهضته البابويّة مجدّدا للقيام بحملة صليبيّة ثالثة، والتي سيكون للألمان الدّور الأبرز فيها(1).

ولم يمر وقت طويل حتّى أخذ الغرب الأوربي في الاستعداد لتوجيه حملة صليبية بغية استعادة بيت المقدس، وكان في طليعة المتحمّسين لها الإمبراطور الألماني فريدريك الأوّل"Frederick I"(1152-1190م)** الذي أبدى حماسا فيّاضا للمشاركة فيها، وقد شرع سريعا لإعداد ما تستحقه الحملة من عدّة وعتاد مع مراعاة الصّعوبات والعوائق التي واجهت عمّه كونراد الثّالث"Conrad III"(1093-1152م)*** خلال الحملة الصّليبيّة الثّانيّة(1147.1150م)(2).

في سنة 1189م، وقبل مغادرته، هيّأ فريدريك بربروسة التّرتيبات لضمان تسهيل مسيرة الحملة التي تقـرّر أن تسلك الطـريق البرّي، مرورا بأراضي بيـزنطة وآسيا الصغـرى ومنها إلى بلاد الشّام(3). أقلعت هذه

---

(1): صلاح محمّد ضبيع، المرجع السّابق، ص 164؛ عاشور، المرجع السّابق، ج2، ص ص 114-117.

(2) انظر: Ansbert, The Crusade of Frederick Barbarossa. The history of the expedition of the Emperor Frederick and related texts, Trans. By G. A. Loud, Ashgate Pub., 2010, P.27.

(3) انظر: Ibid., P.47.

*: الملك النّاصر، ينحدر من أسرة كرديّة، ولد بتكريت شمال العراق عام 532هـ/1138م، هو قائد عسكري وسياسي محنّك، قيّض له إنهاء حكم الدّولة الفاطمية وإرساء دعائم الدوّلة الأيوبيّة، خاض عدّة معارك لدحر الصّليبيّين واسترداد الأراضي المقدّسة وتمكن من إحراز نصر باهر عليهم في موقعة حطين 1187م استعاد على إثرها بيت المقدس. توفي بعد أن رفع لواء الجهاد عاليا في عام 589هـ/1193م. لمزيد من التّفاصيل عن هذه الشّخصية ارجع إلى كاتب سيرته بهاء الدّين بن شداد، المصدر السابق.

**:يعرف بفريدريك بربروسة"Barbarossa" نسبة للحيته الشّقراء، تولى سدّة الحكم بعد وفاة عمّه كونراد الثّالث سنة 1152م، نصّب إمبراطورا على الألمان في سنة 1155م، قضى فريدريك فترة طويلة في محاولة لإخماد تمرد اللومبارديين في شمالي إيطاليا، وبعد استتباب الأوضاع له داخل ألمانيا وانتخاب نجله هنري السّادس ملكا سنة 1184م، تطوّع للمشاركة في الحملة الصليبية الثالثة، لكنه توفي غرقا في سنة 1190م. ارجع إلى: Murry, Op.Cit., PP.472-474.

***: ابن فريدريك الأوّل السوابي "Frederick I of Swabia"(ت.1105م) وأجينيس"Agnes" ابنة الإمبراطور هنري الرّابع"Henry IV"، هو أوّل حاكم من عائلة هوهينشتاوفن اعتلي سدّة حكم في ألمانيا سنة 1138م بعد وفاة لوثير الثّالث"Lothar III". شارك سنة 1147م في الحملة الصليبية الثّانية التي كانت تستهدف دمشق إلاّ أنّها فشلت بعد هزيمة الجيوش الصليبيّة أمام السلاجقة. عاد إلى ألمانيا في 8 سبتمبر/ أيلول 1148م وتوفي في 15فيفري/شباط 1152 وخلفه على العرش ابن شقيقه فريدريك بربروسة. ارجع إلى: Murry, Op.Cit., PP.270-271.

الحملة الجرارة في 11 ماي/أيار سنة 1189م بقيادة الإمبراطور بربروسة وابنه فريدريك دوق سوابيا "Swabia" والألزاس"Alsace"* [1].

بيد أنّ قسما آخر من هذه الحملة، وأغلبهم من القسم الشمالي لأوربا كان قد آثر الطّريق البحريّ لبلوغ ميناء عكّا[2]؛ وقد أقلع الأسطول الذي تضمّن خمسا وخمسين قطعة تقلّ على متنها حوالي إثني عشر ألف صليبيّ من مختلف مرافئ شمالي غرب أوربا في ماي 1189م[3]، فيما كانت سفن تجّار مدينتي بريمن** ولوبك*** قد أبحرت من مدينة بريمن في 23 أفريل/نيسان من عام 1189م تحت إمرة راهب اسمه سيبراند "Sibrand"[4].

تشير المصادر التاريخية، إلى أنّ الجموع الصّليبيّة التي ركبت البحر قد وصلت قبل جيش الإمبـراطور الذي سلك الطّـريق البرّي، وأنّ القوّات القادمة من شمـالي ألمانيا قد رست على سـواحل عكّا في اليـوم

---

(1): الواقع أنّ المصادر الإسلامية والأجنبية على حدّ سواء بالغت كثيرا في تقدير تعداد الحملة، فقد ذكر ابن شداد أنّها بلغت ما بين مائتين إلى مائتين وستين ألفا فيما قدّرها أرنولد من لوبك بخمسين ألف فارس ومائة ألف راجل. ارجع إلى: ابن شدّدا، المصدر السابق، ص 178. لمزيد من التّفاصيل حول تعددها وأهم المشاركين فيها ارجع إلى: Ansbert, Op.Cit., PP.48-57; Arnold of Lubeck, The Chronicle, Trans. By Granham A. Loud, Routledge Pub., 1st Pub., 2019, P.149.

(2): على رأسهم فليب دوق فلاندرز"Philip of Flanders"، وكونراد"Conrad" وأوتو"Otto" من بوهيميا"Bohemia" وموارفيا "Moravia"، وجودفري من اللورين الأدنى" Godefroy of lower Louraine" وهنري من ليمبورغ"Henry of Limburg" وليوبولد الخامس دوق أوستريا "Leopold V of Austia". أنظر: صلاح ضبيع، المرجع السّابق، ص187.

(3) انظر: Arnold of Lubeck, PP. 158-159; Ansbert, Op.Cit., P.24.

ويرجح أنّها القوات التي قادها لويس الثالث حاكم ثورينجيا (1151–1190م) وبلغت صور في شهر سبتمبر/أيلول سنة 1189م.

(4) انظر: Narrcio de primordiis ordinis Theutonici, In Indrikis Sterns, The statutes of the Teutonic knights: A study of religious chivalry, Doctoral thesis (published), University of Pennsylvaia, 1969, P.17 ; Also In Morton, The Teutonic knights, PP.1, 9-10 , 160.

*: أو فريدريك الخامس، هو الابن الثّالث لفردريك بربروسة وبياتريس"Beatrix" من بورغاندي"Burgundy" ولد في وسط إيطاليا في فبراير/شباط 1167م، آلت إليه دوقيّة سوابيا جنوبي ألمانيا فيما نال شقيقه هنري لقب ملكا على ألمانيا ثمّ إمبراطورا، ومع ما تبقى من فلول الجيش الألماني تزعم الحصار على عكّا بعد وفاة والده، وتوفي بالأراضي المقدّسة في جانفي/يناير 1191م ودفن هناك. ارجع إلى: Murry, Op.Cit., PP.477-478.

**: مدينة تجارية هامة في شمالي أوربا وأكبرها على نهر الويزر"Weser" بألمانيا، تتألف بريمن من مدينتين، بريمن"Bremen" وبريمن هافن" Bremen hafen". شكّلت فيما مضى عاصمة العصبة الهانزيّة. ارجع إلى: Moore, Op.Cit., P.123.

***: أهمّ المدن التّجاريّة في شمالي أوربا في العصور الوسطى، تأسّست كمستوطنة ألمانيّة في شرق هولشتاين سنة 1143م على يد الكونت أدولف"Adolf"، وبحلول سنة 1160م أصبحت أسقفيّة ومركزا تجاريا رئيسيّا في بحر البلطيق، منحها الإمبراطور فريدريك الثّاني صلاحيّات موسّعة وأضحت مدينة حرّة داخل الإمبراطوريّة بموجب قرار إمبراطوري مؤرّخ بسنة 1226م. ارجع إلى: Moore, Op.Cit.,P.472 ; Angus Mackay and David Ditchburn, Atlas of medieval Europe, Routldge, London NewYork, 1ST Pub., 1997, P.99 ; Jillian R. Smith, Hanseatic cogs and Baltic trade : Interrelations between trade technology and ecology, University of Nebraska, Lincoln, Master thesis (pub.), Supervision of Peter Bleed, 2010, P.19.

الثّالث من بدء أعمال الحصار الذي صادف أوّل سبتمبر/أيلول 1189م، بهدف نصرة قوّات ملك بيت المقدس غاي من لوسينيان"Guy of Lusignan"* المرابطة على أسوار المدينة(1).

وبالقرب من مقبرة القدّيس نيكولاس"St. Nicholas"، في منطقة تقع بين تورون شرق عكّا ووادي نعمان، وعلى بعد مائتي ألف وأربعمائة متر من المدينة، أقام هؤلاء الألمان من تجار مدينة بريمن ولوبك مخيمهم، واستعملوا في ذلك الألواح الخشبيّة وأشرعة السّفن الهانزيّة** التي وصلوا على متنها، وقد برز هذا المخيّم في شكل مشفى ميدانيّ أمام المدينة المحاصرة بالنّظر إلى المهمّات التي اضطلع بها، حيث كانت مهمّته الأساسيّة هي الاعتناء بالجرحى والمرضى الصّليبيين، الألمان منهم بشكل خاص(2). أمّا عن دوافع إنشاء المشفى الألماني خارج أسوار عكّا، فإنّها لا تختلف عن دوافع إنشاء المشفى الميدانيّ في القدس، إذ يعود ذلك إلى الحاجة الماسّة للصّليبيّن الألمان إلى مكان لتلقي العلاج في ظلّ معضلة اللغة التي حالت دون تواصلهم الجيّد مع بقيّة الصّليبيّين اللاتين(3).

استمـرّ هؤلاء المتطـوّعون الألمان على مدى قرابة شهـر يقدّمون خدماتهم الإنسانيّة والطّبيّة للجرحى والمرضى الصّليبيّين من خلال المشـفى الميداني الذي أقاموه خارج عكّا، وهذا إلى غاية وصـول فريدريك السوابي إلى عكّا في 7 أكتوبر/تشرين أوّل 6 رمضان 586هـ/1190م لتولي قيادة فلول جيش والده بربروسة

---

(1) انظر: Arnold of Lubeck, Op.Cit., P.157-158; Narrcio de primordiis ordinis Theutonici , In Sterns, PP.18-19; Geoffrey of Vinsauf, Itinerarium Peregrinorum et Gesta Regis Ricardi or Chronicle of the third crusade, Trans. By Helen J. Nicholson, Routledge, London and NewYork, 1ST Pub., 1997, P.10 .

فرض الصّليبيون حصارهم على عكّا ابتداء من 28 أوت 1189م/13 رجب 585هـ. ارجع إلى: ابن شداد، المصدر السابق، ص 163؛ حسن عبد الوهّاب حسين، تاريخ جماعة الفرسان التيوتون في الأراضي المقدّسة حوالي 1190-1291/586-690هـ، مكتبة الاسكندرية، 1989م، ص 92.

(2) أنظر: Narrcio de primordiis ordinis Theutonici , In Sterns, P.19 ; Morton, The Teutonic knights , P.16

(3) انظر: Favreau, Op.Cit., P.321-341.

*: ملك بيت المقدس(1186-1192م) ولورد جزيرة قبرص(1192-1194م)؛ هو نجل هوغ الثّامن"Hugh VIII" أحد نبلاء منطقة بواتو"Poitou" بفرنسا، اعتلى عرش مملكة بيت المقدس في أعقاب زواجه من الملكة سيبيلا"Sibyl" شقيقة الملك الأبرص بلدوين الرّابع" Baldwin IV"(1174-1185م)، ففي سنة 1183م تنازل هذا الأخير لغاي"Guy" عن جلّ ممتلكاته باستثناء القدس، غير أنّ العلاقة بين الطّرفين سرعان ما ساءت وتنازعا على العرش الذي أصبح شاغرا بعد وفاة الملك الأبرص في 1185م وابن أخته بلدوين الخامس الذي كان مرشّحا لخلافته في السّنة الموالية 1186م، ليؤول عرش المملكة لسبيبيلا التي توّجت في نفس السنة وتوّجت غاي ملكا على مملكة بيت المقدس. تمّ أسره في معركة حطين من طرف النّاصر صلاح الدّين الأيوبي ثمّ أطلق سراحه في طرسوس. غادر إلى جزيرة قبرص التي اشتراها وتوفي هناك سنة 1194م. لمزيد من التّفاصيل ارجع إلى: Murry, Op.Cit., PP.549-550.

**: نسبة إلى العصبة الهانزية، انظر الفصل الرابع هامش ص 117.

الذي لقي حتفه في أسيا الصغرى يوم 10 جوان/يونيو[1]. واللافت للانتباه، أنّ المشفى الألماني بالقرب من مدينة عكّا لم يلبث أن شهد تطوّرا سريعا، إذ نما عدد متطوّعيه الذين نذروا أنفسهم لخدمة الصّليبيّين في ظرف وجيز بعدما انظمّ إليه بعض أعضاء المشفى الألماني القديم بالقدس ممّن كان قد نفاهم النّاصر صلاح الدّين من المدينة عقب إحكام السيطرة عليها[2].

لقي المشفى الألماني بعكّا، بعد فترة قصيرة من تأسيسه صدى كبيرا، وحظيت الجهود الجبارة التي كان يبذلها أعضاؤه بمهارة فائقة، استحسان وتقدير النّبلاء الألمان وفي طليعتهم فريدريك دوق سوابيا، بالإضافة إلى ملك بيت المقدس غاي من لوسينيان الذي قطع عهدا للجماعة أنّه في حال الاستيلاء على عكّا سيكون لها نصيب من الممتلكات داخل أسوار المدينة بهدف استكمال مهمّتها الخيريّة[3]. وتنفيذا لوعده فإنّها حصلت على موقع ثابت عند باب القديس نيكولاس عقب سقوط مدينة عكّا في قبضة الصّليبيين في 12 جويلية/يوليو1191م أين شيّدت مشفى وألحقته بكنيسة ومبان أخرى[4] ووضع تحت إشراف كلّ من كونراد"Conrad" كاهن فريدريك وبورخارد "Burkhard" أمين خزينته، الذين تورّعا ونذرا نفسيهما لخدمة الصّليبيّين الألمان[5].

وعلى غرار المشفى الألمانيّ في القدس، فقد تمّ وقف المشفى في عكّا على شرف القدّيسة مريم العذراء، علما أنّ الاسم الأوّل القديم للمشفى بعكّا كان قد اختفى لفترة طويلة ثمّ ما لبث أن ظهر إبّان فترة الحملة الصّليبيّة الخامسة[6]. والمرجّح أنّ اختفاءه يعود لحرص المشفى الألماني بعكّا على عدم الرّبط بينه وبين

---

(1) انظر: Indrikis Sterns, The statutes, P.17.

(2): عبد الوهّاب حسين، المرجع السّابق، ص ص 88-90.

(3) انظر: Morton, The Teutonic knights, P.16.

(4) انظر: Loc.Cit.

(5) انظر: Narrcio de primordiis ordinis Theutonici, In Sterns, P. 17-18.

الأكيد أنّ الوعد الذي قطعه الملك غاي من لوسينيان جاء أيضا كعربون امتنانا لجهود لأولئك الألمان الذين شاركوه معاركه بينما كان يتواجد في صور يحارب جيوش المسلمين.

(1) اتّسمت العلاقة بين الطّرفين بالتّوتر نظرا للمطالب المتكرّرة لهيئة الإسبتارية بأحقيّتها في فرض سلطتها على الفرسان التيوتون ووصايتها عليها. أنظر: Sterns, The Teutonic knights, P. 323.

وفيما يتلعق بالاسم فإنّه عاد للتّداول مجدّدا على عهد كبير هيئة التيوتون هرمان فون سالزا"Hermman Von Salza". على الرّغم من أنّ المشفى عرف فيما بعد "بهيئة التيوتون" أو "الفرسان التيوتون"، فإنّ الأسماء التي أطلقت عليه في هذه الفترة المبكّرة تعدّدت، منها Hospitale Sancte Marie domus Theutonicorum in Jerusalem"مستشفى القدّيسة مريم للتيوتون في بيت المقدس"، وكذا "مستشفى القدّيسة مريم لمنزل التيوتون في القدس. أنظر: حسن عبد الوهاب حسين، المرجع السّابق، ص 98-99.

ذلك المشفى الأوّل في القدس وذلك بغية قطع الطّريق أمام القائمين على هيئة الإسبتارية، وخوفا من أيّة مطالبة محتملة بإخضاع المشفى بعكّا لنفوذها.

إنّ فرضيّة تبعيّة المشفى الألماني بعكّا إلى الأوّل في القدس لطالما شكّلت نقطة خلاف حادّ، بين من يرى أنّه مستقل تماما عن المشفى الأوّل بالقدس، ومن يتبنى فكرة كونه امتدادا له، وهو أمر مستبعد، ذلك أنّ مشفى القدس شيّده محسنان ألمانيّان على نفقتهما الخاصّة، ويتّضح بناء على ما تقدّم، أنّ تطوّره كان محدودا جدّا حيث ظلّ مركزه ثانويا ثم ما لبث أن تهاوى شأنه، ويحتمل أنّ صلاح الدّين الأيوبي قد حيّده بعد استيلاءه على المدينة[1].

وحتّى لو تمّ التّسليم بمشاركة رهبان المشفى الألماني في القدس في أعمال حصار عكّا بعد إطلاق سراحهم من طرف صلاح الدّين ومساهماتهم الخيرية في رعاية أبناء جلدتهم إلى جانب مؤسسي مشفى عكّا، فإنّه من غير المنطقي الرّبط بين المشفيين في ظلّ غياب إثباتات تؤكّد على صحّة ذلك، وعليه فإنّ القول باستقلاليّة المشفى الألماني داخل أسوار عكّا عن مشفى القدس وأنّه قائم بذاته يبقى الأقرب إلى الصّواب. أمّا فيما يخصّ تطوّر المشفى الألماني بعكّا، فإنّ فضل ذلك يعود بالدرجة الأولى لفريدريك، دوق سوابيا الذي ساهم في ترسيخ دعائمه، حتّى قيل أنّ هيئة فرسان التيوتون تدين بـوجودها وكينونتها له، فمنذ تسلّم هذا الأخير أمر المشفى من صليبيّي بريمن ولوبك حتّى وفاته، فإنّه لم يدّخر جهدا في سبيل للحصول على اعتراف البابويّة بالمشفى.

وفي سياق هذه المساعي، أوفد فريدريك مبعوثيه إلى شقيقه الإمبراطور، هنري السّادس"Henry VI"*، يلتمس منه، الاعتراف بالمشفى الألماني في عكّا والمصادقة على نشاطاته. وكذا التّوسّط لدى البابويّة بغية الحصول على اعترافها بالمشفى ونيل بركتها[2]. بالإضافة إلى هذين الالتماسين، فقد عمد دوق سوابيا إلى ترك

---

(1) انظر: Sterns, The statutes, PP.18, 23-24.

(2) انظر: Narrcio de primordiis Indrikis, In Sterns, The Statutes, Op., Cit, PP.18-19.

*: ولد في نيجمجن "Nijmegen" سنة 1165م لفريدريك بربروسة من زوجته الثّانيّة بياتريس"Beatrix"، توّج في آخن"Aachen"(اكس لاشابيلAix-la-chapelle") ملكا على ألمانيا وهو في الرّابعة من عمره بعد وفاة شقيقه فريدريك(1168/1169م). وفي 14 أفريل/نيسان 1191م توّج إمبراطورا في روما من طرف البابا سلستين الثّالث، وبعد صراع احتدم على عرش صقليّة مع تانكرد نجح في اعتلائه في 25 ديسمبر/كانون الأوّل 1194م مؤكّدا بذلك سلطته على ألمانيا وجنوب إيطاليا، لمزيد من التّفاصيل عن هذه الشّخصية ارجع إلى: Murry, The crusades, PP.568-570.

وصيّة لأعضاء المشفى الألماني يوليهم مهمّة التّكفّل بمراسيم دفنه بعد وفاته[1]، وهذا يدلّ على إدراكه الثّاقب لرمزية هذه المساعي وانعكاساتها على سمعة المشفى إن تحقّقت، كونها تضفي عليه حتما طابع الهيبة والمصداقيّة.

ومن جانبه، فإنّ هنري السّادس لم يتوان عن النزول عند رغبة شقيقه، وخاصّة أنّ الإمبراطورية كانت تسعى حينها لتثبيت أقدام الصليبيين الألمان في الأراضي المقدسّة، وتمّ أن وقع الاعتراف ضمنيا بوجود الجماعة على عهد البابا كليمنت الثّالث"Clement III"(1187-1191م)*، بموجب مرسوم أصدر في فيفري/شباط 1191م (محرّم 587هـ) تعهّد فيه بحماية الإخوة المنتسبين إلى ذلك المشفى[2].

---

(1) انظر: Indrikis Sterns, The Statutes, Op., Cit, PP.18

وبالفعل تمّ تنفيذ وصيّة الدّوق فريديرك ودفنت رفاته في تلك الكنيسة بعد وفاته في 20 جانفي/كانون الثّاني 1191م.

(2) انظر: Sterns, The Teutonic knights , P.320; Morton, Op., Cit, P.15, 26, 160.

وفي سنة 1196م منحت الجماعة حق اختيار سيّد لها، وكان ذلك على عهد البابا سيلستين الثالث(1191-1198م.

*: اسمه الحقيقي باولينوس سكولاري"Paulinus Scolari"، تدرّج في السلك الكنسي حتّى انتخب كخليفة لجريجوري الثامن"Gregory VIII" في 19 ديسمبر/كانون الأوّل 1187م، في بيزا"Pisa" وتوّج في 20 من ذات الشّهر. توفي في 29 مارس/آذار في سنة 1191م. ارجع إلى: Artaud de Montor, The lives and times of the Popes, Vol.3, the Catholic publication society of America, 1911, PP.96-98.

3. نشاط الجماعة الألمانية في بلاد الشّام قبل سنة 1198م.

من الأهميّة بمكان القول أنّ غموضا كبيرا يحيط بنشاط المشفى الألماني بعكّا في بداياته، ومردّ ذلك إلى عدم تناول المصادر التّاريخيّة المعاصرة لنشاطه بشكل أوضح. وعليه فإنّ التّساؤل الهام الذي يفرض نفسه يتمحور حول ماهية وطبيعة الدّور الذي أسهمت به الجماعة الألمانية، فهل انحصرت مهامها في العمل الخيري فقط؟ أو أنّها اضطلعت بمهمّات حربية في هذه الفترة المبكرّة؟.

ذكر المؤرخ حسن عبد الوهّاب حسين أنّ أصحاب الطّرح القائل بأنّ المشفى قد اضطلع بالنّشاطات الخيريّة عند إنشائه يستدلّون بوثيقة مؤرّخة في 10 فيفري/شباط 1192م-16 محرّم 588هـ تؤكّد حصول أعضائه على هبة تمثّلت في أحد الأبراج مناصفة مع إخوة القدّيس توماس الإنجليزيّة، مع تنبيه الجماعة بضرورة تجنّب عملية البناء في محيط البرج حتى لا تعرقل عملية الدّفاع عن المنطقة لاحقا، وكذا حتى لا يستغلها الأعداء في تسلّق سور المدينة[1]. علاوة على ذلك، فإنّ الإخوة في المشفى الألماني ونظرائهم من المشفى الإنجليزي لم يتسلّموا سلالم البرج، ولعلّ ذلك هو تلميح يوحي بعدم قدرتهم على الدّفاع عنه. بالإضافة إلى ذلك، فقد أوردت ذات الوثيقة أنّ الجماعة الألمانية منحت الملك غاي من لوسينيان جوادا كانت تملكه مما يرجّح أنّه لم تكن لهم اهتمامات عسكرية[2].

وفي المقابل، يفيد حسن عبد الوهاب أنّ بعض المؤرّخين يشكّكون في صحّة الفرضيّة السّابقة، انطلاقا من مجموعة عقود ملكيّات ووثائق تثبت الامتيازات التي حازها المشفى الألماني قبل سنة 1198م، والتي كانت أغلبها عبارة عن امتيازات ذات طابع حربي، منها أبراج أو أجزاء منها، بالإضافة إلى أسوار وخنادق[3].

وعليه فإنّه من الصّعوبة بمكان الجزم فيما إذا كان نشاط المشفى الألمانيّ في الفترة المبكرّة من نشأته قد

---

(1) حسن عبد الوهّاب حسين، المرجع السّابق، ص ص 104-105، 109.

(2) نفس المرجع، ص 109.

ووجب الإشارة إلى أنّه لم ترد في الوثائق التاريخية التي تناولت تاريخ الجماعة ما يدلّ على أنّ هذه الأخيرة كانت قد ضمت فرسانا في صفوفها، وأنّ أوّل سيّد عليها بعد الاجتماع الحاسم في سنة 1198م لم يكن حتى فارسا. كما أنّ المشرف الأوّل على الجماعة التي أسست المشفى على أعتاب مدينة عكّا هو راهب يدعى سيبراند. ارجع إلى: Morton, The Teutonic knights, N° P.57, 160

حول مسؤولي الجماعة قبل تحوّلها إلى تنظيم عسكري انظر الملحق رقم (1)

(3) حسن عبد الوهّاب حسين، المرجع السّابق، ص ص 109-110.

اقتصر على الأعمال الخيريّة، أو أنّه تعدّاها إلى المساهمة في العمل العسكريّ، وعلى الرّغم من ذلك فإنّ الطّرح الأوّل يبقى الأقرب للصّواب في ظلّ غياب إثباتات تؤكّد على اضطلاع الجماعة بواجبات عسكرية، وأنّ الامتيازات ذات الطّابع الحربي لا تعني بالضرورة ذلك، ويحتمل أنّ منحها للجماعة تعلّق فقط بالإنفاق عليها واستغلالها عند الحاجة، خاصّة وأنّها امتيازات ذات طبيعة دفاعية، وفضلا عن ذلك، فإنّ الفترة التي أعقبت صلح الرملة* شهدت هدوءً نسبيا بين الصليبيين والمسلمين.

على أنّ نقطة التّحوّل المصيرية في تاريخ الجماعة الألمانية ارتبطت مع بلوغ الحملة الألمانية سواحل عكّا في أواخر سنة 1197م دون قائد لها(1)، وذلك حينما رأى عدد من النّبلاء وقادة القوّات الألمانية ضرورة الحفاظ على الحضور القويّ للألمان والإبقاء بشكل نهائي على أولئك المتعطّشين للعودة للبلد الأم في الشّرق استكمالا لمشروع الإمبراطوريّة، وعليه فإنّهم دعوا إلى عقد اجتماع تقرّر فيه تحويل المشفى الألماني بعكّا من مؤسسة خيرية إلى تنظيم عسكري وتكليف أعضائه بمهام حربية بالدّرجة الأولى(2).

وتعود وقائع هذا الاجتماع الحاسم إلى شهر مارس/أذار سنة 1198م، أين انعقد اللقاء في مقرّ هيئة الدّاوية في القدس وحضره معظم النّبلاء الألمان وكبار رجال الدّين وعلى رأسهم بطريرك بيت المقدس والملك عموري الثّاني لوسينيان"Amalric II of Lusignan"***، ومقدّما هيئتي الإسبتاريّة والدّاوية، بالإضافة إلى أعضاء المشفى الألمانيّ(3).

---

(1) كانت هذه الحملة التي لا يتّسع المجال للخوض فيها من تخطيط الإمبراطور هنري السّادس الذي وافته المنيّة في 28 سبتمبر/ أيلول 1197م، قبل الالتحاق بالجيوش الصليبيّة. وقيّض لهذه الحملة التي واصلت مسيرها الاستيلاء على بيروت وصيدا كما ربطت بذلك بين مملكة بيت المقدس وكونتيّة طرابلس. ارجع إلى: حسن عبد الوهّاب حسين المرجع السّابق، ص ص 117-118.

(2) انظر: Indrikis Sterns, The Statutes, Op., Cit, P.19-20, 23-24,

(3) انظر: Narrcio de primordiis ordinis Theutonici, In Sterns, P.23-24.

حول الشخصيات الدينية والعلمانية التي حضرت اللقاء انظر الملحق رقم (2)

*: وقّعت الاتفاقيّة التي أنهت الحملة الصّليبيّة الثّالثة بين صلاح الدّين الأيوبي والملك الصّليبيّ ريتشارد قلب الأسد في سبتمبر عام 1192 م، تمتد على فترة ثلاث سنوات، وقد ضمنت للمسلمين استرجاع بيت المقدس وعسقلان، بينما حصرت نفوذ الصّليبيّين في شريط ساحلي يمتد من صور إلى يافا. لمزيد من التّفاصيل ارجع إلى :عبد الفتّاح سعيد عاشور، المرجع السابق، ج2، ص ص 155-159.

***: الابن البكر لهيو الثّامن"Hugh VIII" وشقيق الملك غاي"Guy"، خلف شقيقه على جزيرة قبرص بعد وفاته سنة 1194م، وأصبح ملكا على بيت المقدس في أعقاب زواجه من الملكة إيزابيلا الأولى"Isabella I" سنة 1197م، توفي سنة 1205م. ارجع إلى: Murry, Op.Cit., P.24.

ويمكن تفسير هذا الحضور القوي لمختلف الفئات المذكورة بالإضافة إلى أعضاء المشفى الألماني بوضعية الجيوش الصّليبيّة التي كانت تعاني من مشاكل دفاعية خطيرة اقتضت خلق تنظيم عسكري آخر إلى جانب هيئتي الدّاويّة والإسبتاريّة.

في هذا اللقاء، وقع الإجماع على ضرورة تحويل المشفى الألماني إلى هيئة عسكريّة، ومن ذلك اتّخذت جملة من الإجراءات لتأكيد الطّابع العسكري، في طليعتها الامتثال إلى قوانين هيئة الدّاويّة فيما تعلّق بالجوانب العسكريّة، بالإضافة إلى العمل بقواعد هيئة الإسبتاريّة فيما تعلّق بالنّواحي الخيريّة[1]. كما قام الإخوة في المشفى الألماني بانتخاب واحد منهم مقدّما أوّل، وهو هرمان والبوت"Hermann Walpot" (1198-1200م)*، وإليه منح جلبرت هورال"Gilbert Horal"** مقدّم الدّاويّة نسخة عن قوانينها بالإضافة إلى الرّداء الأبيض، زيّ الدّاوية الرّسميّ الذي سُلّم إلى هرمان كرهايم"Hermann of Kirchheim"[2].

ولأنّ قرار البابوية يعدّ الاعتراف الفعلي بميلاد هذه الهيئة من عدمها، فقد تمّ إيفاد المقدّم الأوّل للهيئة هرمان فالبوت مرفوقا بالمطران فولفجر من باسو"Wolfger of Passau" إلى مجلس روما ومعهما رسالة إلى البابا إنوسنت الثّالث"Innocent III"(1198-1216م)*** يلتمسون فيها منه المصادقة على القرارات المنبثقة عن المجلس والاعتراف بالهيئة العسكريّة الجديدة[3].

---

(1) انظر: Morton, The Teutonic knights, P.12-13.

(2) انظر: Perlbach, Op.Cit., P.160 ; Sterns, The Teutonic knights , P.321.

(3) انظر: Sterns, The Teutonic knights , PP.321-322.

*: أو هنري والبوت فون بازنهايم"Heinrich Walpot von Bassenheim"، يعدّ أوّل سيّد على الإخوة في المشفى، وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ هرمان لم يكن فارسا، لكن يعود الفضل إليه في تحويلها إلى تنظيم عسكري في لقاء سنة 1198م. توفي سنة 1200م ليخلفه على رأس التّنظيم أوتو من كاربن"Otto von Kerpen "(ت.1209م)، ارجع إلى: Morton, The Teutonic knights, P.57.

**: (1193-1200م) أراغوني المولد شغل منصب معلّم في الدّير المركزي للهيئة، وبين سنتي 1189.1185م تولى منصب "سيّد مقاطعة" على أجزاء من بروفانس"Provence" وإسبانيا، شارك في حصار عكاّ 1190م، وفي السّنة الموالية عيّن قائدا للجماعة في الغرب الأوربي وعاد إلى فرنسا،وبعد وفاة المقدّم روبرت أوف سابلي"Robert of Sable" في سنة 1193م انتخب مقدّما أوّل للجماعة، توفي سنة 1200م وخلفه على رأس الهيئة فليب أوف بلسيس. ارجع إلى: Murry, Op.Cit., P.533.

*:يعدّ أحد أشهر البابوات الذين تولوا كرسي كنيسة روما، ولد في قرية أناجني"Anagni" الإيطاليّة، اسمه الأصلي جون لوثر من سينبي"Segni" ينحدر من عائلة قدّمت العديد من البابوات على غرار عمّه كلمنت الثّالث، جريجوري التّاسع، بالإضافة إلى ألكسندر الرّابع فيما بعد. تدرّج في السلك الكنسي وانتخب بابا عقب مراسيم دفن البابا كلمنت الثّالث في 1198م وعمره لا يتجاوز سبعا وعشرين سنة. ونظرا لشخصيته القويّة، فإنّه أعاد للبابويّة هيبتها بعدما وسّع من استخدامه لعقوبة الحرمان الكنسي، تزامنت ولايته مع أحداث معلميّة في تاريخ الغرب الأوربي أهمّها انحراف الحملة الصّليبيّة الرّابعة؛ توفي في 16 جويلية/تموز1216م عن عمر يناهز 56 سنة. أرجع إلى: Artaud de Montor, Op., Cit, PP.99-123.

كانت الاستجابة سريعة حيث في 19 فيفري/شباط عام 1199م، أصدر الأب الروحي للكاثوليك إنوسنت الثّالث تشريعا يتضمّن مباركة الكرسيّ الرّسولي رسميّا على ميلاد هيئة الفرسان التيوتون العسكريّة كتنظيم ثالث إلى جانب كلّ من الدّاوية والإسبتارية، على أساس اللوائح التي قامت عليها الهيئتان عند التّأسيس. ودون تريث وفي انتظار وصول مرسوم البابوية، شرع أعضاء المشفى الألماني مباشرة في تطبيق قرارات هذا المجلس(1).

والمؤكّد أنّ أحداث نشأة المشفى الألمانيّ أمام عكّا إبّان الحملة الصّليبيّة الثّالثة، ثمّ تحوّله إلى جماعة الفرسان التيوتون، كان وليد فترة حالكة في تاريخ المملكة الصّليبيّة التي تداركها الغرب الأوربي. على أنّ هذه الهيئة ما لبثت أن تطوّرت في ظرف وجيز، وأضحت جماعة ثابتة لها قوانينها وقواعدها وكذا إحدى أهمّ التّنظيمات العسكريّة ببلاد الشّام، إذ شكّلت شوكة في جنب الجيوش الإسلاميّة، على الرّغم من أنّ تاريخ الهيئة العسكريّ في بلاد الشّام لم يرق لتاريخ هيئتي الدّاويّة والإسبتاريّة العسكريين، لكن ولعدّة اعتبارات سرعان ما غيّرت حيّز نشاطها من بلاد الشّام إلى شرقي أروبا الوسطى.

(1) انظر: Sterns, The Statutes, Op., Cit, P.22.

III. الهيكل الإداري لتنظيم الفرسان التيوتون في بلاد الشّام.

لاشكّ أنّ اعتراف البابوية بجماعة التيوتون في سنة 1199م كثالث تنظيم حربي في الشّرق الأدنى الإسلامي إلى جانب هيئتي الدّاوية والاسبتارية، جاء بقيمة إضافية للجهد العسكري المكثّف الذي كان يُبذل من طرف الصّليبيين في قتال المسلمين. وبات من الضّروري بل من المستعجل احتواء هذه الجماعة للاستفادة من طاقاتها الحربية عن طريق هيكلة صفوفها والعمل على تطوير جناحيها، الخيري والعسكري بدرجة أكبر، وفق مجموعة تشريعات تضبط شؤونها وتقوّم عمل أعضائها.

على أنّ المتتبّع لتاريخ هيئة الفرسان التيوتون، سيلحظ دون شكّ، أنّه لم يكن للجماعة الألمانية قبل عام 1198م نواميس محدّدة تضبط عملها، لكنّ المؤكّد أنّ أعضائها التزموا في بدايات تأسيس المشفى بأفكار القدّيس بندكت"St Benedict"* الشّائعة أنذاك واستمد تشريعاته ابتداء من هذا التّاريخ حينما تمّ وسم المشفى الألمانيّ بالطّابع العسكريّ أكثر من كونه مؤسّسة خيريّة[1].

1. قوانين هيئة فرسان التيوتون وتنظيمها الدّاخليّ:

الواقع إنّ التنظيم الفتيّ كان ملزما بناء على قرار سنة 1198م بتبنّي مزيج من قوانين وتقاليد هيئتي الدّاويّة والاسبتارية بهدف رسم مسؤوليّات الإخوة في التّنظيم بين المهارة الحربيّة والعمل التّطوّعي، وفيما يخص الجانب الحربي، ركن الألمان إلى القواعد العسكريّة الصّارمة التي اعتمدها فرسان الهيكل والمتعلّقة بالمقاتلين ورجال الدّين، أما في الشّأن الإنساني، فإنّهم استندوا إلى لوائح فرسان الاسبتارية التي تغطي مسألة رعاية المرضى ومساعدة الحجّاج الفقراء[2].

---

(1) انظر: Sterns, The Teutonic knights , P.323; The Statutes, P.5, 129-130.

(2) انظر: Morton, The Teutonic knights, P.144-145.

*: نسبة إلى القدّيس بندكت النورسي (547/480م) مؤسّس الرّهبنة الغربيّة، ولد في قرية نورسيا"Nursia" ببلدة سبوليتو"Spoleto" الإيطاليّة، ينتمي بندكت لأسرة أرستقراطيّة. توجّه إلى مونت كاسينو"Monte Cassino" جنوبي شرق روما بعدما كان ساخطا على حياة الترف التي كانت تحيط به وأقام ديرا جلس فيه متعبّدا أين ألّف فيه قوانينه التي انتشرت على نطاق واسع جدّا في غربي أوربا، وقد اشتملت على سبعة وثلاثين فصلا مع مقدّمة مقتبسة من الكتاب المقدّس. لمزيد من التّفاصيل عن هذه الشّخصية ودورها في بعث نظام الرهبنة في غرب أوربا ارجع إلى: مليكة بن ريّة، المرجع السّابق، ص ص 53-57؛ ارجع أيضا إلى: Sterns, The Statutes, PP.119-120.

وفي هذا الصّدد، علّق جاك الفتري على هذه النّقطة في نصّ جاء فيه مايلي: "**وهؤلاء الرّجال يتبعون تماما قواعد ومبادئ أخويّة فرسان المعبد في السّلم والحرب معا، ومثل أخويّة مستشفى القدّيس يوحنّا كانوا يرعون المرضى والغرباء وآخرين في مستشفاهم الذي يدعى مستشفى القدّيسة مريم في بيت المقدس**"(1).

لا ريب في أنّ اللوائح التّشريعيّة التي تبناها التنظيم الحربي الجديد ببلاد الشّام قد شكّلت أنموذجا إداريّا فريدا باركته السّلطات الدّينية والدنيوّية ورأته الأنسب للاحتذاء به(2)، غير أنّه سرعان ما حدث شرخ في علاقة الفرسان التيوتون بهيئتي الداوية والاسبتارية استمرّ على مدى عقود، وظهرت أولى بوادر الصّراع في مجمع لاتيران الرّابع"Lateran IV"* بعد اعتراض هيئة الدّاوية على زيّ تنظيم التيوتون الرّسمي من جهة، ومطالب الاسبتارية المتجددة بأحقيّتها في الوصاية من جهة أخرى(3).

الواقع، إنّ القوانين التي تأسّت بها هيئة فرسان التيوتون، تعدّ مجرّد لبنة أولى، ذلك أنّ الهيئة حرصت على تحقيق استقلاليتها عن الدّاوية والاسبتارية عبر استحداث دستورها الخاصّ، وتكييف قواعد جديدة تلاءم طبيعة نشاطها، إذ تجسّدت مساعي الفرسان التيوتون على أرض الواقع في عام 1244م، حينما تمكّن القائمون عليها من إدخال بعض تعديلات على القوانين التي ورثتها بموجب تشريع البابا إنوسنت الرّابع" Innocent IV" (1254.1243م) الذي سمح بإضافة أو حذف ما يراه التنظيم مناسبا لمتطلّبات ومسؤوليّات الإخوة(4).

---

(1) يعقوب الفيتري، المصدر السّابق، ص 94.

(2) انظر: Morton, The Teutonic knights, P.145.

ويمكن أن نستشفّ ذلك من خلال موافقة البابا جريجوري التّاسع على قرار رئيس أساقفة ونشستر وبطريرك بيت المقدس حول اقتداء هيئة القدّيس توماس الإنجليزيّة بالقوانين التي كيّفتها هيئة الفرسان التيوتون.

(3) انظر: Sterns, The Teutonic knights , P.327; The Statutes, PP.41-42.

(4) انظر: Sterns, The Statutes, P.50.

**: يعدّ المجمع الكنسي الثاني عشر للكنيسة الكاثوليكيّة، عقدت أشغاله بدعوة من البابا إنوسنت الثّالث في نوفمبر/تشرين الثّاني 1215م في كاتدرائيّة يوحنّا اللاتيراني بروما بحضور 400 أسقف و800 رئيس دير فضلا عن ممثلي ملوك أوربا ليكون أعظم لقاء من نوعه في العصور الوسطى. كانت نيّة عقد المجمع تتمحور حول كبح عصيان الأساقفة المتمرّدين الذين لم يلتزموا بالعقيدة والإيمان، غير أنّ سجن بطريرك الإسكندريّة وانتصار المسيحيين في معركة حصن العقاب حوّل اهتمام الحاضرين عن القضيّة الأساسيّة وركّز المجمع على مسألة الصّراع الصّليبي . الإسلامي وضرورة استرجاع الأراضي المقدّسة. لمزيد من التّفاصيل ارجع إلى: Damian J. Smith and Jessalynn L. Bird, The fourth Lateran Council and the crusades, In The fourth Lateran Council and the Crusade movement the impact of the Council of 1215 on Latin Christiandom and the East, Edited By Jessalynn L. Bird and Damian J. Smith, Brepols, 2018, PP.2-8.

ومن الواضح أنّ هذه القوانين الموروثة ما فتئت تخضع لتعديلات مستمرة، ففي خمسينيّات القرن الثّالث عشر الميلادي حمل نائب المقدّم الأوّل لفرسان التيوتون إيبرهارد أوف ساين"Eberhard of Sayn" إلى بروسيا لائحة منقّحة تتضمّن قواعد وتشريعات مفصّلة[1]. وفي العقد الموالي ظهرت نسخة أخرى يرجّح أن تكون النّهائيّة، واشتملت على ثلاثة أجزاء رئيسيّة جمعت في كتيّب واحد يتضمّن القواعد، القوانين والأعراف التي تسيّر عمل التنظيم، بالإضافة إلى أقسام فرعيّة أخرى تتناول الشعائر الدّينيّة وكذا مراسيم الولاء، وقد صيغت في كتيّب واحد باللغة اللاتينيّة سمي بكتاب التّنظيم"Ordenbuch"[2]. والواقع أنّ التّغييرات التي طرأت على دستور هيئة فرسان التيوتون كانت على مستوى الفروع وليس الأصول، هذه الأخيرة التي بقيت في مجملها لا تزال تشكّل امتدادا لتلك التي أخذتها عن الدّاويّة والاسبتاريّة، حيث ظلّت البنيّة الدّاخليّة لهيئة الفرسان التيوتون مطابقة لهما إلى حدّ بعيد.

وقبل الخوض في معالجة البنية الإداريّة للفرسان التيوتون، وجبت الإشارة إلى شروط الانخراط التي وضعها التّنظيم، حيث كان على الرّاغب في الالتحاق أن تتوفر فيه جملة من الخصائص أهمّها أن يكون انتماؤه حصرا إلى طبقة النبلاء الألمان*، حاملا لقب فارس، شديد البنية لا يقل سنّه عن خمسة عشر عاما، أعزبا ويتمتّع بسمعة طيّبة[3].

وعملا بقواعد هيئة الدّاويّة في اختيار أعضائها، فإنّ المترشّح كان يخضع إلى المساءلة بغية التّحقّق من مدى رغبته وقدرته على الالتزام بكلّ شروط المنصوص عليها في كتاب التّنظيم، فإذا ثبت ذلك كان عليه القيام بواجب القسم المبنيّ على النّذر الدّيريّة الثلاثة: الفقر، العفّة والطّاعة، فضلا عن بذل نفسه لقتال أعداء المسيحيّة وخدمة المرضى والفقراء [4] وقد ورد نصه كالتّالي:

---

(1) انظر: Morton, The Teutonic knights, P.145.

الواقع أنّ التنظيم لم يتقيّد بهذا الشّرط إذ سمح بانتساب عناصر لا تنحدر من العرق الألماني، وتندرج تحت هذا الصّنف فرقة التركوبولي "Turcopoles". كما كان لابدّ على المترشّح حفظ قانون الإيمان باللغة اللاتينيّة في ظرف ستة أشهر، لكنّ هذا القانون عدّل على عهد المقدّم الأوّل للتنظيم وارنر أوف أورسلن"Werner of Orseln" (1324-1330م) ونهج خلفاؤه نهجه، حيث سمحوا بحفظ دستور الهيئة باللغة الألمانيّة كون اللغة اللاتينيّة اعتبرت عقبة صعبة التذليل في وجه الرّاغبين في الانضمام إلى التّنظيم، انظر: Sterns, The statutes, P.54.

(2) انظر: Sterns, The Statutes, P.47-50 ; Morton, The Teutonic knights, P.145-146.

(3) نبيلة إبراهيم مقامي، فرق الفرسان الرّهبان في بلاد الشّام في القرنين الثّاني عشر والثّالث عشر الميلاديّين، مطبعة جامعة القاهرة، 1994، ص ص 183-184.

(4) انظر: Sterns, The statutes, PP.206-208.

" أنا (المترشّح) أعترف وأقسم بالعّفة ونكران الذّات، وطاعة الله والقدّيسة مريم العذراء وإليك أخي(المقدّم الأوّل) ولخلفائك من بعدك وفقا لقواعد وقوانين التنظيم حتّى الموت"(1).

الحقيقة إنّ الإخوة في تنظيم فرسان التيوتون، وعلى عكس التّنظيمات الأخرى التي أقسمت على العيش وفق نمط حياة متقشّفة قاسية قد التزموا بدرجة أكبر بهذه المبادئ . على الأقل خلال تاريخ وجودها ببيت المقدس . مقارنة مع تلك التي سارت عليها هيئتا الدّاويّة والإسبتاريّة، فبالنسبة للدّاوية فقد انحرف أعضاؤها الملقبون بجنود المسيح الفقراء وانغمسوا في حياة الترف، والأمر ذاته ينطبق على الإخوة في هيئة الإسبتارية الذين ازدادو بعدا عن الأهداف الأصلية تسببت في تهاويهم حينما نسج هذان التنظيمان شبكات دولية غايتها الأساسيّة جمع الثروة وتحقيق المكاسب الدنيوية.

وبشأن تعداد التّنظيم في الشّرق الأدنى الإسلامي، فمن الصّعب تحديده في ظلّ النقص الفادح في المصادر المتعلقة بهذا الشّق. لكن على الرّغم من ذلك، فإنّ هناك إشارة إلى العدد الذي كان باستطاعة الهيئة المساهمة به في المعارك قدّره بيتر أوف دوسبورغ"Peter of Dusburg" بحوالي عشرة فرسان وهذا في عام 1210م في نصّ جاء فيه"... **كان بإمكان التّنظيم تجهيز عشر فرسان لميدان القتال وليس أكثر من ذلك...**" (2). إنّ هذا الرّقم على الرغم من تواضعه إلاّ أنّه منطقيّ بالنّظر إلى أنّها كانت لا تزال في أولى مراحل تشكّلها. وفي عام 1244م تضاعف عددهم ليصبح حوالي أربعمائة فارس حسب رسالة روبرت"Robert" بطريرك بيت المقدس الذي قدّم وصفا دقيقا لهزيمة الصّليبيّين في معركة لافوربي"La Forbie "*(3).

لاشكّ أنّ العدد الذي ورد ذكره في الرّسالة مبالغ فيه، خاصّة وأنّ اهتمام فرسان التيوتون في هذه المرحلة كان منصبّا على تنصير الشّعوب الوثنيّة القاطنة في منطقة جنوبي شرق حوض البلطيق ولم يكن بمقدورها تجنيد مثل هذا العدد وبذل ذلك المجهود العسكري للأحداث الحاصلة في بلاد الشّام وهي تدرك يقينا

---

(1) "بالتصرف" نقلا عن: Christiansen Eric, The northern crusades Baltic and the Catholic frontiers 1100-1525, The Macmillan press LTD, 1980, PP.82-83.

(2) انظر: Peter of Dusburg, Chronicon Terrae Prussie, In Morton, The Teutonic knights, P.152.

(3) انظر: Morton, The Teutonic knights, P.152.

*: وردت الرّسالة في حوليات أدم من ساليمبن"Salimbene of Adam"، وجاءت بمعطيات مفصّلة عن الخسائر التي تكبّدتها التنظيمات الرّهبانيّة، حيث ذكرت أنّ عدد النّاجين من المشفى الألماني ثلاثة إخوة فقط، فيما أبيد أربعمائة مقاتل. نقلا عن: Morton ,The Teutonic knights,P.152.

استحالة منافسة تنظيمين بحجم الدّاوية والاسبتارية، فضلا عن التهديد الإسلامي الجاثم على الممتلكات الصّليبية.

أمّا بشأن التّنظيم الدّاخلي لتنظيم الفرسان التيوتون، فإنّه انقسم في البداية إلى طبقتين متكاملتين فيما بينهما وهما طبقة الفرسان وطبقة رجال الدّين، وسرعان ما أضيفت إليها طبقة ثالثة وهي طبقة الخدم والمساعدين العلمانيّين:

أ. طبقة الفرسان النّبلاء: تعدّ نواة التّنظيم الألمانيّ، والفئة الأبرز المحتكرة لدواليب الإدارة، تشتمل على خيرة الفرسان ذوي العرق الألماني النبيل، كانوا مجهّزين بالدّروع الثّقيلة، تميّزهم عباءة بيضاء عليها صليب أسود. تندرج تحت فرقة الفرسان جماعة الرّقباء أو السراجنة"Sergeants"* غير النّبلاء منهم السّراجنة المقاتلون "Sergaents at arms" والسّراجنة الإداريّون والحرفيّون"Sargeants at office"[1].

بالإضافة إلى هؤلاء، ضمّ التّنظيم عناصر مرتزقة لقّبوا باسم التركوبول"Turcopoles"** وينحدرون من أسر غير نبيلة يتميّزون بمهارات قتاليّة وحرفيّة. تشكّل هذه الفئة سلاح الفرسان الخفيف في التّنظيم، وهي بمثابة الكشّافة على ميدان المعارك، حيث تتموقع في طليعة الجيش أو خلفه. تسند قيادة هذه العناصر إلى واحد منهم يدعى التركوبولي، يتمّ اختياره من طرف المقدّم الأوّل والماريشال ويخضع مباشرة لهذا الأخير[2].

ب . الرّهبان ورجال الدّين: تتضمّن الكهنة والوعّاظ، وتتمثّل مهمّتهم في الإشراف على أمور العبادات علاوة على وضع التّشريعات والقوانين التي يستنّ بها الإخوة في التّنظيم[3].

ج . الإخوة العلمانيّون الخدم: وهي الفئة التي عنيت بالجوانب الإنسانيّة كالاهتمام بالمرضى والمصابين والحجّاج الفقراء، بعضهم كان يقدّم خدماته لأسباب دينيّة فيما تقاضى بعضهم راتبا نظير خدماتهم[4].

---

(1) انظر: Sterns, The Statutes, PP.7-8, 187-188; Woodhouse, Op.Cit., PP.267-268.

(2) انظر: Morton, The teutonic knights, PP.147,152.

(3) انظر: Woodhouse, Op.Cit., P.267.

*: مرتزقة مسيحيّون محليّون، يشير ألبرت من آخن إلى أنّهم ولدوا من أب تركي وأم يونانيّة، خدموا كمحاربين في صفوف الإمبراطوريّة البيزنطيّة في منطقة البلقان وفي صفوف الصّليبيّين في المشرق الأدنى الإسلامي، لمزيد من التّفاصيل عن أصلهم وعن نشاطهم في أوربا وفي المشرق الإسلامي، ارجع إلى: Albert of Aachen, History of the journey to Jerusalem, Ed and Trans. By Susan B. Edgington, Oxford university press, 1ST Pub., 2007, PP.45, 79, 81, 311, 343; Murray, Op.Cit., P.1207-1208.

(4) انظر: Woodhouse, Op.Cit., P.267.

2. الجهاز الإداري لهيئة فرسان التيوتون:

على غرار تنظيم الدّاوية، أرست هيئة الفرسان التيوتون جهازها الإداري على أساس نظام سيستريانيّ"Cistercian"* فيدرالي جسّد المفهوم الفعليّ لهيكل محكم وقويّ خاصّة من النّاحيّة القياديّة[1] على عكس الهياكل الإداريّة التي ارتكزت عليها التنظيمات الرهبانية العسكرية اللاحقة، وكانت تسيّر إدارة الهيئة من قبل مجموعة من الأعضاء وفق سلّم وظائف يتوزّع كالتّالي:

. **المقدّم الأوّل "grand master"**: أو رئيس الهيئة الذي يمثّل السّلطة التنفيذيّة في التّنظيم، له حق الفصل في القرارات وتوقيع العقوبات، على أنّ هذه القرارات كانت تخضع للمشاورة ولم ينفرد باتّخاذها، كما كان مكلّفا بتوفير مصادر تمويل الهيئة. وبناء على شروط ينتخب المقدّم الأوّل لمدى الحياة من طرف مجلس انتخابي** وتتم المصادقة على فوزه من طرف البابا وتمنح له شارة القيادة وختم التنظيم، له امتياز الحصول على طاقم مساعدين[2].

من بين المناصب الهامّة التي تلي رتبة المقدم الأوّل هما درجتا القائد الأكبر والمارشال، وكلاهما ينوب عن رئيس الهيئة، ومخوّل باتّخاذ القرارات عند غيابه.

. **القائد الأكبر"grand commander"**: كانت له صلاحيات المقدّم الأوّل في غياب هذا الأخير باعتباره نائبه الأوّل. تمثّلت مهمّته الأساسيّة في الإشراف على الأمور الإداريّة وكذا الشّؤون الماليّة داخل الهيئة وتموينها بالعدّة والعتاد[3].

. **المارشال"Marshal"**: القائد الحربي للتّنظيم، الملاحظ أنّ لهذه الشّخصية الهامة الأسبقيّة على القائد

---

(1) انظر: Sterns, The Statutes, P.138-139.

(2) انظر: Sterns,The Teutonic knights, PP.327-328; The statutes, PP.157-158.

(4) حول مقدّمي جماعة التيوتون بعد تحوّلها إلى تنظيم عسكري انظر الملحق رقم

(3) انظر: Sterns, The Teutonic knights, P.328-329; The statutes, PP.158-160, 163.

*: أقدم التنظيمات الدّيرية التّأملية في غرب أوربا، استوحيت الكلمة من اسم"Cîteaux" بالقرب من ديجون بوسط فرنسا، أُسّس سنة 1098م على يد روبرت مولزم"Robert of Molesme"، يعتمد النّظام الدّيري على قواعد القديس بيندكيت المعروفة بصرامتها الشّديدة. حصل الدّير على اعتراف رسمي من البابويّة . ارجع إلى: مليكة بن ريّة، المرجع السّابق، ص ص 94-100.

**: مؤلّف من ثلاثة عشر فردا، ثمانية فرسان وقسيس واحد بالإضافة إلى أربعة فرسان آخرين(أي الرّقباء الذين كان يشار إليهم أحيانا بهذا الاسم). لمزيد من التّفاصيل ارجع إلى: Sterns, The statutes, P.175.

الأكبر فيما يتعلّق بالشّؤون العسكريّة، مهمته الإشراف على جميع الإخوة الذين يحملون السّلاح، فضلا عن مسؤوليّته على كلّ ما يرتبط بميدان المعارك كالأسلحة والخيول وغيرها من مستلزمات الحرب. هذا وقد أسندت إلى المارشال مهمّة ترأس مجلس التنظيم في غياب المقدّم الأوّل. وممّا تجدر الإشارة إليه أنّه كان لكلّ من القائد الأكبر والمارشال مساعدين ينوبان عنهما في حالة غيابهما.

كان يكتمل الجهاز الإداري لتنظيم فرسان التيوتون بانتخاب أربعة ضباط برتب سامية تحت إشراف المقدّم الأوّل وأعضاء المجلس ولكلّ منهم مسؤوليّاته المحدّدة وتأتي هذه الرّتب كالتّالي:

. المسؤول الطّبي"Grand hospitaller": إنّ المشفى الألمانيّ وباعتباره نواة التنظيم فإنّه أولي عناية خاصّة، ويستشفّ ذلك من خلال المكانة الرّفيعة التي يحتلها المشرف على هذه المؤسّسة، حيث يتمّ تعيينه من قبل المقدّم الأوّل ومجلس الهيئة. كانت المهمّة الملقاة على عاتق المسؤول الطّبي هي الاهتمام بشؤون المشفى وإدارته من خلال مراقبة عمل طاقم الأطباء والمساعدين المنوطين بخدمة المرضى والمصابين والسّهر على راحتهم، علاوة على مسؤوليّاته الإنسانيّة المتمثّلة في الحرص على توزيع الصّدقات على المحتاجين(1).

. آمر قلعة مونتفورت/القرين*"Castellan": إذا كان يتمّ اختيار آمري القلاع الأخرى التّابعة للتّنظيم من طرف الحاكم المحليّ، فإنّ منصب آمر قلعة مونتفورت خضع مباشرة لمجلس الجماعة والمقدّم الأوّل وذلك باعتبار قلعة مونتفورت قاعدة التّنظيم وأهمّ مراكزه الإداريّة، ألغي هذا المنصب عقب سقوط القلعة في عام 1271م(2).

. وكيل الخزانة"Treasury": هو محاسب التّنظيم وأمين الصّندوق، مهمّته الإشراف على الموارد الماليّة للهيئة، كان هذا الأخير ملزما في نهاية كل شهر بتقديم تقرير مالي للمقدّم الأوّل. والجدير بالإشارة إلى أنّه كان

---

(1) انظر: Morton, The teutonic knights, PP.145-146; Sterns, The Teutonic knights, P.328-329

(2) انظر: Sterns, The statutes, PP.162-163 ; Morton, The Teutonic knights, PP.170-171.

*: تقع في شمالي فلسطين على بعد حوالي عشرين كلم شمالي شرق مدينة عكّا على الضّفة الغربيّة لنهر الجليل، ونسبة إلى وادي القرن فإنّها وردت في بعض المصادر التّاريخيّة باسم قلعة القرين، فيما سمّاها الألمان بشتاركنبورغ التي تعني التّل المنيع نسبة إلى موقعها، من المحتمل أنّ بناء القلعة كان بين سنتي 1227 و1228م. شكّلت مونتفورت قاعدة مركزيّة للفرسان التيوتون في الأراضي المقدّسة إلى غاية سقوطها على يد الظّاهر بيبرس في سنة 1271م/669هـ. لمزيد من التّفاصيل حول القلعة أنظر: Pringle R. Denys Leach Peter E. :(1986), A thirteenth century hall at Montfort castle in western Galilee, the antiquaries journal,Vol.,66, Issue 1, March, PP.52-81 .

للخزانة ثلاثة مفاتيح موزّعة على المقدّم الأوّل والمراقب العام بالإضافة إلى وكيلها[1].

. المسئول عن الملابس والأسلحة"Drapier": تعود آخر رتبة رفيعة إلى هذا الأخير، حيث تقع على عاتقه مهمّة تنسيق ملابس الفرسان والإخوة في التّنظيم، وكانت أزياؤهم على اختلاف طبقاتهم تتمّيز بالبساطة والتّواضع وتعكس مظاهر التّقشّف والزّهد التي تعدّ من المبادئ الأساسيّة للنّظام التي أقسموا على العمل بها[2].

. الزيّ الرّسمي لتنظيم الفرسان اليتوتون: أمّا عن زيّ التّنظيم الرّسمي فهو عبارة عن عباءة بيضاء يتوسّطها صليب أسود يزيّنه رمز الإمبراطوريّة الجرمانيّة الأصفر تمييزا لهم عن غيرهم[3]. وقد ورث فرسان التيوتون العباءة عن هيئة الدّاويّة ولطالما شكّلت هذه النّقطة محور نزاع مع الدّاوية استمرّ عقودا، حيث طالبت هذه الهيئة بسحب امتياز ارتدائه من فرسان التيوتون. وعلى الرّغم من أنّ البابا إنوسنت الثّالث كان قد أذعن لمطالب الدّاويّة في سنة 1210م، إلاّ أنّه سرعان ما تراجع عن القرار بعد عقد تسوية بين الطّرفين ومنح للتّنظيم حقّ ارتداء العباءة البيضاء، لكنّ النّزاع ما لبث أن تجدّد، ولم ينجح توسّط البابا هونوريوس الثّالث" Honorius III"* لإنهاء الخلاف القائم بين الطّرفين؛ فيما توصّل البابا جريجوري التّاسع"Gregory IX"** إلى الفصل في قضية الرّداء نهائيّا في سنة 1230م بعد الخطاب الشديد اللهجة الذي وجّهه لهيئة االدّاويّة، يحذّرها فيه من مغبّة إزعاج تنظيم التيوتون وضرورة وضع الخلاف جانبا وتوجيه كافّة طاقاتهم لعدو المسيحية المشترك[4].

---

(1) انظر: Sterns, The statutes, P. 163.

(2) انظر: Loc.Cit.

(3) الفيتري، المصدر السّابق، ص91؛ ضبيع، المرجع السّابق، ص 362.

حول زي تنظيم فرسان التيوتون انظر الملحق رقم (3)

(4) انظر: Sterns, The Teutonic knights, P.323.

*: (18 جويلية 1216م . 18 مارس 1227م) اسمه المدني سينسيو سافيلي"Cencio Savelli" ولد بروما من أسرة ثريّة، تدرّج في السّلك الكنسي، عيّن حاجبا للبابا سنة 1188م، ثمّ كاردينالا سنة 1193م، ثم كاردينالا أسقفا، وفي سنة 1197م أصبح معلّما لوريث الإمبراطورية الصّغير فريدريك الثّاني، تمّ اختياره بابا خلفا لإنوسنت الثّالث من طرف لجنة خاصّة. ارجع إلى: J.N.D. Kelly ,The Oxford dictionary of popes, Oxford university press,Oxford NewYork,First pub. ,1986,PP.188-189.

**: (1227.1241م) اسمه الحقيقي هوغولين "Hughlin"، عيّنه عمّه البابا إنوسنت الثّالث عام 1198م كاردينالا ورئيس شماسة كنيسة القديس أوستاس، ثم تدرّج في السلك الكنسيّ حتى تمّ انتخابه على الكرسيّ الرّسولي في مارس عام 1227م ونصّب في أفريل من نفس السّنة. دخل في صراع مرير مع الإمبراطور فريدريك من أجل القيام بحملة صليبيّة سادسة، ومن أهمّ أعماله إصداره مجموعة تشريعات تضبط نشاط الكنيسة الكاثوليكيّة في 1234م. أنظر: Ibid., PP.189-191.

لاشكّ أنّ تطوّر هيئة فرسان التيوتون ونمو مكاسبها داخل وخارج الأراضي المقدسّة منذ مطلع القرن الثّالث عشر الميلاديّ، وخاصّة عقب تثبيت أقدامها خارج بلاد الشّام، فإنّ الجهاز الإداريّ للتّنظيم بات يتطلّب إيجاد مناصب سامية أخرى وتعيينات جديدة، إذ سرعان ما استحدث على مستوى الجهاز الإداري منصب حاكم الإقطاعيّة وتوكل له مهمّة تسيير إقليم من الأقاليم التّابعة للهيئة.

بناء على ما تقدّم ذكره، يستشفّ أنّ الجهاز الإداري لتنظيم فرسان التيوتون كان على درجة عالية من الصّرامة والانضباط، حيث إنّ سلّمه الوظائفي عمل وفق ديناميكيّة متناسقة، ففي حالة غياب القائد الأعلى فإنّ سلطات هذا الأخير تؤول إلى المسؤول الذي يليه في القيادة مباشرة، على أنّ القرارات الهامّة لم يستأثر بها كبار القادة داخل التّنظيم، بل كانت تخضع دوما لمبدأ الشورى، ممّا يدفع إلى القول أنّ الجماعة الألمانية قد أرست لنظام إداريّ هدفه الأساسيّ تغليب مصلحة التنظيم في المقام الأوّل.

IV . الدّور العسكري لهيئة فرسان اليتوتون في الشّرق الأدنى الإسلامي.

منذ بداية نشأتها، أدّت الهيئات الرّهبانيّة العسكريّة دورا بارزا في سير مجريات الحملات الصّليبيّة التي استهدفت بالأساس انتزاع الأراضي المقدّسة من المسلمين، ولذلك فإنّها اعتبرت سندا ودعما عسكريا ولوجيستيا للقوّات الصّليبيّة في حروبها ضدّ الجيوش الإسلاميّة. والحقيقة أنّ هذه التّنظيمات قد شكّلت تهديدا فعليا بالنّظر إلى مهارتها الحربيّة وانضباطها في ميدان المعارك، فضلا عن تطرّفها وكرهها الكبير للمسلمين النّابع من تديّنها الشّديد.

إنّ بروز الشّخصيّة العسكريّة لهيئة فرسان التيوتون وظهورها على مسرح الأحداث في بلاد الشّام بصورة واضحة لم يبرز إلاّ إبّان الحملة الصليبيّة الخامسة على مصر، حينما بدأت الجماعة الألمانيّة ترسّخ أسسها في الشرق الأدنى الإسلامي، وتحديدا خلال ولاية المقدّم الأوّل هرمان سالزا"Hermman Von Salza"* الذي حرص منذ بداية تنصيبه في سنة 1209م على إيجاد مكانة مميّزة لفرسانه إلى جانب الدّاوية والإسبتاريّة بل ومنافستهما، وذلك من خلال مشاركة التّنظيم ضمن القوّات الصليبية في حربها ضدّ المسلمين.

1. الحملة الصّليبيّة الخامسة على مصر ودور فرسان التيوتون في حصار مدينة دمياط**:

لم تكن وفاة البابا إنـوسنت الثّالث في سنة 1216م لتوقف سير الحملة الصّليبيّة التي دعا إليها ضدّ الشّـرق الأدنى الإسـلامي في مجمع لاتيران الرّابع 1215م، إذ سار على نهـجه خليفته البابا هـونـوريوس الثّالث الذي استمرّ في الإعداد لها[1]، وبعد اكتمال التحضيـرات العسكـرية، انطلقت الحملة في اتّجاه مملكة عكّا، وفي سبتمبـر/أيلول سنة 1217م نزل بها الجيش الصليبي بقيادة ملك هنجاريا أندرو الثّاني

---

(1) انظر: Roger of Wendover, Flowers of history, Trans. By J.A.Giles, Vol.2, London, 1849, P.405.

*: (1210.1239م) ولد هرمان في حوالي سنة 1180م، ينتمي إلى عائلة ثورنجيّة، وهو المقدّم الرابع لهيئة فرسان التيوتون، يعدّ المؤسّس الحقيقي للهيئة ، فخلال فترة ولايته عليها، انتقلت هذه الأخيرة من تنظيم متواضع إلى تنظيم أكثر فاعلية وتأثيرا على ساحة الحروب الصليبيّة من خلال قراراته الحاسمة ومساعيه الجادة لتوسيع ممتلكات ومكاسب الجماعة، كما لعب دور الوسيط لإصلاح ذات البين بين الإمبراطور فريدريك الثّاني والبابا جريجوري التّاسع. ارجع إلى: Alan Murray, Op.Cit.,P .579-580 .

**: تعدّ أحدى أهمّ المدن المصرية وأحصنها إلى جانب الإسكندريّة والقاهرة، تقع في أقصى شمالي مصر، استهدفها الصّليبيّون في مناسبات عديدة أوّلها الحملة الصّليبيّة الثّالثة وأبرزها كانت الحملة الخامسة وحملة لويس التّاسع في منتصف القرن الثّالث عشر الميلادي غير أنّ مشروع الصّليبيّين للاستيلاء على دمياط فشلت فشلا ذريعا. لمزيد من التّفاصيل عن تاريخ دمياط في عهد الحروب الصّليبية ارجع إلى: جمال الدّين الشّيال، مجمل تاريخ دمياط، ط.1، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، 2000.

"Andrew I"(1205.1235م)*، وفي شهر أكتوبر/تشرين الأوّل من نفس السّنة عقد مجلس هام في مدينة عكّا تحت رئاسة الملك أندرو الثّاني نفسه[1].

في الحقيقة، يكتسي هذا اللقاء أهميّة قصوى على صعيد الصّراع الإسلامي – الصّليبي، فإضافة إلى استعداد الصّليبيين لتشكيل كتلة موحّدة لتوجيه ضربة قاسمة لمصر التي تعدّ القلب النّابض للمقاومة الإسلاميّة ضدّ هذا الاجتياح والإجهاز عليها، فإنّ هذا اللقاء شكّل مناسبة لظهور التنظيم الألماني لأوّل مرّة على مسرح الأحداث العسكريّة في الشّرق الأدنى الإسلامي، وتدعّم بإعلان فرسان التيوتون الانضمام إلى هذا التكتّل الصّليبي وذلك من خلال ما سجّله قائدهم هرمان سالزا من حضور لافت[2].

والأمر المؤكد أنّ فرسان التّنظيم لم يكونوا بمعزل عن الأحداث الحاصلة في بلاد الشّام ويحتمل جدّا أنّهم شاركوا في هجومات الصّليبيين على بلدة بيسان والمناطق المجاورة وتخريبها في نوفمبر/تشرين الثّاني سنة 1217م /614هـ) وذلك بعد انسحاب الملك العادل(1145–1218م)**[3]؛ ولم يلبث الصّليبيّون أن توجّهوا بقيادة ملك بيت المقدس جان أوف برين"John of Brienne"*** إلى حصن الطّور الذي شكّل تهديدا عليهم،

---

(1) انظر: James M. Powell, Anatomy of a Crusade 1213-1221, University of Pennsylvania Press, 1986, PP.127-128.

(2) انظر: Morton, The Teutonic knights, P.32.

لاشكّ أنّ جماعة الفرسان التيوتون برزت بحلول هذا الوقت كأحد أطراف الصّراع الصّليبي ـ الإسلامي، خاصّة أنّ هذا التّنظيم قد سجّل تطوّرا تدريجيا على عهد المقدمين أوتو فون كربن"Otto von Kerpen"(1200.1208م) وهنري فون تونا "Heinrich von Tunna" (1208.1209م) وقد أبانت عن اقتدار عسكري كبير في درأ تهديد الوثنيين عن مملكة المجر على عهد هرمان سالزا، وعليه فإنّ اعتماد الملك أندرو عليها لمهاجمة مصر كان نابعا من إعجابه بقوة أفرادها ومهارتهم في ميدان المعركة. لمزيد من التّفاصيل حول نشاط الفرسان في المجر أنظر الفصل الثّاني من هذا البحث.

(3) ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تح. جمال الدّين الشّيال، ج 3، ص ص 254–256.

*: (1205–1235م)، ولد أندرو في حوالى سنة 1177م وهو الابن الثّاني للملك بيلا الثّالث"Béla"(1172–1196م)، كان أوّل ملك هنغاري يشارك فعليّا في الحملات الصّليبيّة على الشرق الأدنى الإسلامي مع ابن عمّه دوق النّمسا ليوبولد السّادس "Leopold VI". والواضح أنّ حملة الملك أندرو سنة 1217م جاءت في إطار سياسته الخارجية القاضية بتأكيد سيادة هنجاريا على البلدان المجاورة وعلى رأسها غاليسيا"Gallicia" ودالماشيا"Dalmatia"، استنجد الملك أندرو بالتّنظيم لدرأ خطر القبائل الوثنيّة على حدوده الجنوبيّة ولم يلبث أن طردهم من أراضيه بعد تعاظم نفوذهم.

**: (1145.1218م) هو سيف الدّين احمد شقيق الملك النّاصر صلاح الدّين، تكريتي المولد، نشأ في خدمة نور الدّين زنكي، ولي حلب من طرف شقيقه صلاح الدّين بين 1183–1186م تمكّن من رأب الشقاقات التي ظهرت في الدّولة الأيوبيّة بعد وفاة شقيقه واستطاع توحيد الدّولة الأيوبيّة تحت سلطته. توفي العادل سنة 1218م بينما كان الصّليبيّون على مشارف مدينة دمياط.

***: أو يوحنّا الأوّل، آل إليه عرش مملكة بيت المقدس (1210 إلى 1225م). انتهج في بداياته سياسة المهادنة مع المسلمين بهدف التّفرغ لتصفية مشاكل الصّليبيّين الدّاخلية، ولعب دورا بارزا في سير الحملة الصّليبيّة الخامسة على مصر. أنظر: سعيد عاشور، المرجع السّابق، ص199.202، 212.227.

وقادوا أوّل هجمة بهدف الاستيلاء عليه في مطلع 3 ديسمبر/ كانون الأوّل(2 رمضان 614هـ) لكنّهم فشلوا في ذلك[1]، وعادت التّنظيمات الرّهبانية العسكرية لتجدّد هجماتها في محاولة لاقتحام الحصن وفق ما ذكره أليفر أوف بادربورن"Oliver of Paderborn"* في كتابه تاريخ دمياط"Historia Damiatina" ومن غير المستبعد أنّ يكون الفرسان التيوتون ضمن هذه التّشكيلات العسكرية[2].

الواقع، إنّ حملة الملك الهنجاري لم تكن بمستوى تطلّعات الأمراء الصّليبيين والبابوية على حدّ سواء، إذ سرعان ما قرّر أندرو الثّاني العودة إلى بلاده بعد أن برّ بقسمه على الرّغم من المعارضات الشّديدة له في أوساط الصّليبيين في بلاد الشّام؛ وإذا كان موقف الملك أندرو أثّر سلبا على سير الحملة، إلاّ أنّه قد عاد بفائدة كبيرة على تنظيم الفرسان التيوتون الذي نال التّقدير والإعجاب فضلا عن المكاسب الهامة التي حقّقها هرمان سالزا لرجاله[3].

وبغض النّظر عن سير بقيّة مجريات الحملة التي كانت تنذر بفشلها منذ البداية، فإنّ ما يهمّ هذه الدّراسة هو تسليط الضّوء على مشاركة الفرسان التيوتون ضمن الجيوش الصّليبيّة في حصار دمياط والأحداث التي دارت رحاها على ضفاف النّيل، إذ يجوز القول بأنّ نشاطهم العسكريّ في بلاد الشّام بدأ فعليّا في خضمّ أعمال حصار هذه المدينة.

وفي أعقاب انسحاب الملك أندرو الثّاني، تواصلت تحضيرات الصّليبيّن استعدادا لشن هجماتهم في انتظار وصول بقيّة قوّات الحملة، وفي أثناء ذلك، شاركت جماعة من الفرسان التيوتون بدور بارز في بناء قلعة

---

(1) ابن واصل، المصدر السابق، ص 257؛ حسن عبد الوهاب حسين، المرجع السّابق، ص ص 160-161.

(2) أنظر: Oliver of Paderborn, Historia Damiatina, Ed By H. Hoogeweg, Die Schriften der Kolner Domscholasters, Spayeren Bischofs von Paderborn, Tubingen, 1894, P.167

(3) حسن عبد الوهّاب حسين، المرجع السّابق، ص 162.

*: (ت.1227م) أو المعلّم، هو واعظ صليبي شارك في الحملة الصّليبيّة الخامسة على مصر واعتبر الزّعيم الرّوحي للوحدات الفريزيّة والألمانيّة التي بلغت عكّا، أصبح في سنة 1201م رئيسا لمدرسة الكاتدرائيّة في كولونيا، وفي سنة 1215م شارك في أشغال مؤتمر لاتيران الرّابع. تولّى بادربورن مسؤوليّة تنظيم وتمويل الحملات الصّليبيّة في الأبرشيّة. يعدّ أوليفر أهم مؤرّخ للحملة الخامسة من خلال كتابه تاريخ دمياط" Historia Damiatina" الذي هو في الأصل عبارة عن رسائل إخباريّة كتبها وأعاد صياغتها في هذا المؤلّف، وله مؤلّفات أخرى أقلّ شهرة اعتمد فيها على مدوّنات وليام الصّوري ويعقوب الفيتري على غرار تاريخ الأرض المقدّسة"The Historia Terre Sancte". وبعد فشل الحملة الصّليبيّة الخامسة وعودته إلى موطنه عيّن أوليفر أسقفا لبادربورن في أفريل/نيسان سنة 1225م ثمّ شغل منصب كاردينال سانتا سابينا" Santa Sabina" إلى غاية وفاته في 1227م. لمزيد من التّفاصيل ارجع إلى: Murry, Op.Cit., PP.898-899.

عثليت* التي ستوفّر حماية للمنطقة ومحيطها منها مدينة عكّا عاصمة المملكة وقاعدة التّنظيم الألماني(1).

وبعد اكتمال تجمّع القوّات الصّليبيّة التي شرعت تتوافد على مملكة عكّا من مختلف ربوع أوربا عقد ملك بيت المقدس جان دي برين مجلسا لوضع خطّة محكمة للهجوم على مصر وترتيب مسألة إعداد وتموين الجيوش الصّليبيّة، وكان في طليعة الحضور ليوبولد"Leopold VI"** دوق النّمسا ورؤساء التّنظيمات الرّهبانيّة العسكريّة الكبرى من بينهم هرمان سالزا(2).

في 24 ماي/أيار من سنة 1218م – 615هـ) بلغت الأوامر للسّفن الصّليبيّة بالتّحرّك صوب دمياط، فيما تريّثت بقيّة القوّات الصّليبيّة وعلى رأسها جان أوف برين، هرمان سالزا وبقيّة الأمراء ورجال الدّين(3) على غرار أسقف مدينة عكّا جاك الفيتري(4) حتّى تستعدّ بقيّة السّفن الصّليبيّة؛ وفي أواخر ماي/ أيار(ربيع الأوّل) وصلت طلائع هذه القوّات بقيادة الكونت سيمون الثّاني ساربروكن" Simon II Saarbrucken" إلى مصر ونزلت بجيزة دمياط على الشّاطئ الغربي لنهر النيل وحصّنوا به معسكرهم بإحكام(5).

---

(1) حسن عبد الوهاب حسين، المرجع السابق، ص162؛ محمود سعيد عمران، الحملة الصّليبيّة الخامسة حملة جان دي برين على مصر 618.615/1221.1218هـ، دار المعارف، 1985، ص 177.

(2) محمود سعيد عمران، المرجع السّابق، ص 182.

(3) أنظر: Roger of Wendover, Op.Cit., P.405; Oliver of Paderborn, Op.Cit., PP.175-177.

(4) ويستشف ذلك من خلال الرسالة التي وجهها جاك الفيتري إلى البابا هونوريوس الثالث يصف فيها العوائق والصّعاب التي تجشّمتها الجيوش الصّليبيّة وهي متّجهة إلى دمياط. ارجع إلى: رسائل جاك الفيتري، دراسة وثائقيّة في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب 1200-1240م، ترجمة وتعليق عبد اللطيف عبد الهادي السيّد، ط.1، 2005، ص ص 101.109.

(5) أنظر: Oliver of Paderborn, Op.Cit., PP.177-178.

*: سميت كذلك بقلعة الحجّاج نسبة إلى الحجّاج النّصارى تقع على الطّريق السّاحلي بين حيفا وقيساريّة، أدّت القلعة دورا هامّا في عصر الحروب الصّليبيّة، أنشأتها جماعة الدّاوية بمشاركة بقيّة التّنظيمات الأخرى في سنة 1218م/615هـ، وأصبحت المقرّ الرّئيسي لها في أواخر وجودها ببلاد الشّام. لمزيد من التّفاصيل عن هذه القلعة ارجع إلى: فتحي سالم حميدي اللهيبي، حصن عثليت بناؤه ودوره في الحروب الصّليبيّة، مجلّة كليّة العلوم الإسلاميّة ، المجلد 3، العدد 5، 2009م، ص ص 109-131.

**: هو الابن الثّاني للملك ليوبولد الخامس(ت.1194م)، وريث دوقيّة ستيريا"Styria" الواقعة في الجنوب الشرقي للنّمسا وذلك بعد تقسيم المملكة سنة 1194م، آلت إليه دوقيّة النّمسا"Austria" في أعقاب وفاة شقيقه الأكبر سنة 1198م دون خليفة له. اشتهر ليوبولد السّادس بكونه صليبيا متحمّسا وشارك في الحملات على الهراطقة في فرنسا والمسلمين في بلاد الشّام وإسبانيا، توفي سنة 1230م بسان جيرمانو" San Germano" في إيطاليا. ارجع إلى: Murry,Op.Cit., PP.723-724

ويبدو أنّ التّنظيمات الرهبانيّة العسكريّة أخذت مواقعها ضمن معسكر الصّليبيّين وكانت على أهبة الاستعداد لبدء تنفيذ خطّة مهاجمة دمياط، وممّا وجب لفت الانتباه إليه، أنّ هذه الجماعات لم تنسلخ عن أهدافها الخيريّة بل إنّها اضطلعت بالمهام العسكريّة والخيريّة على حدّ سواء، وذلك في ظلّ حاجة الصّليبيّين الماسة إلى مستشفيات ميدانيّة بمقدار حاجتهم لفرسان ومقاتلين متمرسين أشداء، ويستشفّ ذلك من خلال ما أوردته وثيقة تعود لفارس ألماني اسمه سفادر فون دينجدن"Sweder von Dingden" حول إقامة فرسان التيوتون لمشفى ميداني[1] على الضّفة الغربيّة لنهر النيل لغرض الاهتمام بالجرحى والمصابين، خاصّة في ظلّ ما ذكره جاك الفيتري حول ظروف الشّتاء القاسية التي كابدها الجيش الصّليبيّ والأمراض التي حاقت بمعسكرهم[2].

وكما سبقت الإشارة إليه، فإنّ هرمان كان شديد الحرص على مشاركة جماعته بقدر فعّال في الحملة الصّليبيّة الخامسة سواء على مستوى الخطوط الدّفاعيّة أو الهجوميّة دون إغفال الجانب الإنساني الذي يفرض نفسه في مثل هذه الظّروف الحربيّة، ولهذا فإنّ فرسان التيوتون أخذوا مواقعهم منذ البداية للمشاركة في القتال الذي كان بطيء الوتيرة خلال هذه المرحلة وذلك في أعقاب محاولة الصّليبيّين الاستيلاء على برج السلسلة وسط النيل الذي شكّل بوابة لدخول دمياط واعتبر قفل الدّيار المصريّة[3]، وعليه فإنّ العقبة الأساسيّة أمام الصّليبيّين كانت تكمن في تخطّي برج السلسلة لأنّ سقوط البرج في أيديهم سيسهّل عبورهم النهر ويمكنهم من مهاجمة دمياط، وبعد محاولات مستمرّة صدّتها الجيوش الإسلاميّة ببسالة قيّض للصّليبيّين أخيرا الاستحواذ عليه في 24 أوت/أغسطس 1218م-29 جمادى أولى 615هـ)[4].

---

(1) أنظر: Karol Polejowski, The Teutonic Order during the Fifth Crusade and their rise in Western Europe The French case study (1218– 1258), In The fifth Crusade in context the crusading movement in the early thirteenth century Edited By E. J. Mylod and others, Routledge, 1st Pub., 2017, PP.195-196.

(2) وذلك في رسالة موجّهة إلى البابا هونوريوس الثّالث يعود تاريخها إلى الفترة الممتدّة بين سنتي 1218-1219م يصف فيها جاك الفيتري كيف انتشر مرض الديسونتريا"Dysentery" أو الزّحار وأمراض أخرى في أوساط الصّليبيّين أودت بأرواح الكثير من الصّليبيين. لمزيد من التّفاصيل حول هذا الموضوع انظر الرسائل، ص ص 103، 105.

(3) رسائل جاك الفيتري، الرسائل، المصدر السّابق، ص 103؛ محمود سعيد عمران، المرجع السّابق، ص ص 188.187؛ وقد وصفه روجر أوف وندوفر بأنّه برج عال رائع وهو مشيّد بالحجارة انظر: Roger of Wendover , Op.Cit., P.406.

(4) رسائل جاك الفيتري، المصدر السّابق، ص 103؛ حسن عبد الوهّاب حسين، المرجع السّابق، ص 164؛ محمود سعيد عمران، المرجع السّابق، ص 193.

الواقع أنّ التّنظيمات الرّهبانيّة العسكريّة قد لعبت، بالإضافة إلى مهامها الإنسانيّة، الدّور الأبرز في ضعضعة جبهة المقاومة الإسلاميّة[1]، وفي هذا الشّأن يذكر المؤرّخ الإنجليزي روجر من واندروفر" Roger of Wendover" أنّ الفضل في سقوط برج السلسة يرجع إلى محاولة قادها أدولف دو مونت" Adolf de Monte" كونت بورغ"Berg" بمعيّة الفرسان الفريزيّين والألمان[2] وعلى رأسهم فارس ألماني كان قد انظمّ لتنظيم الفرسان التيوتون حديثا واسمه ليتوت"Litot"[3] ممّا يوحي بأنّه كان للجماعة فعلا حضور قويّ في ميدان القتال.

بسقوط البرج واحتلال السلسلة فإنّ الطّريق فتح على مصراعيه أمام الجيوش الصّليبيّة للتّقدّم صوب دمياط وإلقاء الحصار عليها، وفي غربي النّيل أقاموا معسكرهم، وخلال فترة تواجدهم هناك اندلعت عدّة مناوشات بين الطّرفين وذلك في خضمّ المحاولات الاستكشافيّة العديدة للصّليبيّين بغية تهيئة سبيل العبور إلى الضّفة الشّرقيّة[4].

في خضمّ هذه الأوضاع، انتهز الملك الكامل* فرصة قلّة أعداد الصّليبيين في البرّ الغربي لنهر النّيل، وأملا في تخفيف الضّغط على دمياط، أمر قوّاته بالعبور إلى الجهة الغربيّة في 26 أكتوبر/تشرين الأوّل 1218م-4 رجب 615هـ، فشنّت هجوما مضادا على الصّليبيّين ودار على إثره اشتباك عنيف بين الطّرفين اللذين أبديا استبسالا ملحوظا، لكنّه انتهى بهزيمة المسلمين وتلقيهم خسارة فادحة انعكست سلبا على جبهات المقاومة وأجبرت الكامل على انتهاج سياسة دفاعيّة، مكنته على الأقل من درأ التهديدات الصّليبيّة[5].

---

(1) جاك الفيتري، الرسائل، المصدر السّابق، ص 104.

(2) انظر: Roger of Wendover , Op.Cit., PP.407-408.

(3) حسن عبد الوهّاب حسين، المرجع السّابق، ص 164؛ محمود سعيد عمران، المرجع السّابق، ص203.

(4) أنظر: Roger of Wendover , Op.Cit., PP.411-412.

(5) محمود سعيد عمران، المرجع السّابق، ص 214.

*: (1218.1238م) خامس السّلاطين الأيوبيّين، ابن الملك العادل وخليفته، كان متمرّسا وملّما بأمور الحكم والدبلوماسيّة، تولّى زمام شؤون مصر زهاء أربعين سنة، عشرون منها على عهد والده. كان الكامل يميل إلى مهادنة الصّليبيين ودرأ خطرهم عن مصر مقابل تسليم بيت المقدس. قيّض له استرداد مدينة دمياط وإفشال الحملة الصّليبيّة الخامسة التي استهدفت مصر. لمزيد من التّفاصيل ارجع إلى: سعيد عاشور، الأيّوبيّون والمماليك في مصر والشّام، دار النّهضة العربيّة، 1996م، ص ص 102.60.

ومع مطلع السّنة الموالية أي 1219م-615هـ ألقت الجيوش الصّليبيّة وفي طليعتها التّنظيمات الرّهبانيّة العسكريّة بكل ثقلها للاستيلاء على دمياط[1]، وفي هذا الظّرف بالذّات كان الملك الكامل يمرّ بظرف حرج للغاية بسبب مؤامرة داخلية أضعفت جانبه وهزّت سلطانه[2]، ولعلّ هذا الطّارئ دفع بالأحداث لصالح الصّليبيّين، ذلك أنّه لم يلبث للصّليبيّين أن استحوذوا على الضّفة الشّرقية للنّيل ثمّ شرعوا في حصار دمياط من جميع الجبهات[3]، لكن الصّليبيّين وقبل عبورهم النهر في فيفري/شباط 1219م-ذي القعدة 615هـ كان لزاما عليهم تأمين معسكرهم الأوّل في جيزة دمياط، وبالنّظر إلى أبداه فرسان التيوتون من شجاعة ومهارة قتاليّة عالية جعلتهم ينالون إعجاب القادة الصّليبيّين ممّا دفع هؤلاء القادة إلى إسنادهم مهمّة حماية الضّفة الغربية [4]. وممّا لا شكّ فيه أنّ فرسان التيوتون لم يخيّبوا آمال القادة الصّليبيّين وكانوا بمستوى تطلّعاتهم حيث أدوا دورهم كاملا وتوّج نجاحهم بتأمين المعسكر الصّليبي غربي النيل.

على أنّ كفّة الصّراع بدت حتّى الآن تميل لصالح الصّليبيّين، ذلك أنّهم تمكّنوا من إحكام قبضتهم على منطقة العادلية بجنوبي دمياط وحاصروا هذه الأخيرة من جميع الجبهات، ومن ذلك أضحوا في موقع قوّة وغدت مأموريتهم يسيرة نسبيّا للاستيلاء على المدينة؛ غير أنّ هذا النّجاح لم يستمر طويلا أمام إصرار جيش العادل على عدم الاستسلام للأمر الواقع، إذ لم يلبث أن رُصّت صفوفه واستُجمعت قواه، كما تدعّمت أركانه بما أمدّ ابنه المعظّم عيسى* وبقيّة أشقائه من إمدادات عسكريّة معتبرة[5].

---

(1) أنظر: Polejowski, Op.Cit., P.196.

(2) بعد وفاة الملك العادل، سعى بعض الأمراء الأكراد وعلى رأسهم عماد الدّين ابن المشطوب لعزل الكامل وتوليه شقيقه الفائز، والجدير بالذّكر أنّ هذه الحادثة كانت ضمن سلسلة تمرّدات طويلة، بدء بعصيانه أثناء حصار مدينة ماردين(1194م-590هـ). ارجع إلى: محمود سعيد عمران، المرجع السّابق، ص220219؛ محمود محمد الرويضي، عماد الدّين بن المشطوب وأثر حركات عصيانه على سلاطين بني أيوب وملوكهم(619590هـ/1222.1193م) المجلة الأردنيّة للتّاريخ والآثار، مج.3، العدد2، 2009م، ص ص 82.80.

(3) ابن واصل، المصدر السّابق، ج4، ص ص 17.16؛ رسائل جاك الفيتري، المصدر السّابق، ص 107.

(4) أنظر: Oliver of Paderborn, Op.Cit., P. 202; Polejowski, Op.Cit., P.196.

(5) لمزيد من التفاصيل حول استنجاد الكامل بأشقائه ارجع إلى: محمود سعيد عمران، المرجع السّابق، ص ص 231-233.

*: (1180-1227م) هو شرف الدّين أبو الفتح عيسى، ابن الملك العادل وأحد سلاطين الدّولة الأيوبيّة. ولد بالقاهرة سنة 1180م ونشأ بالشّام، عيّن واليا على غزّة والكرك والشّوبك وعمره عشرون سنة، ثم تولّى إمارة دمشق. كان المعظّم عيسى شديد الحرص على تحصيل العلوم حتى لقب بأعلم الملوك. ارجع إلى: نصير عبود عيدان وليث عبد الوهاب مهدي، السهم المصيب في الرّد على الخطيب للملك المعظّم عيسى بن الملك العادل سيف الدّين(ت624هـ)، في مجلة الدّراسات التربوية والعلميّة، مج.2، العدد11، 2018م، ص ص 13-17.

كانت نتيجة هذا التّحالف أن انقلبت الموازين في صيف تلك السنّة وتغيّرت مجريات الأحداث لصالح المسلمين، وذلك إثر هجوم نفّذه الكامل في أواخر شهر جويلية/تموز[1] على قوّات الدّاويّة التي كانت تدكّ المدينة بالحجارة بواسطة منجنيق كبير كانت تملكه وتوغّل المسلمون داخل المعسكر الصّليبي[2]، وكانت هذه اللحظة حاسمة لتنظيم فرسان اليتوتون الذي تولى تحمّل عبء ردّ هجمات المسلمين ونجدة فرسان الدّاويّة ولولا تدخّل الجماعة الألمانيّة لحلّت الكارثة بالجيوش الصّليبيّة[3]. وبعد مرور شهر على هذه الحادثة، تعرّضت هذه الأخيرة إلى هجمة مباغتة أخرى، ويبدو أنّ التّنظيمات الرهبانيّة العسكريّة هي التي تولّت مهمّة صدّها إلاّ أنّها تكبّدت خسائر فادحة[6]، وخسر فرسان التيوتون وحدهم حوالي ثلاثين فارسا[5].

وينبغي الإشارة أيضا إلى أنّ مشاركة فرسان التيوتون إبان الحملة على دمياط لم تقتصر على تواجدهم ضمن الخطوط الدّفاعيّة والهجوميّة الأمامية، لكنّهم اضطلعوا بكافة المهمات اللوجيستيّة العسكرية، وساهموا في إمداد الصّليبيّين بالمؤن، ويذكر أوليفر بادربورن في معرض حديثه عن إحدى المعارك البحريّة التي دارت بين الأسطولين الإسلامي والصّليبي سنة 1220م-617هـ عن احتراق إحدى السّفن التّابعة للجماعة الألمانيّة كانت محمّلة بالشعير[6].

الواقع أنّ الحملة الهنجاريّة وما انجر عنها من حصار لمدينة دمياط شكّلت فرصة لتنظيم فرسان التيوتون وعلى رأسه مقدّمها هرمان سالزا لاستعراض قوته العسكريّة ومهارته القتاليّة وهو فعلا ما نجحت فيه الجماعة إلى حدّ بعيد وأثبتت وجودها ضمن أبرز التّنظيمات الرهبانيّة العسكريّة، وكانت هذه المحطّة بداية مشاركتها في مراحل أخرى من الصّراع والمواجهة.

---

(1) أنظر: Polejowski, Op.Cit., P.196.

(2) حسن عبد الوهاب حسين، المرجع السّابق، ص 166؛ محمود سعيد عمران، المرجع السّابق، ص 226.

(3) أنظر: Oliver of Paderborn, Op.Cit., PP. 209-210.

(4) أنظر: Polejowski, Op.Cit., PP.196-197.

(5) حسن عبد الوهاب حسين، المرجع السابق، ص ص 167.166.

(6) انظر: Oliver of Paderborn, Op.Cit., PP. 209-210.

2. معركة غزّة الثانية 1244م (لافوربي" La Forbie ").

بعد وفاة الملك الكامل ونهاية الهدنة التي كان هذا الأخير قد عقدها مع الإمبراطور فريدريك الثاني، ساد الشرق الأدنى الإسلامي حالة من الانقسام، وبلغت حدّة النّزاع بين الملوك الأيوبيين* ذروتها أسفرت عن سعي كل طرف للتحالف مع الصليبيين الذين آثروا الوقوف إلى جانب الأيوبيين في دمشق ضدّ إخوانهم وأهلهم في مصر الذين استنجدوا بدورهم بالقبائل البدوية الخوارزمية** (1).

للتغلب على التهديد القادم من الجبهة الشّمالية، زحف الخوارزميون من الشّمال الشرقي وداهموا "صفد، طبرية ووادي الأردن وجبال السامرة وبلغوا القدس في أوت/أغسطس سنة 1244م"(2) واحتلوها بحلول 11 جويلية/تموز بعدما أحدثوا فيها خرابا هائلا (3). ولم يجد الصليبيون وحلفاؤهم بدمشق بدّا من الاستعداد للمواجهة. حيث اتّجه الصليبيون في مطلع شهر أكتوبر/تشرين الأوّل صوب عسقلان التي كانت تشكّل أقصى نقطة للتّواجد الصليبيّ جنوبا، بيد أنّ تحصينات المدينة لم تسمح للقوّات الصّليبيّة بإقامة طويلة هناك، وسرعان ما أُجبرت على التّحرك أقصى الجنوب باتجاه غزة أين كان قد تجمع أيوبيو مصر مع حلفائهم الخوارزميين(4).

وفي صباح 17 من أكتوبر/تشرين الأوّل، بالقرب من قرية هربيا"Hirbyia"*** أو فوربيا "Forbyia" اشتبكت الجيشان على مدار يومين، وكان الصليبيون وحلفاؤهم قد انقسموا إلى ثلاث مجموعات. ومن جانب التنظيمات الرهبانية العسكرية فإنّها تموقعت في الخطوط الأمامية ولعبت دورا هاما في سير أحداث أحداث المعركة في كلّ مراحلها وشهدت تنافسا شديدا بينها، خاصّة في ظلّ غياب قائد صليبي

---

(1) عطية علي سعود، تاريخ الحروب الصليبية، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، ط.1، 2010، ص 266.

(2) انظر: Shlomo Lotan, The battle of La Forbie 1244 and it's aftermath re-examination of the Military Orders' involvement in the Latin Kingdom of Jerusalem in the mid-thirteenth century, In Ordines Militares yearbook for the study of the Military Orders, Vol.17, 2012, P.56.

(3) وقد ترتب عن هذا الاجتياح تسيير الحملة الصليبية السابعة بقيادة الملك الفرنسي القديس لويس التاسع. ارجع إلى: عطية علي سعود، المرجع السابق، ص 266.

(4) انظر: Shlomo Lotan, Op.Cit., P.57.

*: كان النزاع قائما بين كل من الصالح أيوب ملك مصر، وعمه الصالح إسماعيل ملك دمشق و الناصر داوود ملك الأردن. لمزيد من التفاصيل عن هذا النّزاع العائلي ارجع إلى: علي سعود عطية، المرجع السابق، ص 266.

**: زحف الخوارزميون صوب القدس بقيادة حسام الدّين بركة خان. ارجع إلى: تتممة كتاب وليام الصّوري(1229-1261م)، تر. أسامة زكي زيد، 1989، ص 127.

***: تبعد قرية هربيا الفلسطينية عن مدينة غزّة بحوالي 15 كلم شمالا.

فذ وإستراتيجية عسكرية واضحة المعالم[1].

إنّ الحضور القوي للتنظيمات الرهبانية وحماستهم في معركة لافوربي وفي مقدمتها تنظيم فرسان التيوتون يمكن أن نستشفه من خلال الخسائر الفادحة التي تكبدوها، حيث قدمت الجماعة الألمانية وحدها أربعمائة فارس من خيرة مقاتليها بمن فيهم الماريشال كونراد فون ناسو"Conrad von Nassau" ولم ينجوا منهم سوى ثلاثة من فرسانها فضلا عن خسائر كبرى في المعدّات العسكرية والخيول[2]. أمّا هيئة الداوية فإنّها فقدت ثلاثمائة وإثني عشر مقاتلا نجا منهم ثلاثة وثلاثون فارسا، فيما خسرت هيئة الاسبتارية ثلاثمائة وخمسة وعشرين فارسا نجا منهم ستّة وعشرون مقاتلا فقط واقتيد بعض أسراهم إلى مصر[3].

لقد وجدت هذه التنظيمات الرهبانية نفسها عقب هذه الهزيمة أمام اتهامات الصليبيين الذين حملوها مسؤولية النّكبة إلى حدّ ما وخاصّة تنظيم الداوية التي اهتزّت مكانته وضعفت سطوته، وخلال السّنوات الخمس التي أعقبت الهزيمة، سعت التنظيمات الثلاثة إلى استرجاع هيبتها وإعادة بناء قوتهما وذلك بالدعوة في إلى تجنيد المقاتلين في ربوع أوربا[4].

إنّ أوضاع المملكة اللاتينية في بلاد الشّام، ومنه التنظيمات الرهبانية البائسة يمكن أن يُستشف من خلال رسالة وجهها ماريشال الفرسان التيوتون بيتر فون كوبلنز"Peter von Koblenz" إلى الملك القشتالي ألفونسو العاشر"Alfonso X" في سنة 1254م يعبّر فيها عن استياء المملكة اللاتينية من تدهور أوضاعها على كافة المستويات[5].

---

(1) انظر: Shlomo Lotan, Op.Cit., P.58.

(2) ويرجّح أنّ المقدّم الأوّل للتنظيم هينريش فون هوهنلوه"Heinch von Hohenlohe"(1244-1249م)لم يشارك في أحداث المعركة حيث كان عليه التركيز على باقي فروع التنظيم وممتلكاته في البحر المتوسط وخاصة في بروسيا التي كانت تشهد انتفاضة كبرى أنذاك. لمزيد من التّفاصيل ارجع إلى: Ibid., P.62.

(3) انظر: Ibid., P. 59; Morton, The Teutonic Knights, P.98.

كان من بين الأسرى وليام من شاتونوف"William de Chateauneuf"مقدّم هيئة الاسبتارية، وحاكم مدينة يافا والتر دي برين " Walter de Brienne" الذي عذب على أسوار مدينة يافا وتوفي في الأسر.

(4) انظر: Shlomo Lotan, Op.Cit., P.62-63.

(5) انظر: Ibid., P.66.

على الرّغم ممّا بذله القديس لويس التاسع الذي قاد الحملة الصليبية السّابعة سنة 1250م من موارد مالية وبشرية هائلة بهدف بثّ روح في المملكة اللاتينية، إلاّ أنّها باءت بالفشل، وبقيت هذه الأخيرة تعاني حتى بعد رحيله عن الأراضي المقدسة.

ولا مناص من القول في ظلّ هذه المعطيات، أنّ معركة لافوربي كادت تقضي بشكل شبه كلي على وجود التنظيمات الرهبانية في منطقة الشّرق الأدنى الإسلامي، وهو ما جعل بعض المؤرخين يسمونها بحطين الثّانية لما أسفرت عنه من نتائج كانت وخيمة جدّا على المملكة اللاتينية ومقوّماتها على المديين القريب والبعيد.

الفصل الثاني

الفصل الثّاني

I- الأوضاع العامّة في منطقة حوض البلطيق قبيل انتقال فرسان التيوتون.

1- حركة التّوسع الألماني صوب الشّرق"Drang nach osten".

2- الحملات الصّليبيّة الشّماليّة وعلاقتها بحركة استعمار الشّرق الأوربي.

II- انتقال هيئة فرسان التيوتون من الشرق الأدنى الإسلامي إلى أوربا.

1- التّجربة الترانسلفانيّة"Transylvania" (1212.1225م).

2. عرض ماسوفيا"Masovia" لهيئة فرسان التيوتون وضماناته.

III- حملات فرسان التيوتون الصليبية على بروسيا.

1- الأراضي البروسيّة قبيل غزو فرسان التيوتون.

2- اجتياح تنظيم فرسان التيوتون لبروسيا.

3- الانتفاضة البروسيّة (1242.1283م).

I. الأوضاع العامة في منطقة حوض البلطيق قبيل انتقال فرسان التيوتون.

لم ينته نشاط الهيئات الرهبانيّة العسكريّة بانتهاء الحرب الصّليبيّة على الشرق الأدنى الإسلامي وسقوط آخر الممالك الصّليبيّة في سنة 1291م، بل إنّ هيئات الدّاوية والإسبتاريّة وفرسان اليتوتون واصلت نشاطها في ربوع أوربا، وبالخصوص في شرقها وشمالها في إطار مهمّة تنصير الجيوب الوثنيّة. ففيما تراجعت هيئة الدّاوية إلى جنوبي أوربا واستهلّت رحلة البحث عن المكاسب وتحصيل الثّروات، وثبّتت الإسبتارية أقدامها في الجزائر الشّرقيّة للمتوسّط لمقارعة المسلمين[1]، فإنّ هيئة فرسان التيوتون صاغت تاريخا حافلا بالإنجازات في حوض البلطيق ضدّ الوثنيّين، حيث ارتبط تاريخها العسكريّ بالمنطقة منذ ثلاثينيات القرن الثّالث عشر الميلادي، وشكّلت على مدار ثلاثة قرون القّوة العظمى في حوض البلطيق.

الواقع إنّ هيئة الفرسان التيوتون تحت زعامة هرمان فون سالزا وجدت في منطقة البلطيق ما يحقّق تطلّعاتها، بالنّظر إلى ما كان يوفّره هذا المجال الخصب من فرص للتوّسع والبروز مقارنة بالمشرق الأدنى الإسلامي، أين كان التّنافس حادا هيئتي الدّاويّة والإسبتارية. ويمكن القول أنّ الهيئة وجدت في ضالتها في المنطقة التي انطلقت منها أو بعبارة أخرى فإنّها عادت للارتباط بموطنها الأوّل، فبعد ظرف وجيز من تواجدها في البلطيق وعلى مدى ثلاثة قرون ونيّف فإنّها ما فتئت تحقّق انتصارات باهرة، إذ قيّض لها الاستيلاء على السّواحل الجنوبيّة الشّرقيّة من حوض البلطيق على حساب الأراضي السلافيّة والبلطيّة. ومن الأهمّيّة بمكان القول، أنّ تواجد هيئة فرسان التيوتون في جنوبي شرق حوض البلطيق لم يكن وليد حدث راهن بقدر ما كان نتيجة حتميّة لتراكمات إقليميّة مفصليّة اقتضت من السّلطات العليا العلمانيّة والدّينيّة على حدّ سواء، الإرساء لقوّة عسكريّة ثابتة في المنطقة خدمة لأجندات سياسيّة ودينيّة والحفاظ على مكاسبها.

---

(1) انظر: Ditchburn and Mackay, Op.Cit., P. 97.

*: كانت أملاك الاسبتاريّة قبل سقوط عكّا في 1291م منتشرة على نطاق واسع في أوربا، وبعد طردهم من بلاد الشّام نهائيا توجّه التّنظيم إلى جزيرة قبرص أين واصلوا حربهم على المسلمين واستهدفوا جزيرة رودس التي تمّ لهم الاستيلاء عليها في سنة 1310م، لكنّهم أجبروا في ظلّ تهديد العثمانيّين وحصارهم للجزيرة سنة 1521م/1522م على الاستسلام رفقة مقدّمهم ليزل أدم"L'Isle-Adam" ومغادرة الجزيرة ليستقرّوا في النّهاية في جزيرة مالطا"Malta" التي كانت تابعة لسيادة شارل الخامس"Charles V"(ت.1558م) إمبراطور الإمبراطوريّة الجرمانية الذي تنازل لهم عنها في سنة 1530م وهناك رسّخوا أقدامهم وأصبحوا يلقّبون بفرسان مالطا. ارجع إلى: Bruce Ware Allen, The great siege of Malta : The epic battle between the Ottoman and the knights of St. John, ForeEdge, 2015, PP.9-29.

جدير القول أنّ الهيئة الألمانيّة شكّلت حقّا اليد الحديدية التي نجحت إلى حدّ بعيد في تجسيد سياسية الإمبراطوريّة الرّومانيّة المقدّسة التوسّعيّة تجاه شرق أوربا على أرض الواقع، علاوة على الانتصار للعقيدة الكاثوليكيّة ضدّ نظيرتها الأرثودوكسيّة[1]، وبفضل جهود الهيئة العسكريّة مدّت الكنيسة الكاثوليكيّة حدودها شرقا وتمّ الإرساء لكيان جديد في أوربا لعب أدورا رائدة، سياسيّا وعسكريّا إبّان العصر الحديث، فضلا عن جملة تغييرات عميقة مسّت السّواحل الجنوبيّة والجنوبيّة شرقيّة لحوض البلطيق على المديين، القريب البعيد.

قبل الخوض في الحضور العسكريّ والسّياسي المهيب لهيئة الفرسان التيوتون في حوض البلطيق، لا بدّ أوّلا من إلقاء نظرة سريعة على المنطقة قبيل تغيير التّنظيم لحيّز نشاطه، واستعراض الظّروف الإقليميّة في ذاك الفضاء قبيل انتقالهم إليه كونها كفيلة بتوضيح الأسباب والأهداف الحقيقيّة والمباشرة التي شجّعت على غرس جذور التنظيم الألماني في شرقي أوربا.

---

(1) انظر: Sven Ekdahl, Crusades and colonization in the Baltic: A historiographic analysis, In The expansion of Latin Europe 1000-1500, The North-Eastern frontiers of medieval Europe the expansion of Latin Christiandom in the Baltic lands, Ed. By Alan V. Murray, Vol.4, 1st Pub., Routledge, 2016, PP.4-5.

وممّا هو جدير بالذّكر، أنّ العقيدة الأرثوذكسيّة كانت أوّل من شقّت طريقها إلى شرقي أوربا الوسطى مثلما تؤكّده عديد المفردات الدّينيّة التي كانت سائدة في استونيا"Estonia"، لاتفيا"Latvia" وليتوانيا"Lithuania" والملاحظ كذلك أنّ الشرق السلافي لم يبدي اهتماما كبيرا بتنصير جيرانهم الوثنيّين. ارجع إلى: Andres Kasekamp, A history of the Baltic state Palgrave Macmillan, 1st Pub., 2010, PP.11-12.

1. حركة التّوسع الألماني صوب الشّرق"Ostsiedlung "*.

عرفت منطقة حوض البلطيق إبّان القرن الثّاني عشر الميلادي تحوّلات جذريّة، أهمّها كان تغيّر ميزان القوى لصالح الألمان الذين برزوا كقوة عظمى[1]، فعقب تفكّك مملكة بوليسلاف الأوّل الرّهيب "Boleslaw the Brave"**، التي كانت قد ضمّت أجزاء واسعة من مقاطعات القبائل الوثنيّة المجاورة ومدّت خطوطها الغربيّة في أكثر من مناسبة على حساب الأراضي الألمانيّة؛ فإنّ المجال أُفسح أمام الألمان الذين انتهزوا فرصة التوسّع شرقا، وتكشّفت رغبتهم الجارفة في السّيطرة على أراضي ما وراء نهري السّال"Saale"*** والألب"Elbe"****[2].

بلغ هذا الزحف البشريّ ذروته إبّان القرن الثّالث عشر الميلادي واستمرّ خلال القرن الرّابع عشر واصطلح عليه تاريخيّا باسم "Ostsiedlung " أو حركة "الزحف صوب الشّرق". وقد اعتبرت هذه

---

(1) انظر: Per Beskow, Byzantine infuence in the conversion of the Baltic region, In The cross goes north processes of conversion in northern Europe 300-1300, Ed. By Martin Carver, The university of York, York medieval press, 1st Pub., 2003, PP.561.

(2) انظر: Kasekamp, Op.Cit., PP.11-19 ; Ditchburn and Mackay, Op.Cit., P. 97.

*: استعمار الشرق الأوربي"Ostsiedlung"، انطلقت في بدايات ذات القرن موجة من هجرات الشّعوب النّاطقة بالألمانيّة تقتحم حدود العالم السلافيّ في ظلّ السياسة الدّاعمة للأمراء الألمان على غرار أدولف أوف هولشتاين"Adolf of Holstein"، هنري الأسد " Henry the Lion" وألبرت الدّب"Albert the Bear"، كما لعب الزّعماء السلاف المحليّون مثل أمير سيليزيا"Silesia" وبوهيميا"Bohemia" وغيرها من المناطق الحدوديّة دورا هامّا في تدّفق جموع المستوطنين الألمان من تجّار ومغامرين ورجال دّين نحو الشّرق لما كانوا يعرضونه من أراض خصبة شاسعة طمعا في الهدايا وتحصيل الضّرائب. ليتجدد ميلاد هذه الحركة إبّان القرن ال20م تحت شعار "Drang nach dem Osten أو الزحف صوب الشرق". حول الحركة ارجع إلى: William Urban, The Wendish princes and the Drang nach dem Osten, In Journal of Baltic studies, Iss.3, Vol.9, 1978, PP.225-239 ; Ditchburn and Mackay, Op.Cit., P. 97.

**: (1025.967م) ابن الملك ميزكو"Mieszko" وخليفته، آلت إليه دوقيّة بولندا في سنة 992م وتوّج ملكا على بولندا في سنة 1025م، قاد حملات ناجحة ضدّ أعداءه الألمان، الرّوس والبوهيميّين ومدّ نخوم مملكته في جميع الاتّجاهات، يعود له الفضل في توحيد بولندا وإرساء دعائم أقوى دولة سلافيّة شهدتها أوربا إبّان القرن العاشر بالإضافة إلى تأسيس أسقفيّة جنيزنو"Gniezno" في سنة 1000م، بيد أنّ المملكة ما لبثت أن تفكّكت في القرن الثاني عشر. ارجع إلى: George Sanford, Historical dictionary of Poland, 2nd Ed., The Scarecrow press, Lanham Maryland Oxford, 2003, P.21.

***: رافد من روافد الضفة اليسرى لنهر الألب، يعرف كذلك باسم نهر سكسونيا أو نهر ثورنجيا، ينبع من سفوح جبال "Fichtelgebirge " في فرانكونيا العليا"Upper Franconia"(بافاريا) ويصبّ في سالفلد"Saalfeld" في غابات ثورنجيا. انظر: Moore, Op.Cit., P.673.

****: أهم أنهار وسط أوربا، يبلغ طوله 724 ميل(1167 كلم)، يمتد من منبعه من سلسلة جبال كركونوش"Krkonose" عبر الأراضي التشيكية مرورا بألمانيا ويصب في بحر الشمال وتحديدا عند كوكسهافن"Cuxhaven" في سكسونيا السفلى. انظر: Ibid, P.253.

الحركة التي أضحت تستهدف ضمّ أقاليم واسعة من شرقي أوربا الووسطى، من إستونيا الحديثة شمالا إلى سلوفينيا جنوبا[1] إحدى أهمّ حركات العصور الوسطى التي لا تقلّ أهمّيّة عن حركة الاسترداد في الأندلس والحركة الصّليبيّة ولا عن الحركات الإصلاحيّة التي ولدت في ربوع أوربا في ظلّ ما انجرّ عنها من نتائج حاسمة على المديين القريب والبعيد[2].

وقد ضعت هذه السياسة التوسّعية، العالم المسيحي المتمدن في مواجهة العالم الوثني البربري الذي أبان عن مقاومة شرسة لما لمسه في المسيحيّة من تهديد، وتوجّب على الألمان بالموازاة مع زحفهم صوب الشّرق تهذيب القبائل الوثنيّة المجاورة وذلك عن طريق تنصيرها وضمّها إلى الحظيرة الكاثوليكيّة. ومهما يكن من أمر، فإنّ عقيدة الصّليب قد شقّت طريقها بين شعوب المنطقة بالسّيف والنّار، في إطار ما سمّي بالحروب الصّليبيّة الشّماليّة أو الحروب الصّليبيّة البلطيقيّة التي استهلّت منذ أواخر أربعينيّات القرن الثّاني عشر الميلاديّ ولاقت تأييدا كبيرا من لدن البابوية التي ما فتئت تعمل على دعمها ووسمها بطابع الشرعية[3].

---

(1) انظر: Ditchburn and Mackay, Op.Cit., P. 98-99.

حول المجال الجغرافي الذي تلقفته الحركة الألمانيّة أنظر الخريطة ص 61 .

(2) انظر: Urban, Op.Cit., P.225.

(3) انظر: Richard Fletcher, The barbarian conversion from paganism to Christianity, Marian wood book/ Henry Holt and Company, NewYork, 1998, P.498.

بارك الكرسي الرّسولي هذه المهمّة وكان إنوسنت الثّالث أوّل بابا يشجّع احتلال واستيعاب المزيد من الأراضي وضمّها إلى الحظيرة المسيحيّة، ولم يكن المرسوم الذي أصدره البابا ألكسندر الثّالث"Alexander III"(1159-1181م) في سنة 1171-1272م تقنينا لسلسة تلك التّوسعات فحسب بل إنّه يعدّ اعترافا ضمنيّا بميلاد هذه الحركة الاستعماريّةالصّليبيّة. عن هذه الحركة ارجع إلى: Christiansen, Op.Cit., P.69, 89 ; Fletcher, Op.Cit., P.498.

خريطة توضح زحف الألمان باتجاه الشّرق.

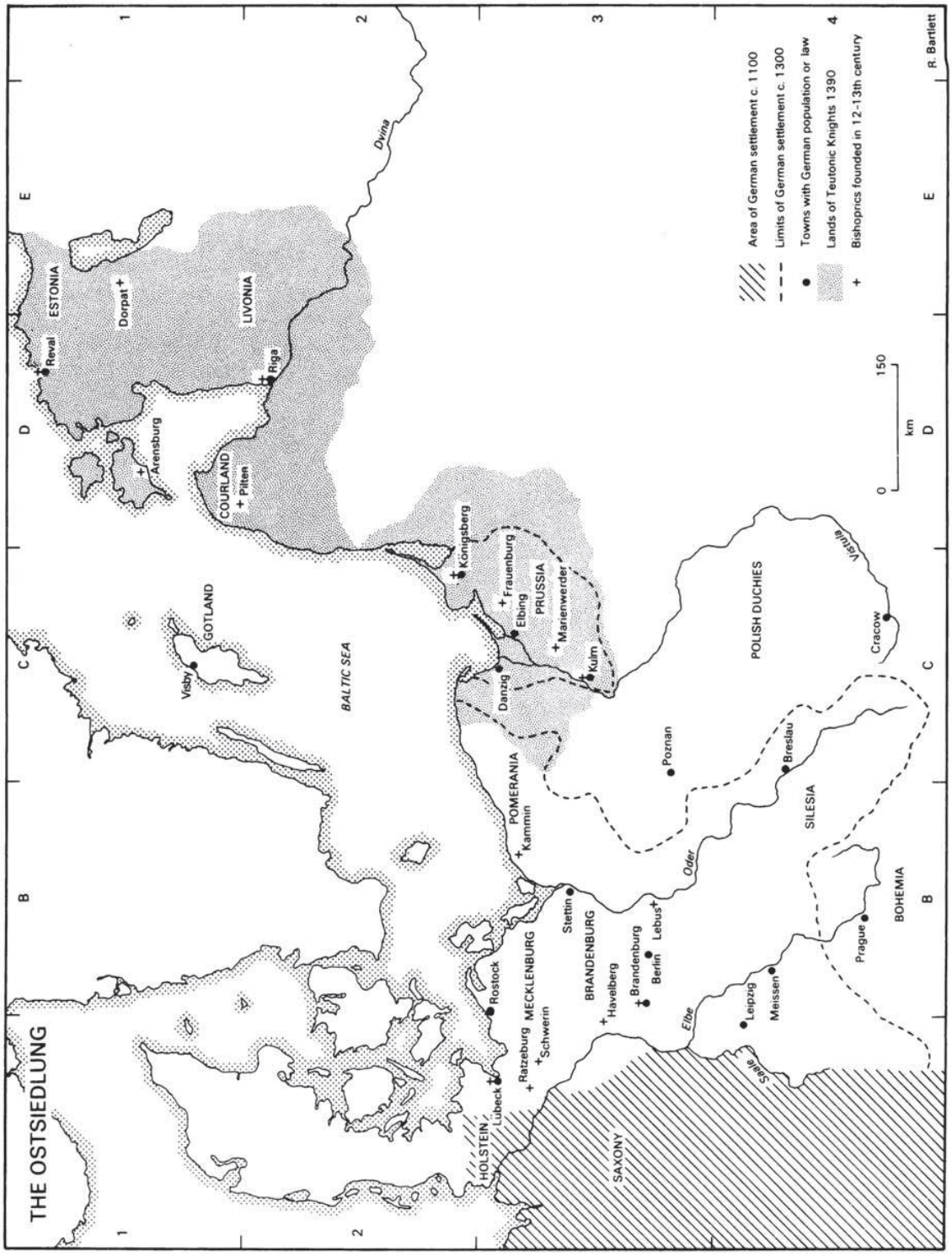

(1) أنظر: Ditchburn and Mackay, Op.Cit., P. 98.

2. الحملات الصّليبيّة الشّماليّة* وعلاقتها بحركة استعمار الشّرق الأوربي:

الواضح أنّ الحروب الصّليبيّة في حوض البلطيق سارت جنبا إلى جنب مع الحركة التوسّعيّة "Drang nach osten"، ولم تكن بدافع النّزعة الدّينيّة بقدر ما كانت مآلا طبيعيّا للتّنافس المحمـوم الذي برز المنطـقة بين العنصرين السلافي والجرماني في خضم سياسة الإمبراطورية الجرمانية القاضية بالاستحواذ على المناطق الحيويّة وفتح طرق وتأسيس قواعد تجاريّة على سواحل البلطيق الجنوبيّة والجنوبيّة-الشّرقيّة[1]. وقد ارتبط ظهور الحركة الصّليبية في البلطيق بدرجة أكبر بالتّجار والعلمانيّين كما ساهم رجال الدّين في إطار الإرساليات التّبشيريّة بتثبيت أقدام الغزاة الجدد لمناطق ما وراء نهري الألب والسّال[2]؛ بالإضافة إلى ما تقدّم، من المنطقيّ الإقرار بأنّ هذه الحملات العسكريّة استهدفت إخضاع واحتواء الجيوب الوثنية التي كانت تشكّل خطرا داهما على التّخوم الشّماليّة الشّرقيّة للفضاء الكاثوليكيّ.

ومهما يكن من أمر، فالأكيد أنّ هذه الأطماع والأهداف كانت تتماشى مع سياسة البابويّة التي كانت قد بدأت تستشعر أكثر خطر تفكّك وضياع ممالكها الصّليبيّة في الأراضي المقدّسة، ولهذا فقد وجدت نفسها أمام حتميّة خلق حيّز آخر بغية تصريف جموع الصّليبيّين، علاوة أنّها رأت في شنّ حرب صليبيّة في البلطيق ما يخدم مصالحها، خاصّة وأنّ نجاحها معناه الحؤول دون زحف العقيدة الأرثوذوكسيّة صوب هذه الرّبوع وقطع الطّريق على الكنيسة الشّرقيّة المنشقّة[3].

يبدو أنّ هذه الحـركة الواسـعة التي شنـها الألمان لتنصـير الشّـعوب الوثنيّة قد أتت بنتائـج غير مسبــوقة، فبحلول أواخر القرن الثّاني عشر الميلادي أحـرزت العقيدة المسيـحيّة والنّـفوذ الجرماني تقدّما ملحـوظا ضد الــوثنيّن في الجــزء الجنــوبي الغــربي لحوض البلطيق بعدما دانت قبائل الفند أو الوند

---

(1) انظر: William Urban, The Baltic crusade, 2nd Ed., Lithuanian research and studies center and Inc, Chicago-Illinios, 1994, P.9; Kasekamp, Op.Cit., P.11-12 .

(2) انظر: William Urban,The organization of the Livonian frontier in the thirteenth century, In Speculum, Vol. 48, Issue 3, July 1973, P.525.

(3) انظر: Urban., The Baltic crusade , P.12.

"Wends"* السلافيّة "المتمركزة على طول نهر الألب في هولشتاين"Holstein"، شفيرين"Schwerin" بالإضافة إلى براندنبورغ "Brandenburg" وعلى الساحل البلطي لماكلنبورغ"Mecklenburg" التي شكّلت أراضيها ما أصبح يسمّى ببوميرانيا الغربيّة"Western Pomerania"، على أنّ مجالا واسعا جدّا امتدّ من استونيا شمالا إلى نهر الفيستولا"Vistula"** غربا كان لا يزال على وثنيّته[1].

وعشيّة وضع هيئة فرسان التيوتون لأقدامها في حوض البلطيق كانت ثمار الحركة الاستيطانية وجهود التجار والإرساليات التّبشيرية الألمانية في جنوبي غرب البلطيق قد بدأت تؤتي أكلها، حيث شهدت المنطقة انتشارا مكثّفا للأسقفيّات والأديرة وكذا الحاميات العسكريّة في النّقاط الحيويّة، فضلا عن وضع قواعد مدن هامّة على سواحل بحر البلطيق وعلى ضفاف الأنهار الكبرى.

يبدو أنّ الحركة الصّليبيّة في الشّمال دخلت خلال هذه الفترة مرحلة حاسمة ونالت زخما هائلا، حيث استؤنفت سلسلة حروب أشدّ ضراوة تجنّدت لها ممالك شمالي أوربا على غرار مملكتي السويد والدّانمارك اللتان وجّهت جيوشهما ضربات قاسمة استهدفت شعوب الأراضي الشّرقيّة للفيستولا، المعروفة تاريخيّا باسم البلط "Balts"***[2].

---

(1) انظر: Urban, The Wendish princes, P.226.

(2) انظر: Christiansen, Op.Cit., PP.34-35.

*: أو "Wandali"، أو "Winuli" كما وردت عند هالمالد من بوسو"Helmold of Bosau" استخدم الألمان اسم فاندن"Wenden" كمرادف للإشارة إلى قبائل السلاف البولابية"Polabian Slavs" التي تقع مضاربهم فيما يسمى اليوم بمقاطعة Mecklenburg-Vorpommern الألمانية. كانوا أوّل القبائل السلافية التي اصطدمت بهم الإمبراطورية الرومانية المقدسة في توسعاتها صوب الشّرق، وفي صيف سنة 1147م شنّ الساكسون والدانيون والبولنديون حملة صليبية لتنصيرهم وضمّ أراضيهم. ارجع إلى: Helmold of Bosau, The Chronicle of the Slavs, Trans. By Francis Joseph Tschan, Octagon books, NewYork, 1966, PP.47-50 ; Pegatha Taylor, Moral agency in crusade and colonization: Anselm of Havelberg and the Wendish crusade of 1147, In international history review, Iss 4, Vol.22, P.757.

**: أطول أنهار بولندا، يبلغ طوله 1094كلم(680 ميل)، ينبع من جبال الكارباثيان في جنوبي بولندا، ويصب في بحر البلطيق وتحديدا عند خليج غدانسك. انظر: Moore, Op.Cit., P. 837.

***: استخدم مصطلح البلط للدلالة الشعوب الناطقة باللغات البلطية منذ سنة 1845م، وتقع مضارب هؤلاء في مصبّ نهر الفيستولا والسّواحل الجنوبيّة الشّرقيّة لبحر البلطيق على مقربة من مصبّ نهري الدوغافا "Daugava" والدنيبر"Dnieper"، تضم المجموعة البلطيّة الشعوب الليتوانيّة، البروسيّة"Prussians"، اللاتفيّة"Latvians"، والكورونيّة "Curonians" وتقسّم الشّعوب البلطيّة إلى بلط شرقيّين وغربيين، ارجع إلى: Endre Bojtar, Forward to the past A cultural history of the Baltic people,Trans. By Szilvia Rédey, CEU Press, 1999,PP. 128-163 ; Marija Gimbutas The Balts Ancient People and Places, London Thames and Hudson, G.B., 1963, P.21.

وعلى هذا الفضاء البلطي تعدّ ليفونيا"Livonia"** المحصورة أراضيها بين الفلكين الكاثوليكي غربا والأرثوذوكسيّ شرقا، أولى المحطّات التي ركّز عليها الصّليبيّون الألمان جهودهم، فعلى الرّغم من نجاح مساعي التّجار والإرساليّات التّبشيريّة في إقامة قواعد أول مؤسسة كاثوليكيّة في ليفونيا وتأسيس أسقفيّة أكسكول"Uxkull" عند مصبّ نهر الدّفينة"Dvina"*** في عام 1184م(2)، وذلك ليس معناه بالضّرورة نجاحها في ترسيخ العقيدة المسيحيّة في أوساط الوثنيّين، بدليل إنّ ليفونيا بقيت تدين بوثنيّتها وهو ما تطلّب إيجاد قوّة عسكرية دائمة في ذاك الفضاء لحماية المستعمرات الجديدة التي بلغتها الإرساليّات التبشيريّة.

ومهما يكن من أمر، فإنّ هيئة فرسان التيوتون قد ولدت في الشّرق الأدنى الإسلامي وكان لها نشاط سلمي تمّ مساهمة عسكرية في الحروب الصليبية، إلاّ أنّ العمل الأكبر لهذه الهيئة قد تمّ في أوربا وتحديدا في القسم الشّمالي الشّرقي، وذلك عبر تجسيد ومدّ المشروع الاستيطاني الألماني وتنصير الشّعوب البلطيّة الوثنية.

---

(1) انظر: Henricus Lettus, The chronicle of Henry of Livonia, Trans. By James A. Brubdage, Columbia university press, NewYork, 2003, P.4-5.

*: أرض ليتوفا"Lietuva" نسبة إلى نهر ليتوكا"Lietauka" أو ليتوفا"Lietuva" الواقع بالقرب من مدينة كيرنافي"Kernavé" العاصمة الأولى للدّوقيّة، تمتد الأراضي الليتوانيّة بين نهري نيمن"Nemunas" وناريس"Neris"، كانت القبائل الليتوانيّة متفرّقة إلى أن وحّدها رينغولد"Ryndold" واستطاع خليفته ميندوغاس"Mindaugas"(1203.1263م) إرساء قواعد دولة قوّية ومدّ نفوذه إلى ما وراء هذه الأراضي منذ منتصف القرن الثّالث عشر الميلادي ليكون أوّل حاكم عليها والمؤسّس الفعليّ لدولة ليتوانيا. شهدت ليتوانيا في النّصف الثّاني من القرن الرّابع عشر الميلادي أوجّ قوّتها فقد امتدّ نفوذها من بحر البلطيق شمالا إلى مشارف البحر الأسود جنوبا بيد أنّها سرعان ما فقدت تأثيرها لصالح روسيا الموسكوفيّة منذ نهاية القرن الخامس عشر الميلادي. ارجع إلى: Alfonsas Eidintas and Others, The history of Lithuania, Trans. By Skirma Kondratas and Ramunas Kondratas, 2nd Edition, Eugrimas, 2015, PP.16-17.

**: وتضمّ اليوم الأراضي اللاتفيّة والإستونيّة، كانت تضمّ القبائل الكرونيّة"Curonians"، الليتيغاليّة"Lettigalians"، السميغاليين"Smegallian" والسالونيّين"Selonians"، جرت أولى المحاولات الجدّية لتنصير ليفونيا من الغرب اللاتيني على يدّ الأسقف مينهارد"Meinhard"(ت.1196م) الذي بلغ مصب نهر الدوغافا"Duagava" في سنة 1186م واستهلّ مهمّة التّبشير بتعاليم المسيحيّة، لمزيد من التّفاصيل حول مهمّته ارجع إلى: The Livonian rhymed chronicle, Trans. By Jerry C. Smith and William L. Urban, Indiana university, Bloomigton, 1977, PP.4-6.

حول توزيع القبائل البلطية انظر الخريطة ص 65.

***: أو شمالي الدفينا"Dvina"، تمييزا له الدفينا الغربي أو الدواغافا"Daugava"، ينبع النّهر من غرب موسكو ويصبّ في خليج ريغا.

خريطة تبيّن مناطق توزيع القبائل البلطيّة في حوالي 1200م.

Fig. 1. Baltic tribes and provinces c. A.D. 1200

Gimbutas, Op.Cit., P.23

في الواقع، يعدّ تولّي البابا إنوسنت الثّالث السدّة الرّسوليّة عام 1198م، مرحلة مفصليّة بالنّسبة للكنيسة الكاثوليكيّة، ذاك أنّ هذا البابا أعلن صراحة بأنّ مهمّته الأولى والرّئيسيّة هي الدّفاع عن المسيحيّة من كلّ الأخطار المحدقة بها وضرورة استعمال الحديد والنّار بهدف استئصال مختلف الهرطقات التي كانت تهدد الكنيسة في وجودها، وبالخصوص تلك التي أطلق عليها اسم الألبيجنسية"Albiginsian"*، وفي إطار توسيع مجال تأثير المذهب الكاثوليكي دعا إنوسنت إلى إجبارية تنصير الجيوب الوثنيّة .

وفي هذا السياق، دعا إنوسنت الثالث عام 1199م إلى شن حملة صليبية لحماية أهالي ليفونيا الذين اعتنقوا المسيحيّة حديثا قادها الأسقف ألبرت فون بوكسهوفدن"Albert Von Buxhoeveden"**، ورأى هذا الأخير ضرورة وضع حاميات عسكريّة دائمة بتلك الرّبوع لضمان أمن هذه الجيوب التي تمّ تنصيرها[1].

وعملا بنموذج التّنظيمات الرهبانية العسكرية التي أسسّت في بلاد الشّام، أسّس في عام 1202م أوّل تنظيم عسكريّ ديني في ريغا"Riga"***[2]، تولّى على عاتقه مهمّة ترسيخ العقيدة الكاثوليكيّة في أوساط الوثنيّين المرتدين، وقد عرف باسم فرسان المسيح الليفونيين"Fratrs Militiae Christ de

---

(1) انظر : Henricus Lettus, PP.7-8 ; Fletcher, Op.Cit., PP.497-498.

(2) انظر: Loc.Cit.

*: نسبة إلى مدينة إلبي الفرنسية، وتسمى كذلك بالهرطقة الكاثارية، اكتشف أمر الطّائفة المهرطقة لأوّل مرة في سنة 1143م في مقاطعة اللونغدوك" Languedoc" بجنوبي فرنسا أين لم تلبث أن انتشرت حتى بلغت شمالي إيطاليا، وشكّلت الألبيجنسية تهديدا جاثما على الكنيسة الكاثوليكية ذلك أنّها أنكرت تعاليم المسيحية واعتقدت بوجود إلهين متصارعين، إله الشّر وإله الخير. قاد باباوات روما ضدّها حملات صليبية استهدفت استئصال شأفتها وتم لهم ذلك في سنة 1229م بموجب سلام باريس. لمزيد من التّفاصيل حول هذه الهرطقة ارجع إلى: Sean Martin, The Cathars the most succesful heresy of the middle ages, 1ST Pub, 2005, PP.46-104.

**: (1199-1229م) عيّنه رئيس الأساقفة هارتفيغ"Hartwig" الأسقف الثّالث لإيكسكول في 1199م يعدّ أحد أهم رجال الدّين وعرف بكونه دبلوماسيّا محنّكا، وعكس الأسقف مينهارد، فإنّ ألبرت قصد الأراضي الليفونيّة كأمير أكثر من كونه مبشّرا وكان حذرا جدّا في مهمّة تنصير الوثنيين هناك وتولى تمويل الحملات الصليبية والدّعوة لها، والجدير بالذّكر أنّه كان لألبرت الفضل في اصطحاب هنري صاحب الحوليات إلى الليفونيا، بالإضافة إلى أنّ الفضل يعود له في تشييد مدينة ريغا عاصمة لاتفيا اليوم. ارجع إلى: Henricus Lettus P.8.

***: أكبر المدن شمالي أوربا والقلب النابض للأراضي الليفونيّة إبّان العصور الوسطى، تقع عند مصب نهر الدواغافا وتطلّ على بحر البلطيق ممّا أهلها للسيطرة على تجارة حوض الدواغافا وأضحت أحد أبرز مدن العصبة الهانزية، تأسّست مدينة ريغا سنة 1200م وعاصمة لاتفيا اليوم على يد الأسقف ألبرت بوكسهوفدن"Albert Von Buxhoeveden" وكان قد استهل بناء المدينة على عهد الأسقف بارتولد"Berthold"(ت.1198م) الذي كان راهبا للوكوم"Loccum" في سكسونيا السّفلى"Lower Saxony"، وذلك بعد أن بدأت الحرب الصّليبيّة فعليا على السّكان الأصليين في ليفونيا على عهده. ارجع إلى: The Livonian rhymed chronicle, Op.Cit., PP.7-8 ; Henricus Lettus, Op.PP.5-8.

Livonia" واشتهر باسم فرسان السيف الليفونيّين" The Livonian Brothers of the Swords"* ، خضع هؤلاء مباشرة لإمرة المؤسّس ألبرت أسقف ريغا[1].

ومن الأهمّيّة بمكان القول، أنّ تأسيس هذه الهيئات العسكريّة في المناطق الشّماليّة من أوربا، تعبّر دون أدنى شكّ عن الصّعوبات الجمّة التي كانت تواجه المسيحيين الأوائل في هذا الجزء من الأوربا، بسبب ردّة الفعل العنيفة والرّفض القاطع والشّديد الذي عبّر عنه الوثنيون من السّكان المحليين تجاه هذا الدّين الجديد، فكان لزاما على الكنيسة حماية المبشّرين المميّزين الذين كانت ترسلهم إلى هناك للقيام بهذه المهمّة المحفوفة بالمخاطر، وكذا حماية المسيحيين الجدد الذين قرروا التّخلي عن ديانة أجدادهم والانضواء تحت راية الكنيسة الكاثوليكيّة التي ارتأت أيضا، سدّ الطّريق أمام المذهب الأرثوذكسي بعد اعتناق الرّوس لهذا المذهب وما سيشكّله ذلك من خطر على الكاثوليك، خاصّة في هذه الأصقاع القريبة جغرافيا من بلاد الروس.

وفي الوقت الذي كان فيه تنظيم فرسان السيف يضربون بقوّة داخل الأراضي الليفونيّة التي تمّ تنصيرها وأصبحت تابعة للبابويّة بحلول سنة 1207م ويهدّد القبائل الليتوانيّة الوثنيّة[4]، استحدث الدّوق البولندي كونراد الأوّل" Conrad I"(1187-1247م)* بمعيّة راهب سيسترسياني بروسي في أواخر

---

(1) انظر: Henricus Lettus, P. 8.

(2) انظر: Ibid., P. 68.

*: جماعة فرسان السيف الليفونيين هي تنظيم ألماني، يعدّ أوّل تنظيم رهبانيّ عسكريّ ظهر في شمالي أوربا، أسس على يد ثالث أساقفة ريغا واسمه ألبرت أوف بوكسهوفدن، تمّ الاعتراف بالتّنظيم من طرف البابا إنوسنت الثّالث سنة 1204م، وسرعان ما تولى على عاتقه تنصير ليفونيا والقبائل الوثنيّة المجاورة وتمكّنوا من كسر شوكة المقاومة الليفونيّة. أجبر تنظيم فرسان السيف الليفونيّين على الانضواء تحت جناح الفرسان التيوتون سنة 1237م عقب الهزيمة الساحقة التي تكبدها في سنة 1236م على يد القوّات المتحالفة الليتوانيّة والساموجيتيّة في معركة نهر شول"Saul" واستكملوا مهمّة تنصير القبائل الليفونيّة نهائيا بحلول تسعينيّات القرن الثّالث عشر الميلادي. ارجع إلى: Urban, The Baltic Crusade, PP.64-77, 184-187.

**: ينتمي إلى عائلة بياست"Piast" الحاكمة البولنديّة، الدّوق السّادس لأراضي ماسوفيا، تولّى حكم دوقيّة ماسوفيا وكويافيا في شمالي بولندا سنة 1194م بعد وفاة والده كازيمير الثّاني"Kazimierz"(ت.1194م) انتخاب شقيقه الأكبر ليزك الأوّل"Leszek I"(ت.1227م) ملكا على كراكوف"Kracow". استهلّ منذ توليّه شؤون الدّوقيّة سياسة توسّعيّة، في سنة 1226م استدعى الفرسان التيوتون وتنازل لهم عن أراضي كولم مقابل درء خطرهم عن أراضيه. ارجع إلى: Waldemar Graczyk, The political activity of Mazovian dukes between the 13th and 15th century, The person and the challenges, Vol.5, N°1, 2015, P.220.

عشرينيّات نفس القرن تنظيما آخر داخل الأراضي البروسيّة، أطلق عليه رابطة فرسان دوبرين " Knights of Dobrin " أو دوبرزين "Dobrzyń"*[1]. والواضح في ظلّ ما سبقت الإشارة إليه، أنّ الهدف من وراء تأسيس تنظيم فرسان السيف الليفونيون وهيئة فرسان دوبرين هو ضمان حضور دائم للقوّات المسيحيّة في هذا الفضاء الجغرافي، وذلك خلافا للوفود الصّليبيّة والإرساليّات التبشيريّة التي كانت تعود إلى موطنها في نهاية كل حملة صليبيّة [2].

وهكذا لعب فرسان ليفونيا دورا رائدا في منطقة البلطيق من خلال نشر المذهب الكاثوليكي في مناطق هامة من هذا الفضاء الشّمالي الواسع، لم تكن باليسيرة على الإطلاق. جدير الذكر أنّ لهذه المهمة أبعاد، ليس فقط على الجانب الدّيني والمتمثّل أساسا في فرض مبادئ الكنيسة الكاثوليكيّة الرومانيّة، ولكن أيضا استفادة الغرب اللاتيني من هذا الفضاء الجغرافي أيّما استفادة من خلال المبادلات التّجارية التي نشأت بين المدن الغربية وتلك التي تمّ تأسيسها حديثا في الشّمال مثل ريغا وغيرها من المدن الأخرى التي كانت تدرّ سلعا نادرة وقيّمة كالعنبر، وكان لحركة تنصير شعوب البلطيق أيضا أثره البارز في نشر الثّقافة اللاتينية –الجرمانية.

---

(1) انظر: Fletcher,Op.Cit., P.498.

(2) انظر: Loc.cit. ; Urban, The Baltic crusade, P.157.

*: أو فرسان المسيح البروسيين"Prussian Cavaliers of Jesus Christ" أو دوبرين"Dobrin" وقد اشتقّ اسمهم من قلعة دوبرين"Dobrin" على نهر الفيستولا؛ أسس هذا التّنظيم البولندي في سنة 1228م من طرف أسقف بروسيا كريستين أو أوليفا" Christian of Oliva" لغرض تنصير القبائل البروسيّة، بيد أنّه لم يلبث أن اتّحد مع تنظيم الفرسان التيوتون وكان ذلك سنة 1235م. ارجع إلى: Fletcher, Op.Cit., P.498.

II. انتقال هيئة فرسان التيوتون من الشرق الأدنى الإسلامي إلى أوربا.

1. التّجربة الترانسلفانيّة"Transylvania"*(1212.1225م):

شكّل بداية القرن الثّالث عشر الميلادي الانطلاقة الفعليّة لنشاط فرسان التيوتون في أوربا حيث احتل في غضون عقد واحد على تحوّله إلى تنظيم عسكري مكانة مميّزة ضمن هيئتي الدّاوية والاسبتارية وذلك بفضل جهود هرمان أوف سالزا وحنكته الدّبلوماسيّة، وما لبث أن مدّ أذرعه خارج المشرق الأدنى الإسلامي وتوغّل داخل الأراضي الأوربيّة ليؤسّس بذلك لمرحلة فاصلة في تاريخه وتاريخ شمالي شرق أوربا كلّها.

وتعدّ هنجاريا"Hungary"* أول موطئ قدم للفرسان التيوتون في ربوع أوربا، وأوّل تجربة للتّنظيم خارج بلاد الشّام، ففـي عام 1211م استنجد ملك هنجاريا أندرو الثّاني بهؤلاء الفرسان لدرأ غارات

---

*: أو أرض الغابات السبعة"Siebenburgen"، تقع في شرقي مملكة هنغاريا، شملت ترانسلفانيا الجزء الشّرقي من حوض الكارابات أو بانونيا"Pannonia" واعتبرت امتدادا للمملكة هنجاريا إلى غاية القرن السّادس عشر الميلادي، لكنّها اليوم تابعة لجمهورية رومانيا، منح الملك أندرو الثّاني جزء منها للفرسان التيوتون مقابل تأمينها وبذلك ضمان حماية للحدود الشّرقيّة لمملكته، والحقيقة أنّ الفرسان التيوتون رغم خروجهم من المنطقة خاليي الوفاض في أعقاب طردهم منها، إلاّ أنّهم أثبتوا قدرتهم على إدارة المهام الكبرى، وكانت هذه التّجربة بمثابة حملة دعائيّة لها حيث ذاع صيتها في أرجاء أوربا. ارجع إلى: William Urban, The Teutonic knights A military history, Greenhill Books Stackpole Books, London Pennsylvania, P.33.

**: وتسمى كذاك المجر. ينتمي الهنغاريون"Hungarians" إلى عشيرة بهذا الإسم"Onogurs". وقد ورد في أعمال الهنجاريين" The Deeds of the Hungarians" أنّهم ينحدرون من نسل السكيثيّين"Scythian". تنتمي لغتهم إلى الفنو أوجاراتية" Finno-Ugrian" التي تعود أصولها إلى اللغة السيبيرية. ولعل الهنجاريين ظهروا لأوّل مرة في سنة833م حول بحر أزوف"Azov" بشمال البحر الأسود، عندما تحركوا في اتجاه الغرب، ثم أخذ زحفهم يمتد نحو أروبا حتى وصلوا إلى الأراضي الواقعة على نهـر الدانوب"Danube" في حوالي سنة899م، وطردوا قبائل الفلاخ"Vlakhs"، سميت المنطقة التي استوطنوها باسم "هنغاريا" نسبة إليهم. شكل هجومهم بلاءً عظيما على سكان أروبا شرقا وغربا، وكادوا اجتياح كل أروبا الغربية، لولا تدخل الإمبراطور أوتو الأوّل"Otto I"(936.973م) الذي أنزل بهم هزيمة ساحقة في معركة نهر ليخ "Lechfeld" سنة955م بجنوب أكسبورغ"Augusburg". ارجع إلى: Anonymus, The deeds of the Hungarians, Ed. and Trans. By Martyn Rady and Làszlo Veszprémy, Central Europe university press, 2010, PP.17,119; The Russian primary chronicle, Trans. By Samuel Hazzard Cross and Olgerd P. Sherbowitz-Wetzor, The medieval academic of Ameriac, Cambridge Massachusetts, ,P.62; Clifford Backman, The World of medieval Europe, Oxford, 2003, P.144.

قبائل الكومان "Cumas"* الوثنيّة التي باتت تشكّل تهديدا حقيقيا على الحدود الشّرقيّة لمملكة هنجاريا(1).

ومن أجل إغراء فرسان التيوتون ودفعهم للتّحرك مجرّد تلقي النداء، وعد ملك هنجاريا مقدّم الهيئة، بمنحهم مقابل الخدمة العسكريّة المنوطة بهم أراضي بورزا"Bursa" أو بورزنلاند "Burzenland"** وكلّ ما تغزوه وراء جبال الكرابات"Carapathians"***، بالإضافة إلى امتياز إعفائها من الضّرائب(2). إنّه عرض مغر حقا، لم يقو المقدّم سالزا على رفضه، فبمجرّد سماع ذلك، تأهّب مع فرسانه للقيام بالمهمّة المطلوبة خدمة لهدفين أساسيين، أمّا الأوّل فيتمثّل في خدمة ملك هنجاريا بتأمين الحدود الشّرقيّة للمملكته وتحديدا الجبهة الجنوبيّة الشّرقيّة لترانسفانيا"Transylvania" التي شكّلت الثّغرة الأخطر؛ وأمّا الثّاني فهو يخصّ التّنظيم نفسه ويتمثّل في انتزاع الرّيادة في أوربا، موازاة مع المكانة التي فرضتها هيئتي الدّاوية والاسبتارية في بلاد الشّام ممّا يخدم مصلحة البابوية في مسعاها لتوسيع دائرة نفوذها(3).

وهكذا، بدأ تنظيم فرسان اليتوتون نشاطه في الأراضي الترانسلفانيّة الموحشة بشراسة منقطعة النّظير، وخلال المواجهات بين الفرسان والكومان، أظهر أتباع المقدّم سالزا قدرات عسكرية عالية أرعبت قبائل الكومان، وأثبتوا أنهم لا يقلّون همجيّة عنهم، وتمكّن الفرسان بعد مواجهات ضارية من كبح جماح قبائل الكومان الوثنيّة وتحقيق نصر باهر أنقض هنجاريا من السّقوط المؤكّد في فكّ الكومان(4).

---

(1) انظر: Pàl Engel, The realm of St. Stephen A History of medieval Hungary 895-1526 , Trans. and Ed. By Tamas Pàlosfalvi, Andrew Ayton, I.B.Tauris Pub., London NewYork, 2010, P .90.

(2) انظر: Tabulae ordinis Theutonici, Ed. By Ernestus Strehlke, Berolini, 1869, PP.156-157 ; Engel, Op.Cit., P.90.

هذا ويؤكّد بال إنجل أنّ المهمّة الرّئيسية للفرسان التيوتون في هنجاريا لم تكن صدّ غارات عشائر الكومان بقدر ما كانت تهدف إلى تنصيرهم.

(3) انظر: Tudor Sălăgean, Transylvania in the Second Half of the Thirteenth Century The Rise of the Congregational System, Brill, Leiden Boston, 2016,P. 11 .

(1) انظر: Urban, The Teutonic knights, P. 33-36.

*:ورد ذكرهم لأوّل مرّة في الحوليات البروسيّة سنة 1054م وعرفوا باسم البولوفيسكيين"Polovcians"، وهم قبائل تتاريّة بلغوا أراض القبجاق في الجنوب الشّرقي لسيبيريا وسهوب القوزاق(الكازاخ) في حوالي منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، وسرعان ما انتشروا في المنطقة الممتدّة بين نهر الفولغا وأسفل الدّانوب، ارجع إلى: Russian primary chronicle, P.184 ; The Deed of the Hungarians, P.23-25, 29, 137.

**: تقع إلى الشّمال من جبال الألب الترانسلفانيّة"Transylvanian Alps" داخل الأراضي الرّومانية اليوم.

لكن سرعان ما انقلبت هذه النّعمة لتصبح نقمة على هنجاريا، ذلك أنّ الفرسان لم ينسحبوا من المناطق التي دخلوها، بل إنّهم ألقوا رواسي مستوطنة ألمانيّة داخل الأراضي الهنجارية أكثر قوّة واستقلاليّة، وجعلوا منها نقطة انطلاق لاجتياح مساحات أخرى. وكان من الطّبيعيّ أن يضع هذا الطّموح الجارف، رجال سالزا في مواجهة مباشرة مع النّبلاء المحليين خاصّة في ظلّ احتكار الفرسان التّام للغنائم(1). وفي الوقت الذي كان فيه الوضع في هنجاريا متوتّرا وينذر بانفجار حقيقي، عاد الملك أندرو الثّاني من حملته الصّليبيّة الفاشلة على الأراضي المقدّسة، وانتهز النّبلاء المحليّون الذين اشتدّت شوكتهم في غيابه الفـرصة وألـزموه في عام 1222م بالتّوقيع على وثيقة سمّيت التّشريع الذهبي"Golden Bull"، تعهّد من خلالها الملك بانتزاع أراضي بورزنلاند من الهيئة(2).

ومن الأهمية بمكان القول، أنّ العلاقة بين أندرو الثّاني وهيئة فرسان التيوتون دخلت مرحلة من الفتور الشّديد والتي أعقبت فترة من التّفاهم، وإنّ السبب الحقيقي في الواقع لا يعود فقط إلى تعنّت الفرسان ورفضهم الانسحاب من الأراضي المحصّل عليها، بل مردّه إلى ما أقدم عليه سالزا، قائد التّنظيم من مراسلة البابا هونوريوس وإطلاعه على الصّراع القائم بين الهيئة والنّبلاء المجريين، ممّا دفع بالزّعيم الرّوحي الأوّل على الكاثوليك لوضع بورزنلاند تحت سلطة الكرسي الرّسولي(3).

كانت خطوة سالزا هذه، نقطة تحـوّل هامّة في تاريخ تنظيم فرسان التيوتون، حيث وجّه له الملك الهنجاري أوامره بوجوب مغادرة أراضيه فورا. والواقع أنّ أندرو الثّاني رأى فيها ذريعة مناسبة لطرد رجال سالزا الذين باتوا يشكّلون تهديدا حقيقيا على سلطته ومملكته. ودون اعتبار لاحتمال ضياع أجـزاء من مملكة هنجاريا لصالح القوى الخارجيّة المعادية، وجّه خليفته وحاكم دوقيّة ترانسلفانيا، الأمير بيلا الرّابع

---

(1) انظر: Urban, The Teutonic knights, P. 33-36.

وكان فرسان التيوتون قد انتقوا إلى الأراضي الهنجارية مرفوقين بالفلاحين والمتطوّعين من ربوع ألمانيا وأسسوا مستوطنة في بورزلاند، لكن تمّ تفكيك المستوطنة التي كان أسسها أسلافهم في عام 1945م وطردت الحكومة الرّومانية الألمان من تلك المنطقة.

(2) انظر: Ibid., P.35.

(3) انظر: Sălăgean, Op.Cit., P.12.

"Béla IV"(1206.1270م)* حملة عسكريّة ضدّ الفرسان في بورزنلاند وطردهم نهائيّا من المنطقة في عام 1225م رغم معارضة البابا ومساعيه للتّوسّط في القضيّة[1].

الحقيقة إنّ المغامرة الترانسلفانيّة، وعلى الرّغم من عدم نجاحها بالنّظر إلى خروج تنظيم فرسان التيوتون من الصّفقة خالي الوفاض، خاصّة في ظلّ ما تكبّده من خسائر مادّية وبشرية لتأمين الحدود الشّرقيّة لمملكة هنجاريا، بيد أنّ الفرسان أثبتوا فعلا جدارتهم في إدارة المهام الكبرى وأبانوا عن هيبة منقطعة النّظير لا تقلّ عمّا كانت تتمتّع بها هيئتي الدّاويّة والإسبتاريّة في بلاد الشّام**.

---

(1) انظر: Urban, The Teutonic knights, P.36.

وعقب طرد التنظيم من الأراضي الهنجارية، استُحدثت رتبة دوقيّة ترانسلفانيا، وعيّن بيلا الرابع من قبل والده الملك أندرو الثّاني دوقا عليها. انظر: Sălăgean, Op.Cit., PP.12,18.

*: ابن الملك أندرو الثّاني، تولى حكم أراضي ترانسلفانيا بعد طرد تنظيم الفرسان التيوتون منها، وفي سنة 1235م آل إليه عرش هنجاريا بعد وفاة والده وأحكم قبضته على المملكة بعدما قمع البارونات والنّبلاء الذين اشتدّت شوكتهم على عهد والده، تعرضت مملكة هنجاريا على عهده إلى الغزو التتاري الرهيب الذي حوّل ثلاثة أرباع أراضيا إلى رماد، ارجع إلى: The encyclopedia Britannica, 11th Edition, P.662.

**: في ذات السّياق يقرّ المؤرّخ الرّوماني سالاجين"Sălăgean" بأنّ النّظام الدّفاعي الذي أقامه الفرسان التيوتون في ترانسلفانيّا، خوّلها من أن تكون النقطة الأكثر تحصينا على الجبهة الشّرقيّة للعالم الكاثوليكي، ويؤكّد المؤرّخ الأمريكي أوربان"Urban " في هذا الصّدد أيضا على قدرة الهيئة بلوغ مصبّ نهر الدّانوب وإلقاء رواسي كيان ألماني في أقاليم أسفل البحر الأسود، وهو اعتراف ضمني بكفاءتها الحربيّة العالية. ارجع إلى: Sălăgean, Op.Cit., P.19; Urban, The Teutonic knights, P.34 .

2. عرض ماسوفيا"Masovia"* لهيئة فرسان التيوتون وضماناته:

ومما لا شكّ فيه أنّ النّجاح الباهر الذي حققه تنظيم فرسان اليتوتون في ترانسلفانيا في الفترة المتتدة بين 1211م و1225م قد أثار اهتمام الأمراء والنّبلاء في هذه المنطقة، وأصبح ينظر لهم على أنّهم أداة عسكريّة ناجعة يعوّل عليها، وإنّ تلك النّكسة التي تعرّضت لها هذه الجماعة بعد طردها من مملكة هنجاريا لم يقوّض من عزيمتها، بل إنّ تلك المرحلة قد فتحت للفرسان عهدا جديدا من خلال الاستعداد لبداية توغّل عميق في الأقاليم الواقعة شمالي شرق أوربا.

في الحقيقة، يعدّ كونراد الأوّل"Conrad I"(1188-1247م) دوق ماسوفيا"Masovia" وكويافيا"Kuyavia" من أوائل الحكام الذين تفطّنوا لقوّة فرسان التنظيم، وسعى حثيثا لاستغلال شدّة بأس هؤلاء لتحقيق مآربه. لقد حدث أثناء انسحاب فرسان التيوتون من الأراضي الهنجارية أن أضحت الأجزاء الشّماليّة والشّرقيّة من بولندا، وبالخصوص دوقيّة ماسوفيا لقمة سائغة في قبضة القبائل البروسية الشّرسة(1)، وفي ظلّ الوهن الذي حاق برابطة فرسان دوبرزين وعجزها عن صدّ غارات المحاربين البروس، إضافة إلى النّقص الفادح للمحاربين في صفوف الماسوفيين، فضلا عن الفشل الذريع الذي مني به المبشّرون في إطار نشاطهم لنشر تعاليم المسيحيّة على أرض بروسيا، وهو ما تجسّد في الصّعوبات الجمة التي كابدها القائمون على الأسقفيّة التي تمّ تأسيسها في بروسيا**، حوّل كونراد نظره للفرسان معتبرا إياهم بمثابة "**المخلّصين**" له من الوضع الحرج الذي باتت تمرّ به دوقيّته(2).

---

(1) انظر: Norman Davies, God's playground A history of Poland The origins to 1795, Columbia university press, NewYork, 2005, P.72.

وقد استهلّ الدّوق كونراد حربه على القبائل البروسيّة وقاد عدّة حملات فاشلة عليهم بين سنتي 1222-1226م.

(2) انظر: Adam Zamoyski, The Polish way A thousand-year history of the Poles and their culture, 1st Pub., 1987, P.30

*: منطقة تاريخيّة تقع في شمالي شرق بولندا، ضمّ الملك ميزكو الأوّل"Mieszko I" أراضيها إلى التّاج " في القرن العاشر الميلادي، كانت ماسوفيا دوقيّة شبه مستقلّة عن المملكة، تشكّلت عقب وفاة بوليسلاف الثّالث ويرموث"Boleslaw III the Wyrmouth" في سنة 1138م حينما قسّمت بولندا إلى خمسة دوقيّات مركزها كراكوف"Cracow". ارجع إلى: Zamoyski, Op.Cit., P.24.

**: أسّست في عام 1215م على يد الأسقف كريستيان أوليفا"Christian of Oliva" من دير ليكنو"Lekno". ارجع إلى: Davies, Op.Cit., P.72.

وهكذا يبدو في الظّاهر، أنّ كونراد الأوّل كان يعوّل على الدّعم العسكري للفرسان التيوتون ليس من أجل ردّ الخطر البروسي فحسب، لكن واقع الأمر قد تعدّى ما جهر به هذا الحاكم، إنّه كان يخفي طموحات سياسيّة واسعة، أساسها إضعاف مكانة كراكو"Cracow"* التي باتت قوّة رائدة في المنطقة كمرحلة أولى في طريق إخضاع الدّوقيّات الإقليميّة الأخرى، وصولا إلى سواحل البلطيق ذي البعد الاستراتيجي والتّجاري على حدّ سواء. إنّه مشروع واسع ومغر حقا، لم يتأت حسبه إلاّ بمساعدة الفرسان التيوتون له. ولشراء هذه المساعدة الثّمينة لم يتردد كونراد الأوّل على منح امتيازات إقليميّة للتّنظيم غاية في الأهميّة في إطار ما سمي بتشريع ريميني الذّهبي الصّادر عام 1226م[1].

. مضمون تشريع ريميني الذّهبي 1226م:

في هذا السياق، حدث شتاء عام 1226م، تلقّت هيئة فرسان التيوتون دعوة رسميّة من طرف كونراد دوق ماسوفيا يناشدها تقديم يد العون في قتال الوثنيّين وتنصيرهم؛ ومقابل خدماتهم العسكريّة، فإنّ الدّوق تعهّد بالتّخلي للفرسان عن أراضي كولم"Kulm" أو شلمنو"Chełmno" الواقع في شمالي بولندا بين نهري الفيستولا والدرويكا"Drewenz"[2].

ومما لاشكّ فيه، أنّ العرض الماسوفي المغري جاء في وقت كان رجال سالزا قد استوعبوا التّجربة المريرة التي تعرّضوا لها سابقا في ترانسلفانيا، وباتت قيادة التنظيم تتوخّى الحذر الشّديد قبل الإقدام على أيّة خطوة من المحتمل أن تكون وخيمة العواقب على مستقبل التّنظيم نفسه. وقبل الرّد على نداء كونراد، طلب زعيم التنظيم من الدّوق صياغة ميثاق مكتوب لضمان تلك الهبات الممنوحة للهيئة.

---

(1) انظر: Christiansen, Op.Cit., P.79.

(2) انظر: Davies, Op.Cit., P.72.

*: تقع في جنوبي بولندا على نهر الفيستولا، كانت تابعة في القرن العاشر الميلادي لمملكة التشيك"Czech"، وفي عام 990م ضمّها الملك بوليسلاف الأوّل الشّجاع"Boleslaw I the brave" إلى أراضيه وجعل من كراكو أسقفيّة المملكة، برزت منذ سنة 1138م كأهمّ الدّوقيّات الخمس بعد تقسيم بولندا والقلب النّابض لها، تعرضت كراكوف في سنة 1241م إلى غزوات التتار الذين نهبوها ودمّروها إلاّ أنّها لم تلبث أن تعافت في خمسينيّات القرن الثّالث عشر الميلادي وشكّلت مركزا تجاريّا وثقافيا مهما، بعد تتويج فلاديسلاف لوكيتيك القصير"Wladislaw Lokietek the short" اتّخذ من مدينة كراكو عاصمة لمملكته، وفي سنة 1364م أنشأ بها نجله كوزيمير العظيم"Kazimiersz the great" جامعة حملت اسم المدينة لتكون ثاني أقدم جامعة في وسط أوربا. وفي القرن السّابع عشر الميلادي تمّ تغيير عاصمة المملكة على يد سيجسموند فاسا"Sigsmund Vasa"(ت.1632م) من كراكو إلى وارسو"Warso". ارجع إلى:
George J. Lerski, Historical dictionary of Poland 966-1945, Greenwood Pub., 1st Pub., 1996, PP.89-90.

يبدو أنّ كونراد وافق على الشّرط الذي تقدّمت به قيادة التّنظيم، و بعد تلقيّ القائد سالزا نص المشروع فإنّه عرضه على حليفه الإمبراطور الإمبراطور فريدريك الثّاني والأكيد أنّ هذه الخطوة كانت نابعة من توجّس سالزا من إمكانيّة تراجع الدّوق كونراد عن بنود الاتّفاقيّة كما حدث مع التّنظيم في هنغاريا، وعليه فإنّ إقحام الإمبراطور في المسألة من شأنه تقديم ضمانات أكبر للجماعة(1). وتمّت صياغة الشّروط في وثيقة أعلن عنها فريديرك الثّاني في شهر مارس/آذار عام 1226م، سميت بتشريع ريميني الذّهبي" The Golden Bull of Rimini"* (2).

شمل مرسوم ريميني الذّهبي أو مخطّط الحملة الذي حضّره سالزا بدعم الإمبراطور أدّق التّفاصيل المتعلقة بمطاب الهيئة وحقوقها، وكان على رأس هذه المطالب تنازل كونراد كلية عن أراضي كولم"Kulm" للفرسان وضمان استقلاليّتهم المطلقة عليها، وممارسة الهيئة سيادتها الإقليميّة على الأراضي التي تغنمها واعتبارها مكاسب تابعة لها، بالإضافة إلى هذه الشّروط، تمّ إعفاء التنظيم من دفع مختلف أنواع الضّرائب لخزينة الدّوقية(3).

إنّ إدراج الإمبراطور فريدريك الثّاني شرط إقامة التنظيم حكما ذاتيّا داخل الأراضي البروسيّة له ما يفسّره، ذلك أنّ مكانة المقدّم الأوّل هرمان سالزا باعتباره أميرا إمبراطوريّا بمنعى فصلا تابعا لفريدريك(4)، ما يعني أنّ الأراضي البروسيّة وكلّ مكاسب فرسان التيوتون كانت ستؤول مباشرة إلى الإمبراطوريّة بموجب مرسوم ريميني في حالة وافق كونراد على الشّروط الواردة فيه. كما يمكن أن نستشفّ ذلك أيضا من خلال صيغة الملكيّة** التي ضمّنها فريدريك للمرسوم تأكيدا على تبعيّة سالزا وأملاك هيئته للعرش الإمبراطوري

---

(1) انظر: William Urban, The Prussian Crusade, 2nd Ed., Lithuanian research and studies center Inc, Chicago-Illinois, 2000, PP.95-102.

(2) انظر: Urban, The Prussian Crusade, PP.99; Marian Dydo, The German empire and the grand master of the Teutonic order in the light of the Golden Bull of Rimini, Acta Poloniae Historica, Vol.61, 1990, P.33.

(3) انظر: Dydo, Op.Cit., P.36-37.

(4) انظر: Ibid., PP.36-42.

*: على الرّغم من أنّ المرسوم أعلن عنه في سنة 1226م، إلاّ أنّ إصداره بصيغته النهائية تعود إلى سنة 1235م. ارجع إلى: Ibid, P.38.

**: وردت في المرسوم صيغة "Fidelis noster"، وعلى الأرجح أنّ الامبراطور فريدريك سعى من خلال الاعتراف بتبعيّة سالزا إلى التّاج الإمبراطوري إلى إبطال أيّة مطالب محتملة للبابويّة حول أحقيتها في كولم والأراضي التي تحوزها الهيئة مستقبلا، ارجع إلى: Ibid., PP.36-51.

والإعلاء من سلطة الإمبراطوريّة على سلطة سالزا والبابا على حدّ سواء[1].

الواقع أنّ مرسوم ريميني يعدّ مكسبا ليس فقط للفرسان التيوتون، ولكن للإمبراطوريّة الجرمانية المقدسة أيضا، التي شكّلت دعامة قويّة للهيئة وذلك بهدف خلق كيان سياسيّ يمتدّ جنوبي شرق حوض البلطيق ويندرج ضمن أملاكها، بيد أنّه من جهة أخرى، يعدّ خرقا لسيادة ووصاية البابويّة على الهيئة الألمانيّة ونقضا صريحا للتّشريع البابوي الذي أصدره البابا هونوريوس الثّالث في 15 ديسمبر/كانون الأوّل عام 1220م [2].

لا شكّ أنّ الإعلان عن هذه الوثيقة من طرف فريدريك الثّاني وضع مستقبل فرسان التيوتون على المحك وكان على وشك أن يعصف بطبيعة العلاقة الودّية بين البابوية والتنظيم، بيد أنّ حنكة سالزا ودهاءه السّياسي مكّناه من نيل مكانة مرموقة في أروقه كنيسة القدّيس بطرس وإرضاء البابا عقب نجاح مساعيه في التّوصّل إلى اتّفاق سان جيرمانو"San Germano"** في 1230/1229م بين الطّرفين[3].

وبالرجوع إلى ردّ قائد التنظيم فرسان التيوتون على مشروع دوق ماسوفيا وموقفهم منه، يذكر إيريك كريستيانسن"Christiansen" أنّ هرمان سالزا حينما كان في الأراضي المقدّسة برفقة الإمبراطور فريدريك فإنّه أرسل في سنة 1229م عريضة إلى ماسوفيا ضمّنها موافقة جماعته على تقديم خدماتها العسكريّة للدّوق، لكن فقط في حال قبول كونراد للشروط الواردة في العقد[4].

---

(1) انظر: Dydo, Op.Cit., P.36-37.

(2) انظر: Ibid., P.44-45.

منع هذا المرسوم هيئة الفرسان التيوتون من الإدلاء بقسم الولاء إلى أي طرف، ووضع الهيئة تحت سيادة الكرسي الرسولي.

(3) انظر: Iben Fonnesberg-Schmidt, The Popes and the Baltic Crusades 1147-1254, Brill Leiden -Boston, Netherlans, 2007, P. 136 .

(4) انظر: Eric Christiansen, Op, Cit., P.79.

**: تمّ التّوقيع على الاتّفاق في جويلية/تموز 1230م، بين البابا جريجوري التّاسع والإمبراطور فريدريك الثّاني، بعد عودة هذا الأخير من حملته الصّليبيّة البيضاء على الأراضي المقدّسة، ضمنت الإمبراطورية من خلاله حريّة نشاط الكنائس داخل أراضيها مقابل إبطال قرار الحرمان الذي أصدره البابا، واللافت أنّ هذا الصلح جاء نتيجة جهود ووساطة مقدّم التّنظيم هرمان سالزا. ارجع إلى: David Abulafia, Frederick II A medieval emperor, Oxford university press, 1988, PP.200-201.

وكما تمّت الإشارة إليه سابقا، فإنّ كونراد الأوّل كان مجبرا على تقديم تنازلات هامّة، وعلى هذا الأساس تمّ في جوان/حزيران من السّنة المواليّة، أي 1230م التّوقيع على اتّفاقيّة على جسر كروزفيك"Kruszwica" الذي أخذت اسمه(1). وقد بارك البابا جريجوري التّاسع هذا الاتفاق من خلال إعرابه عن دعم هيئة فرسان التيوتون في مهمّتها الجديدة داخل الأراضي البروسيّة انطلاقا من كولم(2).

مما لا شكّ فيه أنّ اتّفاقيّة كروزفيك"Kruszwica" شكّلت نقطة تحوّل حاسمة في تاريخ هيئة فرسان التيوتون، إذ اعتبرت بحقّ الميثاق الذي كرّس سيادتها على الأراضي المكتسبة حديثا، وفي نفس الوقت تعدّ شهادة ميلاد الدّولة البروسيّة والتي حصّلت على الشّرعيتين من القوتين القائمتين أنذاك، الدّينية ممثلة في البابويّة والزمنية التي جسدتها الإمبراطوريّة الجرمانية المقدّسة. لتشكّل هذه الأحداث بحق علامة فارقة بالنسبة لأوربا بكاملها.

---

(1) انظر: Benoit Martel, La Christianisation de la Prusse par L'order Teutonique (13e-14e siècle), Maitrise en Histoire(Pub.), Université du Québec, Montréal, Canada, 2007, PP.27-28 Eric Christiansen, Op, Cit., P.79.

(2) انظر: Marian Arszynski and others, The Teutonic order in Prussia and Livonia the Political and Ecclesiastical structures 13th-16th, Trans. By Hazel Pearson and others, Edited by Roman Czaja and Andrzeij Radziminski, T.N.T and B.V., Torun, 2015, P.14.

III. حملات فرسان التيوتون الصليبية على بروسيا.

1. الأراضي البروسيّة* قبيل غزو فرسان التيوتون.

إنّ مهمّة تنظيم فرسان التيوتون في الأراضي البروسيّة لم تكن تتمحور حول إيقاف غارات الوثنيّين والدّفاع عن الحدود الشّرقيّة والشمالية لمملكة بولندا فحسب، وإنّما كان الهدف الأكبر هو دعم وإنجاح المشـروع الاستيطاني الصّليبي المغربي والمشترك الذي كانت قد بدأته الإمبراطـوريّة الجرمانية المقدّسة وباركته البابـويّة، حيث كان على الهيئة مدّ نفوذها ونشر العقيدة المسيحيّة في أوساط الوثنيّين ما استطاعت إلى ذلك سبيلا.

وبعد النّجاح الباهر الذي حققه تنظيم فرسان التيوتون عقب إبرام معاهدة كروزفيك في عام 1230م، استهلّ الفرسان مهمتهم القاضية بتنصـير القبائل البـروسية الوثـنيّة انطلاقا من أراضي كـولم"Kulm"، وذلك بدعم كامل من البابا جريجوري التّاسع، وشكّلت كولم القاعدة الأساسيّة للتّنظيم لبدء سلسلة جديدة من الحروب التّوسّعيّة في منطقة البلطيق استمرّت ما يربو عن قرنين من الزّمن.

كانت أولى خطوات تنظيم فرسان التيوتون في مهمّته الجديدة تقتضي سبر أغوار المنطقة وطبيعتها تمهيدا لبدء مأموريتهم. وكانت أراضي بروسيا الوثنيّة إبّان هذه الفترة تمتدّ على طول سواحل البلطيق شمالا

---

*: نسبة إلى قبائل البروس التي تنتمي إلى المجموعة البلطيّة تمتد أراضيهم على سواحل البلطيق من نهر النيمن"Nemen" أو مامل"Memel" في الشّمال الغربي إلى نهر نهر الفيستولا في الجنوب الغربي. ورد البروس أو "Bruzi" لأوّل مرّة في كتابات الرّحالة البافاري" Bavarian Geographer" (ق9م)، ومن المحتمل أنّ بروسيا"Prussia" كانت اسما لإحدى قبائل غربي الإقليم الذي أصبح يعرف فيما بعد ببروسيا على غرار مملكة إنجلترا التي أخذت اسمها من قبائل الإنجل"Angel" وألمانيا من قبائل الألماني"Allemage"، كما جاء على ذكرهم التّاجر ابراهيم بن يعقوب اليهودي الأندلسي وأدم من بريمن "Adam of Bremen" الذي تطرّق إلى قبيلة سمبيا"Sembi" . على أنّ بطليموس"Plotemy"(ق2م) كان قد ذكر أسماء بعض القبائل البروسيّة على غرار سودوفيا"Sudovia" وغالينديا"Galindia". ارجع إلى:
Adem of Bremen, History of the Archbishops of Hamburg-Bremen Trans. By Francis J. Tschan, Columbia University Press, 1959, PP.52, 199; Gimbutas Op.Cit., PP.21-26.

بين بوميرانيا"Pomerania"* ونهر الفيستولا في الجنوب الغربي إلى نهر النيمن"Niemen"** في الشّمال الشّرقي(1)، تقاسمت بروسيا حدودها مع دوقيّة ليتوانيا الكبرى، فولينيا"Volhynia"*** في الشّرق والجنوب الشّرقي وماسوفيا جنوبا، وتربّعت أراضيها التي كانت عبارة عن براري ومستنقعات ومروج شاسعة(2) على مساحة قدرها حوالي اثنين وأربعين ألف كلم(3).

أمّا النّظام السّياسي السّائد في بروسيا كان يقوم على أساس قبلي، حيث تشكّلت هذه الأخيرة من وحدات قبليّة متنازعة فيما بينها عددها أحد عشرة قبيلة موزّعة على أحد عشرة مقاطعة كبرى، أقواها على الإطلاق قبائل سامبيا"Sambia" وسودوفيا"Sudovia" وناتانجيا"Nattangia" وفق ما ذكره مؤرّخ الهيئة نيكولاس أوف جيروشين"Nichaus von Jeroschin"(4).

---

(1) انظر: Adolphus Louis Koeppen,The World of the middle ages An Historical Geography, D. Appeton and Company, 1854, P.125; Aleksander Pluskowski, The Archaeology of the Prussian crusade Holy war and colonization 1ST Pub., Routledge London –NewYork, 2013, P.43-44.

(2) انظر: Stefan Striegler, Raumwahrnehmung und Orientierung im sudostlichen Ostseeraum vom 10 bis 16 jahrhundert, J.B.Metzler, 2017, P.61.

(3) انظر: Koeppen, Op.Cit., P.125 ; Pluskowski , Op.Cit., PP.43-44.

(4) انظر: Nichaus von Jeroschin, Chronicle of Prussia A History of the Teutonic knights in Prussia 1190-1331, Trans. By Mary Fischer, 2nd Pub., Edinburg Napier University, Routledge London – NewYork, 2016, P.69; Urban, The Prussian criusade, PP.71-72.

وهي قبائل كولم"Culm"، بوميزانيا"Pomesania"، بوجزانيا"Pogesania"، وارميا"Warmia"، ناتانجيا"Nattangia"، سامبيا "Sambia"، نادروفيا"Nadrovia"، سكالوفيا"Scalovia"، سودوفيا"Sudovia"، غالينديا"Galindia"، بارتيا "Bartia". لمزيد من التّفاصيل ارجع إلى: Urban, The Prussian crusade, PP.71-72.

حول توزيع القبائل البروسيّة أنظر الخريطة ص 80.

*: حول بوميرانيا انظر الفصل الثّالث من هذه الدّراسة.

**: أو ماميل"Memel" ينبع من الأراضي البيلاروسيّة اليوم ويشق الأراضي البولنديّة والليتوانيّة ويصبّ في بحر البلطيق.

***: تمتد أراضي إمارة فولينيا على طول الجزء العلوي من شمالي نهر بوغ"Bug" وبريبيات"Pripiat"، تحدّها غاليسيا"Galicia" من الجهة الجنوبيّة، مملكة بولندا من الجهة الغربيّة أمّا شرقا فتحدّها كل من بولوتسك"Polotsk"، توروف"Turov"، وكييف"Kiev"، وهي اليوم جزء من الأراضي الأوكرانيّة، شهدت إمارة فولينيا إبّان القرن الثاني عشر الميلادي تطوّرا ملحوظا رفقة غاليسيا واندمجا في النّهاية لتشكيل إمارة قويّة سياسيا. ارجع إلى: Janet Martin, Medieval Russia 980-1584, 2nd Ed., Cambridge, 2007, P.105-108

خريطة توضح توزيع القبائل البروسية

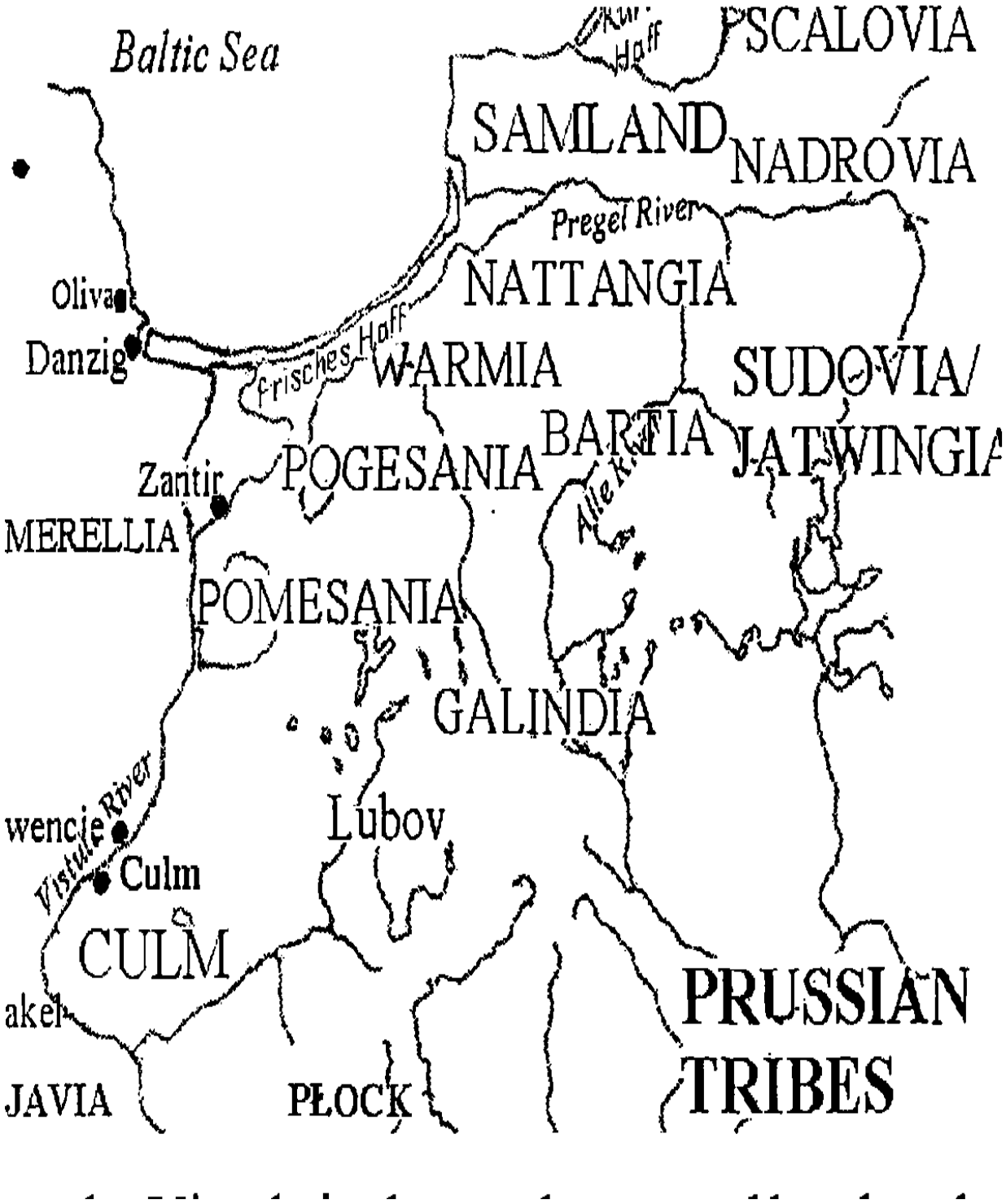

Urban, The Prussian crusade, P.71

عرفت القبائل البروسيّة بتنظيمها العسكريّ المحكم الذي يفوق في شدّته ذاك الذي عرفته الجماعات البلطيّة الأخرى. فقد كان لهؤلاء دفاعاتهم وحصونهم، التي أدّت مهمّتها في كثير من الأحيان وصمدت أمام غارات القـوى المجاورة، كما صعّبت الطّبيعة التّضاريسيّة الوعـرة للإقليم مهمـة الإرساليّات والحمـلات الصّليبيّة المبّكـرة[1].

أمّا المنطقة الجنوبيّة من بروسيا، وتحديدا مقاطعة كولم، فكانت تخضع لسلطة الأسقف كريستيان"Christian of Oliva"* وإخوة سيسترسيان دير ليكنو "Cistercian of Lekno"، كما شكّلت حيّز نشاط فرسان دوبرزين الذين أرادوا الاحتفاظ بأراضيهم على الحدود الجنوبيّة لبروسيا الواقعة على نهر الفيستولا، وطالبوا بأحقيّتهم فيها[2].

من الواضح أنّ مقاطعة كومرلاند كانت عبارة عن "فسيفساء طائفيّة" على حدّ تعبير المؤرخ بلوسكوفيسكي "Pluskowski"، حيث تعايشت فيها الوثنيّة والمسيحيّة، بل إنّ هؤلاء شكّلوا الأغلبيّة الساحقة وهذا في ظلّ هجرات أهاليها الوثنيّين نتيجة الغارات البولنديّة، وإلى النّجاح النّسبي الذي حقّقته الإرساليّات السّابقة[3].

وهكذا افتتح تنظيم الفرسان التيوتـون مهمّته بتوجيه حملة استطلاعيّة إلى الأراضي البروسيّة في ربيع عام 1228م، وبالموازاة مع المفاوضات الجارية على قدم وساق مع كونراد، أوفـد هـرمان سالزا جماعة تتكوّن من سبعة فرسان، مع حوالي مائة من السّراجنة والخدم تحت قيادة أحد الفرسان المحليّين من

---

(1) انظر: Stefan Striegler, Op.Cit., P.61; Urban, The Teutonic knights, PP.50-51.

على أنّ الأراضي البروسيّة تعرضّت لغزوات كل من الفايكينغ، الليتوانيّون، البولنديون وحتّى الروس.

(2) انظر: Ibide., P.53 ;Christiansen, Op.Cit., P.100.

(3) انظر: Pluskowski, Op.Cit., P.13.

*: راهب بولندي، برزت جهوده في تنصير القبائل البروسيّة في مطلع القرن الثّالث عشر الميلاد يوجّه رسالة إلى البابا لتقديم مزيد من التّسهيلات في سبيل تنصير الوثنيين، في سنة 1215م كوفئ كريستيان من طرف البابا إنوسنت الثّالث بلقب أسقفي وعاد له الفضل في إنشاء أسقفيّة كولم فضلا عن تأسيس تنظيم فرسان دوبرزين. ارجع إلى: Urban, The Prussian crusade, PP.80-81.

براندنبورغ "Brandenburg"* يدعى كونراد أوف لاندسبورغ"Conrad von Landsberg"، الذي عرف عنه درايته الواسعة بجغرافيّة وتقاليد المنطقة [1].

اقتصرت حملة كونراد أوف لاندسبورغ على وضع موطئ قدم للتنظيم في مقاطعة كولمرلاند استعدادا لانتقال وحداتها العسكريّة إلى هذه المنطقة، وفي ظلّ استحالة عبور الفرسان التيوتون إلى الضّفة الأخرى[2]، فإنّهم اكتفـوا بالبقاء في الأراضي الماسوفيّة والتّحصّن في القلعة التي شيّدها لصالحهم الدوق كونراد فوق تلّة على الضفّة الجنوبيّة لنهر الفيستولا، وشكّلت فوجلسانغ"Vogelsang"** أوّل معقل للتّنظيم في المنطقة [3].

ومع بداية عام 1229م استكملت بعثة سالزا من بناء القلعة والدّير، عبر كونراد مع رجاله نهر الفيستولا، وباغتوا أقرب بلدة وثنيّة التي تعرضت للنهب والتخريب، وأُجبر أهاليها على اعتناق العقيدة الكاثوليكيّة مقابل إحلال السّلم. ومن الواضح أنّ سكان كولم الوثنيّن لم يرو في حامية فرسان التيوتون على الضّفة المقابلة من نهر الفيستولا تهديدا عليهم بالنّظر إلى عددهم وعدّتهم[4].

---

(1) انظر: Von Jeroschin, Op.Cit., P.63; Urban, Op.Cit.,P.53; Stephen Turnbull and Peter Dennis , Crusader Castles of the Teutonic knights The red-brick castles of Prussia 1230-1466, Vol.1, Osprey Pub., 1st pub., 2003, P.8.

(2) انظر: Von Jeroschin, Op.Cit., P.63.

(3) انظر: Ibid., Op.Cit., P.62-63; Stephen Turnbull, Op.Cit., P.8.

(4) انظر: Urban, The Teutonic knights, P.52

*: مستوطنة أنشأها الأسكانيّون"Ascanians" على الأراضي السلافيّة وتمّت جرمنتها في القرنين الثّاني والثّالث عشر الميلادي، أنشأ بها الإمبراطور أوتو الأوّل"Otto the great"(ت.973م) أسقفيّة في سنة 948م، قسّمت الماركيّة بعد وفاة حاكمها العسكري جيرو"Gero، كان بريبيسلاف"Pribisla"(ت.1150م) آخر حكامها السلافيين وقد عهد بحكم الماركيّة إلى الألماني ألبرت الدب" Albert the bear"(1110.1170م) الذي لم يتمكّن من مباشرة مهامه إلاّ بعد سبعة سنوات من وفاة بريبيسلاف لانشغاله بقمع ثورات السلاف، أصبحت براندنبورغ أبرز مقاطعة ألمانيّة على عهد المارغراف جون الأوّل"John I"(1220.1266م) وأوتّو الثّالث" Otto III"(1220.1267م). ارجع إلى: Joseph R. Strayer, Dictionary of middle ages, Vol.2, Charles scribner's sons, NewYork, 1983, PP.360-362.

**: قبالة موقع قلعة تورن المستقبليّة أطلق الألمان عليها تسمية أوفوجلسانغ"Vogelsang" أو أغنية العصفور"Bird's song". ارجع إلى: Von Jeroschin, Op.Cit., P.62-63 ;Stephen Turnbull, Op.Cit., P.8.

في غضون ذلك كان المندوب البابوي على بروسيا، واسمه وليام أوف موديناWilliam of Modena"(1184-1254م)* يرافق ويراقب سير عمليّة تنصير وثنيّي بروسيا، وكان هذا المبعوث يتمتع بدراية واسعة جعلته يؤمن أنّ عمليّة تنصير الوثنيين في بروسيا يجب أن تتم بشكل واسع وسريع [1].

بعد مرور سنتين على تواجد أوّل قوة تيوتونيّة على ضفاف نهر الفيستولا،لم يكن من مصلحة سالزا المماطلة وترك مشروع الهيئة الجديد معلّقا على هذه الحال دون الحسم فيه، وذلك في ظلّ التّنافس الشّديد والخيارات المتاحة أمام دوق ماسوفيا**، وخوفا من إمكانيّة أن يتراجع كونراد عن موقفه لم يكن أمام سالزا من خيار إلاّ التعامل بكل حزم مع المسألة البروسيّة قبل فوات الأوان [2].

في عام 1230م، بلغت تعزيزات عسكريّة إلى قاعدة فوجلسانغ"Vogelsang"، بقيادة هرمان بالك"Hermann Balk"(ت.1239م)***، الذي انتخب من طرف أعضاء التّنظيم ليكون أوّل سيّد إقطاعي على إقليم بروسيا والماريشال ديتريش فون بورنهايم"Dietrich von Bornhiem"، وكانت المهمّة هذه المرّة تقتضي بالدّرجة الأولى إقامة سلسلة من الحاميات والحصون وتقويتها قبل القيام بحملة عسكريّة ضدّ المعتدين البروس[3].

---

(1) انظر: Urban, The Teutonic knights, PP.52-53; Iben Fonnesberg-Schmid, The Popes and the Crusades Baltic 1147- 1254, Brill, Leiden-Boston, 2007, PP.170-184.

(2) انظر: Christiansen, Op.Cit., P.100.

(3) انظر: Félix Salles, Annales de L'order Teutonique ou Saint Mary de Jerusalem, Société Générale de Libraire Catholic et Gullaume Braumuller, Paris-Vienne, 1887, P.29.

*: أسقف مدينة موديا الإيطاليّة، عيّنه البابا هونوريوس الثالث كأوّل مندوب بابوي إلى منطقة حوض البلطيق وتحديدا إلى ليفونيا في ديسمبر/كانون الأوّل بطلب من رئيس أساقفة ريغا، بلغ سواحل بحر البلطيق في السّنة الموالية، ثم عيّن مندوبا بابويا في الاراضي البروسيّة 1229م. دافع وليام بشراسة عن هبات الكنيسة داخل الأراضي البروسيّة ضدّ التّنظيم، وفي سنة 1243م قسّمها مع البابا إنوسنت الرّابع"Innocent IV"(1243-1254م) إلى أربعة أسقفيّات . رغم أنّ عمليّة إخضاع بروسيا لم تكن قد تمت بعد. ارجع إلى: James A. Brungade, The thirteenth century Livonian crusade Henricus de Lettis and the first legatine mission of bishop William of Modena, In Jahrbucher fur geschichte Osteuropas, Vol.2, 1972, PP.1-9.

**: في هذه الأثناء كانت تنشط في المنطقة هيئة الإسبتارية والدّاويّة. ولعلّ مماطلة سالزا في إرسال قوّاته كان أملا منه بالعودة إلى هنجاريا خاصّة بعد المفاوضات التي قادها البابا جريجوري التّاسع. ارجع إلى: Urban, The Teutonic knights, P.55.

***: أحد أهمّ قادة التّنظيم في منطقة حوض البلطيق، على الأرجح أنّه ينحدر من شمالي ألمانيا وتحديدا سكسونيا، انظمّ إلى صفوف الجماعة الألمانيّة بينما كانت تنشط في ترانسلفانيا.

لكنّ وبما أنّ كولم كانت لا تزال تخضع أنذاك إلى كونراد والأسقف كريستيان، كان على هرمان بالك أن يسعى حثيثا للحصول على ضمانات، وعملا في هذا الاتجاه فقد عرض على دوق ماسوفيا أن تقوم قواته بحماية أراضي الدّوقيّة مقابل تنازل كونراد عن كلّ حقوقه في كولم، وهو شرط لم يكن أمام الدّوق من خيار إلاّ القبول به وبالنّظر إلى فشل فرسان دوبرين في حماية أراضي ماسوفيا وما أصبحوا يشكّلونه من عبء ثقيل على كونراد كان من المنطقي أن يقبل عرض بالك[1].

الواقع أنّ تعيّين هرمان بالك سيّدا على بروسيا، شكّل بداية لمرحلة حاسمة في تاريخ هيئة فرسان التيوتون، وإذا كانت هذه الأخيرة قد وضعت أولى أقدامها في المنطقة، من خلال بعثة كونراد لاندسبورغ، فإنّ إيفاد هرمان بالك جاء لترسيخها والعمل على وضع أولى لبنات ارتباط التّنظيم بأقاليم حوض البلطيق على المدى الطّويل. فعقب بلوغ بالك وقّواته حاميّة التّنظيم المرابطة في فوجلسانغ "Vogelsang"، فإنّه شرع مباشرة في تهيئة الأمور والتّحضير لشن حملة عسكريّة ضدّ البروسيّين، وكان عليه أوّلا القيام بتقوية دفاعات القلعة ومدّ التّحصينات أسفل النّهر وتشييّد قلعة هناك، سميّت نيسو "Nessau"، بالإضافة إلى بناء ميناء آمين بغية تسهيل شحن الإمدادات لبلوغ الضّفة الأخرى[2]. وبعد الفراغ من العمل على قاعدة التّنظيم وتزويدها بالتّجهيزات اللازمة، ووصول دوق ماسوفيا مع الإمدادات اللازمة لتغطية النّقص العددي في صفوف هرمان بالك، تهيأت القوّات الصّليبية لشنّ حملة عسكريّة ضدّ مقاطعة كولمرلاند[3].

---

(1) انظر: Urban, The Prussian crusade, PP.115-117.

(2) انظر: Von Jerochin, Op.Cit., P.64 ; Félix Salles, Op.Cit., P.28.

(3) انظر: Von Jeroschin, Op.Cit., P.64 ; Kristjan Toomaspoeg, Histoire des chevaliers Teutoniques , Flammarion, Paris, 2001, P.103.

لم يجازف المقدّم الأوّل للتنظيم بإيفاد قوّة كبيرة، وبلغ عدد الفرسان الذين أرسلهم المقدّم الأوّل للهيئة مع بالك أربعة فقط، وهم ديتريش فون بونرهايم"Dietrich von Bornheim"، كونراد فون توتلبن"Konrad von Tautleben"، هنريك فون بورغ"Heinrich von Berge" من ثورينجيا، وهنريك فون فتجندروف"Heinrich von Wittgendorf". بالإضافة إلى عدد معتبر من المقاتلين. فقد كان على سالزا توزيع فرسانه جيّدا بين الأراضي المقدّسة، أرمينيا وإيطاليا.

2. اجتياح تنظيم فرسان التيوتون لبروسيا.

أ. حملة هرمان بالك لتأمين مقاطعة كولمرلاند"Kulmerland".

في السّنة المواليّة، أي 1231م، أقلعت القوّات الصّليبيّة من قاعدة نيسو"Nessau"، بزعامة هرمان بالك وعبرت نهر الفيستولا، وقد استهدفت حملة بالك هذه بسط سلطة التنظيم على مقاطعة كولم وتأمينها والزّحف على أراضي المقاطعة. وكان هذا يتطلّب إنشاء عدد من القلاع والاستحكامات عبر النّهر. وحتّى يؤمّن التّنظيم ظهره، استهلّ بالك وفرسانه تشيّيد أولى معاقلهم داخل كولمرلاند[1].

على الضّفة الشّماليّة من نهر الفيستولا، شيّد فرسان التّنظيم قلعة ثورن"Thorn"* وحصّنوها، كما تمّ إلحاقها بدير. وشكّلت ثورن محطّة مؤقتّة لانطلاق حملاتهم لإخضاع وتأمين أراضي كولمرلاند، حيث لم تلبث الجيوش الصّليبيّة أن بدأت في التّقدّم دون هوادة داخل المقاطعة، ومن ثورن سارت القوّات الصّليبيّة باتّجاه حصن روغو"Rogow" الوثنيّ في الشّمال بمحاذاة النّهر[2].

وبحلول عام 1232م، قيّض لهرمان بالك إحكام قبضته على ربوع كولم وإعادة بناء حصن المدينة على موقع القلعة القديمة التي بناها الأسقف كريستيان ودمّرت فيما بعد. وفي أواخر ذات السّنة عزّز بالك سلطته في ربوع كولمرلاند بعد إخضاع الجزء الأكبر من المقاطعة التي أضحت تعدّ القاعدة الرّئيسيّة لفرع التّنظيم في سياسته التّوسّعيّة غربا[3].

بعد استتباب الأوضاع في كولم، دعت الهيئة الفلاحين والأهالي الألمان والبولنديّين على حدّ سواء إلى توطين مقاطعتها الجديدة، وبذلك وضع الفرسان التيوتون الأسس الأولى لقيام مستوطنة ألمانيّة ذات حكم ذاتي تيوتوني، وجاء قانون كولم"Culm Law"** الذي أصدره سالزا في مطلع عام 1233م حتّى

---

(1) انظر: Félix Salles, Op.Cit., P.28

(2) انظر: Von Jeroschin, Op.Cit., P.73 ; Félix Salles, Op.Cit., P.29.

(3) انظر: Urban, The Prussian crusade, P.125 ; Stephen Turnbull, Op.Cit., P.8.

*: حول نشأة مدينة ثورن انظر الفصل الرابع من هذه الدّراسة.

**:كانت الوثيقة الأساسيّة التي نظّمت عملية توطين بروسيا فيما بعد، لمزيد من التّفاصيل حول قانون كولم ارجع إلى الفصل الرابع من الدّراسة.

يضبط سير الحياة الاجتماعيّة والسياسيّة للوافدين ويقنّن امتيازاتهم التّجاريّة[1].

كان من الطّبيعي في ظلّ هذا الظّفر، أن أصبح التّنظيم في موقع قوّة لمجابهة القبائل البروسيّة المجاورة، وسرعان ما تأهّبت حملة ضخمة في صيف سنة 1233م تقدّر بحوالي عشرة آلاف مقاتل جنّدوا من مناطق متفرّقة من ألمانيا، بولندا بالإضافة إلى مليشيات بروسيّة محليّة لمهاجمة أراضي البوميسانيين "Pomesanians" على الجهة الشّماليّة من كولمرلاند، شيّد الفرسان قلعة مارينوردر"Marienwerder" على ضفّة نهر الفيستولا، وشُرع مباشرة في بناء وتحصين مدينة ماينووردر[2].

بناءً على ما تقدّم وفيما يتعلّق بدفاعات التّنظيم، من الملاحظ أنّ فرع التّنظيم في بروسيا قد استلهم تجربة بناء القلاع النّهريّة "River-Forts" من رابطة فرسان السيف في ليفونيا، أين ساد أسلوب تركيز سلسلة القــلاع والدّفاعات بمحاذاة الأنهار حسب ما تقتضيه طبيعة ومناخ المنطقة[3]. وفضلا عن تبايــن بعضها عن الآخر من حيث النّمط الهجومي والدّفاعي، فإنها لعبت أيضا دورا تجاريّا على اعتبار أنّها شيّدت على مصبّات أو منابع الأنهار التي شكّلت شرايين حيويّة في الإقليم[4].

عقب الانتهاء من بناء مدينة مارينووردر، عاد بعض الصّليبيّين إلى مواطنهم، وسرعان ما دعا التّنظيم إلى حملة عسكريّة استهدفت بوميسانيا وبوجيسانيا"Pogesania". وقد ضمّت هذه الحملة كبار الأمراء البولنديّين على رأسهم دوق ماسوفيا وسوانتوبلك"Swantopelk"(1212.1266م)* دوق بوميراليا"Pomerelia" الذي انظمّ لها لاحقا[5].

---

(1) انظر: Harry Grant Plum, The Teutonic order and it's secularization A study in the Protestant revolt , University of Iowa, 1906, PP. 20-21.

(2) انظر: Urban, The Teutonic knights, P. 65.

(3) انظر: Urban, the organization of defense, PP.527-528 ; Striegler, Op.Cit., P.62.

(4) انظر: Pluskowski, Op.Cit., P.12 ; Christiansen, Op.Cit., P.101.

(5) انظر: Urban, The Teutonic knights, P. 65.

بالإضافة إلى دوق كويافيا"Kujavia"، دوق كراكوف"Cracow"، وفلاديسلاف أودونيز" Władysław Odonicz " دوق جنيزنو "Gniezno"، وسامبور"Sambor" شقيق الدوق سوانتوبلك . ارجع إلى: Von Jeroschin, P.75.

*: (1212-1266م) أحد أبرز الأدواق الذين تعاقبوا على بوميرانيا، حيث كثّف منذ توليه حكم الدّوقيّة مساعيه لمد حدود دوقيته والسيطرة على الممرات المائية.

وفيما يذكر أوربان"Urban" أنّ الحملة اجتمعت في صيف سنة 1233م[1]، من المحتمل جدا أنّها سارت في أواخر خريف تلك السّنة أو مع مطلع شتاء السّنة الموالية، خاصّة وأنّ الحملات الكبرى في الشّمال كانت تنظّم غالبا في فصل الشّتاء.

اجتاحت الحملة منطقة رايزن"Reisen" وبلغت نطاق نهر سيرجون"Sirgune" في بوجيسانيا "Pogesania" أين حقّق التّنظيم نصرا مؤزّرا في معركته ضدّ الوثنيّين الذين فشلوا في التّصدّي لضرباته. وقدّر مؤرّخ الهيئة فون جيروشين"Von Jeroschin" عدد الخسائر البشريّة في صفوف البوميسانيّين بحوالي خمسة آلاف رجل[2] وهي مبالغة كبيرة من لدن المؤرّخ في تقدير أعداد القتلى الوثنيين.

والواضح أنّ انتصار الصّليبيّين في موقعة نهر سيرجون مردّه إلى خبرة الكتائب البوميرانيّة في التّعامل مع جيرانهم البروسيّين بحكم الاحتكاك المتواصل بين الطّرفين؛ كما أنّه يعدّ دفعة معنوية هائلة للجيوش الصّليبيّة ذلك أنّ غرب بروسيا أضحى في قبضتهم.

وبعد أن استتمّ البولنديّون مهمّتهم وعادوا أدراجهم، أوعز هرمان بالك إلى فرسانه بوجوب تحصين الواجهة الشّرقيّة لكولمرلاند، وسرعان ما سار هؤلاء إلى بلدة ريدن"Rehden"، حيث شيّدوا بها قلعة حملت اسم المنطقة[3]. وكان لزاما على الفرسان التيوتون ـ بعد أن انفضّت الحملة ـ المرابَطَة في بروسيا الغربيّة والحفاظ على الأراضي التي استولوا عليها في انتظار وصول تعزيزات إضافيّة من المناطق المجاورة.

أوّل ردّ فعل من البروسيّين على هذه الهزيمة، جاء من وثنيي مقاطعة وارميا"Warmian" على أراضي بوميـراليّا"Pomeralia"، وذلك حينما أغاروا على دير أوليوا"Oliwa" وأحرقوه واختطفوا كريستيان أسقف بروسيا، وكانت هذه الحادثة نقطة تحوّل في علاقة هذا الأخير بالتّنظيم الذي تخاذل في تحريره، خاصّة بعد إقصاء الإخوة السيسترسيان وتعويضهم بالدومينيكانيّين[4]. ويبدو أنّ الوثنيين قد قدّمـوا خدمة جليلة لفــرسان سالزا بأسر كــريستيان أسقف بروسيا، ذلك أنّهم أزاحوا أهمّ منافـس لهم على الأراضي

(1) انظر: Urban, The Teutonic knights, P. 65.

(2) انظر: Von Jeroschin, P.75.

(3) انظر: Ibid., P.76-77.

(4) انظر: Urban, The Prussian crusade, P.128.

البروسيّة، أي أنّهم هيئوا للفرسان التيوتون سبل الغزو وجعلهم يتفرّغون له.

في أعقاب هذا الهجوم، أعلن المندوب البابوي وليام أوف موديناWilliam of Modena" الذي لطالما أبدى تحفّظاته حول أسلوب التّنظيم في نشر العقيدة الكاثوليكيّة، دعمه اللامشروط لمهمّتهم، فيما أصدر بالبابا جريجوري التّاسع مرسوم ريتيRieti"* عقب الاجتماع بسالزا ليجدّد أحقيّة الهيئة في حيازة الأراضي التي استولى عليها فرسانه، بيد أنّ المرسوم من جهة أخرى كان تحديّا صريحا للإمبراطورية الجرمانيّة باعتباره وضع ممتلكات فرسان التيوتون تحت سيادة البابوية[1].

ب. حملة الكونت هنري الثّالث"Heinrich III" على بوميسانيا"Pomesania".

في سنة 1236م، استأنف التّنظيم حربه الضّروس على البوميسانيّين، ونُظّمت ضدّهم حملة ثانيّة قادها كونت مايسن"Meissen" هنري الثّالث"Heinrich III" (1215-1288م)، واجتاح الصّليبيّون معاقل البوميسانيّين على نهر موكر"Mocker"، وفرضوا عليها حصارا مهلكا ولم تلبث أن أمامه.

استمرّ الفرسان التيوتون في سياسة تركيز دفاعاتهم على مصبّات وضفاف الرّوافد الكبرى لنهر الفيستولا وتطويقها بغية عزل القبائل البروسيّة تماما عن الطّرق التّجاريّة والضّغط عليها، وبالتّالي إجبارها على الاستسلام كما حدث مع البوجيسانيّين؛ فبعد تعميد البوميسانيّين، أقلعت الحملة عبر نهر نوجات "Nogat" وصولا إلى إلبينغ"Elbing" أين شيّدوا قلعة عتيّة هناك[2].

من الجليّ أنّ الفُرقة التي بدّدت شمل أصحاب الأرض هي التي سهّلت مهمّة التنظيم الذي كان يتقدّم دون هوادة على الجهة الغربيّة من بروسيا خاصّة وأنّ هجماتهم اقتصرت على غارات عشوائيّة. بيد أنّ الإقرار بهذا لا ينفي الدور الكبير الذي اضطلع به أمراء بولندا تحديدا وإن كان اقتصر دعمهم فقط على المشاركة في الحملات الأولى التي رسّخت أقدام الفرسان في غربي بروسيا.

---

(1) انظر: Dydo, Op.Cit., PP.51-53.

(2) انظر: Von Jeroschin, P.78 ; Pluskowski, Op.Cit., P.14.

*: أصدر في 3 أوت/أغسطس 1234م. ويمكن القول بأنّ البابا أراد من خلال هذا المرسوم قطع الطّريق أمام الإمبراطوريّة لوضع يدها على مكاسب الفرسان التيوتون، ورغم ذلك إلا أنّه فشل في قطع أواصر العلاقة بين الطرفين. ارجع إلى: Dydo, Op.Cit., PP.51-53

وفيما كان شأن فرسان التيوتون يتعاظم في المنطقة بعد ضمه لفرسان دوبرين في 1235م، وسيطرته على مناطق واسعة من بروسيا الغربيّة بحلول 1237م، فإنّ رابطة فرسان السّيف في ليفونيا كانت على مشارف الانهيار، عقب الهـزيمة القاسية التي تلقتها على يد القوّات المتحالفة الليتــوانيّة-السّامـوجيـتيّة"Samogetia"*، ولم تجد بدًّا من الحفاظ على وجودها إلاّ بالانضمام إلى هذه القوّة المتناميّة في منطقة حوض البلطيق، ورأى فيها المقدّم الأوّل هرمان سالزا فرصة سانحة لمدّ نفوذ التّنظيم إلى أراضي ما وراء نهر النيمن[1].

من جهة أخرى، يبدو أنّ انضواء رابطة السيف الليفونيّة تحت راية فرسان التيوتون لم يخدم الهيئة الألمانيّة بقدر ما أربك مهمّتها وشتّت جهودها، وأضحى فرسان سالزا يقاتلون على ثلاث جبهات، البروسيّة والليفونيّة، بالإضافة إلى مهمّتهم في الأراضي المقدّسة، بدليل أنّ نجاح الغزوات اللاحقة التي شنّها التّنظيم في سنة 1239م على قبائل وارميا"Warmia"، بارثيا"Barthia" وناتانجيا "Natangia" تحقّق بشقّ الأنفس وكبّد الهيئة وحلفائها خسائر معتبرة على غرار ما حدث بالقرب من قلعة بالغا"Balga" التي استولى عليها الصّليبيّون فيما بعد اتّخذوها معقلا تنطلق منه حملاتهم للتّوغّل في بروسيا الوسطى، وذلك بسبب النّقص العددّي الهائل الذي عانى منه الصّليبيّون[2].

كان من الواضح أنّ مقاطعات بروسيا الوسطى قد بدأت في أواخر الثّلاثينيّات تستشعر ضرورة التّصدّي لجحافل الصّليبيّين ومقاومتهم؛ أوّل ردّ فعل منظّم وقويّ واجه الفرسان جاء من الوارميّين الذين ضربوا حصارا خانقا على قلعة بالغا وشيّدوا معقلين شامخين بالقرب منها، وكان هذا تحدّيا صريحا للهيئة وتهديدا مباشرا للتّنظيم، الذي تمكّن في النّهاية من فكّ الحصار وأودى بخيرة مقاتلي ناتاجيا"Natangia" وبارثيا"Barthia" وهدمت أسوار القلعة والبرج، كما أجبر الأهالي على اعتناق العقيدة الكاثوليكيّة، وللحؤول دون ارتداد هؤلاء وتمرّدهم فإنّهم أقاموا عددا من القلاع في كلّ من ناتانجيا، بارثيا ووارميا[3].

---

(1) انظر: Urban, The Prussian crusade, PP.147-148.

(2) انظر: Von Jeroschin, P.80.

(3) انظر: Ibid., PP.80-86.

*: تلقّى تنظيم فرسان السيف هزيمة ساحقة في موقعة شول في 22 سبتمبر/أيلول سنة 1236م، تمّ فيها الإجهاز على سيّد ليفونيا وأغلب فرسان التنظيم، وللحفاظ على وجود الفرسان الليفونيون فإنّهم اهتدوا إلى الانضواء تحت لواء الفرسان التيوتون، وفي 12 ماي/آيار 1237م صادق البابا جريجوري التاسع على قرار الاندماج وبذلك أصبح فرسان السيف الليفونيّون فرعا تابعا للتنظيم. ارجع إلى: Urban, The Prussian crusade, PP.147-148.

لكنّ هيئة فرسان التيوتون بدأت مع مطلع أربعينيّات القرن الثّالث عشر الميلادي تشهد تراجعا وانكفاءً؛ بالموازاة مع ذلك، فإنّ عجلة المقاومة البروسيّة بدأت في الدّوران شيئا فشيئا، ولم تلبث أن أخذت تشتدّ وتنتشر في أنحاء واسعة من ربوع الإقليم مستغلّة الظّروف الإقليميّة التي هيّأت لإشعال فتيل التّمرّد، ويمكن إيجاز هذه الظّروف الأساسيّة في ثلاثة نقاط:

. تحوّل سوانتبولك دوق بومراليا من أهمّ حلفاء التّنظيم إلى ألدّ أعدائه وتحالفه مع القبائل البروسيّة في سنة 1240م[1] وأغلب الظن أنّ هذا جاء بعد أن تفطّنه لسياسة فرسان التيوتون القاضية بتطويق المناطق الحيويّة في فضاء البلطيق.

. الاجتياح المغولي لبولندا في أواخر سنة 1241م، حيث شكّل ضربة موجعة لتّنظيم فرسان التيوتون الذي اعتمد بشكل أكبر في توسّعاته على دعم الأمراء البولنديّين، فقد انشغل هؤلاء بدرء خطر المغول عن أراضيهم، وعليه فإنّ التّنظيم سيكون عاجزا عن مباشرة مهامه وكبح التّمرّدات الدّاخلية دون مساعدتهم[2].

. تلقّي الفرع الليفوني هزيمة قاسيّة في معركة بحيرة بيبوس"Peypus"* على مشارف الأراضي الروسيّة في سنة 1242م[3].

فضلا عن هذه العوامل، فإنّ الضّربة القاصمة التي تلقتها هيئة فرسان التيوتون أنذاك، تمثّلت في خسارة عقلها المدبّر هرمان سالزا وبعض أهمّ ركائزها كهرمان بالك، وبالتّالي فإنّها افتقدت لقيادة ناجعة

---

(1) انظر: Urban, The Teutonic knights, PP.56-57.

رأى الدوق في المستوطنات النّاشئة التي أقامها التّنظيم في ثورن، مارينووردر"Marienwuder" وإلبينغ"Elbing" وكذا بالغا"Balga" تهديدا على مستقبل تجارة دوقيّته، ومن المحتمل أيضا أنّ تحركاته كانت نابعة من أطماعه في الأراضي البروسيّة.

(2) تعرّض الجناح الشّرقي لأوربا لغارات المغول الذين زحفوا على جنوبي روسيا التي كانت المتضرّر الأكبر بالإضافة إلى المجر وغاليسيا . فولينيا"Galicia-Volhynia"، في أربعينيّات القرن الثّالث عشر الميلادي أسامة إبراهيم حسيب، الغزو المغولي لروسيا، المكتب العربي للمعارف، ط.1، 2008، ص.ص.142-127؛ لمزيد من التّفاصيل ارجع أيضا إلى James Chambers, The Devil's Horsemen the Mongol invasion of Europe, Book Club, 1979, PP.96-101.

(3) انظر: David Nicolle, Lake Peipus 1242 Battle of the ice, Osprey Military Campaign, Series: 46, 1ST Pub., G.B., 1996.

*: جرت وقائعها في 5 أفريل/نيسان 1242م على بحيرة جليدية بين الفرع الليفوني وأسقفيّة دوربات"Dorpat" من جهة وإمارة نوفغورود بقيادة ألكسندر نافيسكي"Alexander Nevsky" في خضمّ سلسلة الحروب الصليبية التي لم تستهدف الوثنيين فقط بل حتى المسيحيين الأرثوذكس، وقد أوقفت هذه الهزيمة زحف الفرع الليفوني شرقا. لمزيد من التّفاصيل ارجع إلى: Nicolle, Lake Peipus.

وصارمة، واستغلت هيئتي الدّاويّة والإسبتارية هذه النقطة للدّخول في صراع طويل مع التّنظيم الألماني استمرّ عقدا من الزّمن[1]. من الجليّ أنّ هذه الظّروف مجتمعة، لعبت دورها لصالح القبائل البروسيّة وشكّلت حافزا للثّائرين لتنظيم ورصّ صفوفهم إيذانا ببدء مرحلة المواجهة والمقاومة ضدّ الغزاة.

(1) انظر: Sterns, The Statutes, Op.Cit., P.36.

حول قضيّة العباءة والوصاية، ارجع للفصل الأوّل.

3. الانتفاضة البروسيّة(1242.1283م).

أ. الانتفاضة البروسية الأولى(1242.1247م).

عقب إنهاء حربه الأهليّة ضدّ شقيقه سامبور"Sambor"، ولّى سفانتوبلك دوق بوميراليا وجهه صوب الفيستولا، الشّريان الرّئيسي لتجارة المنطقة الذي احتكره فرسان التيوتون وعمل على تقويض ذلك وكسر الحركة التّجارية على روافده[1]، من المحتمل أيضا أنّ تحرّك الدّوق كان بهدف انتقامي ردّا على وقوف التّنظيم مع سامبور في مرحلة سابقة[2]؛ وخوفا من ردّة فعل محتملة من طرف الهيئة وحلفائها التّقليديّين، فإنّه سارع لعقد حلف مع البروسيّين دون أدنى اعتبار للاختلاف العقدي[3].

في سنة 1242م انطلقت شرارة الثّورة التي أوقدها سوانتوبلك، حينما اجتاحت قوّات الحلف التّحصينات القريبة من دوقيّته، كإلبينغ وبالغا، وامتدّ التّمرّد إلى وارميا وبارتا وناتانجيا، ولم يثنه التّشريع البابوي الصادر ضدّه في السّنة المواليّة، ولا إيفاد المندوب البابوي من مواصلة تخندقه في صفوف أعداء المسيح ولا التّراجع عن سياسته العدائيّة ضدّ الهيئة[4].

وبقيادة الدّوق سواتوبلك، زحف المتمرّدون صوب بروسيا العليا وعاثوا خرابا في كولم وبوميسانيا، أجهزوا خلالها على حوالي أربعة آلاف مسيحي، إلاّ أنّ قوّات الماريشال ديتريش فون بورنهايم تمكّنت في النّهاية من إلحاق الهزيمة بسوانتوبلك وأنصاره وتبديد شملهم بالقرب من كولم، وقد استرجع الفرسان التيوتون الثّقة عقب هذا الظّفر للسّيطرة على المتمرّدين وتأديب دوق بوميراليا، وبفضل التّعزيزات العسكريّة التي

---

(1) انظر: Iben Fonnesberg-Schmidt, Op.Cit., P.191.

(2) انظر: Paul Milliman, The Slippery memory of men The place of Pomerania in medieval kingdom of Poland, Brill, Leiden-Boston, 2013, PP.46-47.

كان التّنظيم قد دعم مطالب سامبور في بوميراليا ضدّ سوانتوبلك، ممّا فتح عليه نيران الحرب من طرف هذا الأخير انتهت بالتّوقيع على اتّفاقيّة عام 1238م، بيد أنّ الدّوق كان لا يزال يرى في الفرسان تهديدا جاثما على أراضيه؛ وسرعان ما تجدّدت الحرب بين الطّرفين في تلك السّنة لكن هذه المرّة بسبب التّنافس المحموم على دلتا حوض الفيستولا وأطماع كلّ منهما في بروسيا إذ دخل الطّرفان في حرب دامت خمسة عشر سنة (1238.1253م) . حول هذه العلاقة ارجع إلى: Ibid, Op.Cit., P.45-64.

(3) انظر: Pluskowski, Op.Cit., P.14.

(4) انظر: Nicolaus Von Jeroschin, P.90-91.

سيّرها لهم أمراء بولندا فإنّهم تمكّنوا من السّيطرة على قلعة ناكل"Nakel" وتخريب بوميراليا الذي انتهى بتوقيع اتّفاقيّة سلام بين الهيئة وسواتوبلك[1].

وعلى الرّغم من هذا، فإنّ نار التمّرد لم تخبوا واستمرّ السّجال قائما بين الطّرفين، إذ ما لبث الدّوق أن خرق الاتّفاق واستأنفت آلة الحرب التي استهدفت كومرلاند ودمّرتها، وقد شهدت الحرب في بدايتها مبدأ تكافؤ القوى نسبيّا، حيث أحكم سوانتوبلك ومناصروه السّودوفيون"Sudovians"* قبضتهم على بعض حصون التّنظيم، فيما استطاع هذا الأخير تأمين أبرزها، على غرار ثورن"Thorn"، كولم"Kulm" وريدن"Rehden"[2]. غير أنّ الدّعم البابوي للتّنظيم الذي ضمن تعزيزات من ألمانيا والنّمسا كان كفيلا بقلب الكّفة لصالح فرسان التيوتون تحت إمرة بوبو فون أوستيرنا"Poppo von Osterna"** السيّد الجديد على الأراضي البروسيّة [3].

سرعان ما شنّت القّوات الصّليبيّة حملة قمع واسعة على المتمّردين وألحقت هزيمة قاسيّة بالبوميراليّين، الذين تكبّدوا خسائر جسيمة، وقيّض للفرسان إحكام سيطرتهم على إحدى أهمّ القلاع البوميراليّة التي جدّدو بناءها وأطلقوا عليها تسميّة كريستبورغ"Christburg"***[4]. وعلى الرّغم من هذا، فإنّ المواجهات الضّارية استمرّت بين الطّرفين، وفي أواخر سبتمبر/أيلول 1248م أجبر سوالنتوبلك على الجنوح

---

(1) انظر: Nicolaus Von Jeroschin, PP.93-97.

(2) انظر: Ibid., P.99.

(3) انظر: Ibid., PP.103-104.

(4) انظر: Ibid., P.113.

*: عرفوا كذلك باسم الجاتفيغان"Jatwingians"، تقع مضاربهم في أقصى شرق الأراضي البروسيّة، وطبقا لما ذكره نيكولا فون جيروشن أنّ السودوفيّون كانوا "**أكثر القبائل البروسية ثراء وأعلاهم مكانة، وأنّ قوّتهم بلغت قواتهم حوالي 6000 فارس وعدد لا يحصى من المشاة**"، واللافت أنّ إحصاءات جيروشين التي نقلها عن بيتر من دوسبورغ هي دلالة واضحة على التّفوّق العددي الكبير للبروسيين مقارنة بجيوش تنظيم الفرسان التيوتون. ارجع إلى: Nicolaus Von Jerschin, Op.Cit., PP.68-69.

**: كان السيّد الإقطاعي الثّاني للأراضي البروسيّة (1244-1247م) ثمّ انتخب على رأس تنظيم الفرسان التيوتون في 1252م حتى سنة 1256م. ارجع إلى: Nicolaus Von Jerschin, Op.Cit., PP.87, 105.

***: تمّ إعادة تشييد القلعة على نهر سيرجون"Sirgune"، تمّ في هذه القلعة عقد اتّفاقيّة كريستبورغ بين التّنظيم والقبائل البروسيّة التي أخذت اسم القلعة. ارجع إلى: Nicolaus Von Jeroschin, P.113.

للسّلم بفضل جهود المندوب البابوي جاكوب من لييج"Jacob of Liège"* الذي توصلّ إلى تسوية بين الفرسان ودوق بوميراليا، ووقع على معاهدة سلام مؤقّتة في نوفمبر/تشرين الثّاني من نفس السّنة(1).

لقد كان استسلام سوانتوبلك إيذانا بانكفاء المتمرّدين البروسيين الذي أصبحوا دون قيادة فعليّة، واضطروّا إلى قبول المفاوضات مع التّنظيم؛ ومقابل الاعتراف الكامل بسيادة فرسان التيوتون على القبائل البروسية ووقف الأعمال العدائيّة، إضافة إلى إقلاعهم عن الممارسات الوثنيّة، فقد قُدّمت لهم مزيد من الحريّات والامتيازات، وفي فيفري/شباط سنة 1249م تمّ التّوقيع على معاهدة كريستبورغ التي وضعت نهاية للانتفاضة البروسيّة الأولى وكانت بمثابة دستور يضمن الأحوال الشّخصيّة للأهالي البروسيّين(2).

ورغم أنّ التّسويّة التي أفضت إليها المعاهدة، نجحت نوعا ما في الحدّ من خطورة البروسيين غير أنّها لم تكن لترضي كلّ الأطراف، لأنّ الخلاف لم يلبث أن تجدّد وخرق أولئك المتمسّكون بوثنيتهم معاهدة كريستبورغ في أواخر تلك السّنة (نوفمبر/تشرين الثّاني) حينما هاجموا مقاطعة ناتانجيا، وتحديدا بلدة كروكن"Krücken"، وأجهزوا على حوالي خمسين فارسا من فرسان التّنظيم(3).

شكّلت مذبحة كروكن"Krücken" مبرّرا كافيا لفرسان التيوتون والبابويّة لتأجيج زخم الحروب الصّليبيّة في الشّمال، خاصّة بعد القضاء على آخر محاولات سواتبولك لإزاحتهم من مصبّ نهر الفيستولا؛

---

(1) انظر: Nicolaus Von Jeroschin, P.119 ; Milliman, Op.Cit., P.57.

(2) انظر: Urban, The Prussian Crusade, PP.231-234.

كالميراث، تأمين تجارتهم وحريتهم في البيع والشّراء، أحقيّتهم في الانخراط في سلك رجال الدّين، وغيرها من الحقوق، كحريّة تعدد الزوجات، فيما كان عليهم الالتزام بتعالم المسيحيّة الصحيحة وترك عبادة الأوثان، فضلا عن دفع ضريبة للفرسان التيوتون والمشاركة معهم في حملاتهم. والواضح أنّ التّنظيم كان يهدف من وراء ذلك إلى دمج البروسيين في المجتمع المسيحي الذي كانت تعتزم بناءه في بروسيا وبذلك شراء رضاهم والقضاء على جذوة تمردهم.

(3) انظر: Nicolaus Von Jeroschin, PP.117-118 ; Christiansen, Op.Cit., P.102.

**: ويسمى كذلك جاك بانتاليون"Jacques Pantaléon" (البابا أوربان الرّابع"Urban IV" فيما بعد)، ولد سنة 1200م درس في باريس وتدرّج في السلك الكنسي ليصبح في أربعينيات القرن الثالث عشر الميلادي رئيس أساقفة لييج"Liège"، عيّنه إنوسنت الرّابع في سنة 1247م مبعوثا بابويا إلى بولندا وبروسيا وبوميرانيا. وفي سنة 1252م رشّم ريسا لأساقفة فردان"Verdun" كما أصبح منذ 1255م بطريركا للقدس. انتخب كخليفة للبابا ألكسندر الرّابع في 29 أوت/أغسطس 1261م وأخذ لقب أوربان الرّابع. توفي في سنة 1264م. ارجع إلى: J. N. D. Kelly, Op.Cit., PP.194-196.

خريطة توضح انتشار نفوذ تنظيم فرسان التيوتون في بروسيا بحلول خمسينيات القرن الثالث عشر الميلادي (1250م).

أراضي تحت سيطرة فرسان التيوتون.

Paul Robert Magocsi, Historical Atlas of Central Europe, University of Toronto,3rd Rev., 2018, P.17.

وكان اعتناق دوقيّة ليتوانيا الكبرى العقيدة المسيحيّة في منتصف القرن الثالث عشر على عهد ميندوغاس "Mindaugas"* نصرا معنويا هائلا للتّحالف الصّليبي، باعتبار أنّه مكّن الفرسان من خوض الحرب المقبلة ضدّ وثنيّي بروسيا وليفونيا باندفاع أكبر بعد أن أمن شرّ أحد أبرز أقطابها[1].

وبعد تهيئة الأمور وحشد الدّعم اللازم لاستكمال حربها على بروسيا، كان على التّنظيم تقديم تنازلات واقتسام غنائمه مع حلفائه، ومن ضمنهم حليفه الجديد هاكون الرّابع "Hakon IV"** ملك النرويج، الذي أقحم نفسه هو الآخر في معترك الصّراع ومنحه البابا شبه جزيرة ساملاند"Samland" في أقصى شمال بروسيا، على الرّغم من التحفّظات التي أبداها التّنظيم. ويبدو أنّ البابا كان يسعى لإعادة بثّ الرّوح الصّليبية [2].

وعلى أيّة حال، فإنّ حملة صليبيّة هي الأضخم من نوعها بقيادة أوتوكار الثّاني" Ottokar II"***

---

(1) انظر: Nicolaus Von Jeroschin, PP.117-118; Darius Baronas and S.C. Rowell, The conversion of Lithuania from pagan barbarians to late medieval Christians, Institute of Lithuanian Literature and Folklore publisher, Vilinius, P.79.

(2) انظر: Christiansen, Op.Cit., P.102.

لكنّ التّنظيم حال دون سريان وعد البابا لملك النرويج عقب تشييده لبرج كونغيسبورغ"Königsberg" في ساملاند (كالينينغارد "Kaliningrad " الرّوسيّة اليوم) على شرف أوتوكار ملك بوهيميا الذي أدّى دورا هاما في إخضاع السّامبيين. ارجع إلى: Nicholaus Von Jeroschin, PP.126-127 ; Christiansen, Op.Cit., P.102.

*: يعدّ أحدّ أبرز مؤسسي الدّولة الليتوانيّة بعد نجاح والده في وضع أولى أسسها وذلك بتوحيد جلّ الأراضي الذي أصبحت تعرف فيما بعد بدوقيّة ليتوانيا الكبرى. ورد ذكره لأوّل مرّة في سنة 1219م كدوق ليتواني، وفي سنة 1236م كدوق أكبر لكل الأراضي الليتوانيّة، اعتنق ميندوغاس الديانة المسيحيّة في سنة 1251م وكان بذلك أوّل حاكم ليتواني تنكّر لمذهب أسلافه، توّج من طرف البابا في سنة 1253م كملك على ليتوانيا. والأكيد أنّ اعتناقه المسيحيّة كان محاولة منه لحماية حدوده خاصّة إذا علمنا أنّ القوى المسيحيّة كانت تطوّق أراضيه وتضرب بيد من حديد في المنطقة فضلا عن حشد الدّعم والشّرعية ضدّ منافسيه على العرش لأنّه سرعان ما أعلن ارتداه . ارجع إلى: Lithuania, Zigmas Kiaupa, The history of Lithuania, Trans. By S. C. Rowell and Jonathan Smith, 2002,PP.33-38; Saulius Suziedélis, Historical dictionary of Lithuania, 2nd Ed., The Scarecrow press Inc, 2011, PP. 189-190.

**: أو هاكون هاكنسون"Haakon IV Haakonsson" ولد في سنة 1204م وتولى سدّة عرش مملكة النرويج في سنة 1217م إلى غاية وفاته في سنة 1263م.

***: (1253-1278م)، ولد سنة 1230م وهو الابن الثّاني للملك وانسيسلاوس الأوّل"Wenceslas I"(ت.1253م)، عيّن قائدا عسكريا لمورافيا سنة 1247م، ودوقا للنّمسا سنة 1251م. خلف والده على العرش في سبتمبر/أيلول سنة 1253م، شيّدت على شرفه قلعة كالينينغراد العاصمة المستقبلية لبروسيا واستطاع بفضل حنكته الدبلوماسية واقتداره الحربي مدّ نفوذه إلى ستيريا"Styria" عقب هزيمة ملك المجر بيلا الرابع"Béla IV" وصولا إلى سواحل البحر الأدرياتيكي بعد الاستحواذ على كارنيولا"Carniola". ارجع إلى: Murray, Op.Cit., PP.902-903.

ملك بوهيميا استهدفت السّامبيين"Sambians"* في صيف عام 1265م، وبالنّظر إلى كونهم الأشدّ بأسا وقوّة، والأفضل عدّة وعتادا مقارنة بالقبائل البروسيّة الأخرى، فقد استعصى على التّحالف الصّليبي إخضاعهم وكسر مقاومتهم، واستمرّ هذا الأخير يهاجم على مدى خمس سنوات كاملة(1). وبحلول مطلع ستينيّات القرن الثّالث عشر الميلادي، كانت الهيئة قد استأثرت بالسّيادة على الجزء الأكبر من بروسيا بعدما دانت لها بوميسانيا، وارميا، بوجيسانيا وناتانجيا بالإضافة إلى بارثيا وسامبيا، معزّزة بذلك مفهوم دولة التّنظيم "Ordensland"** التي شكّلت جزءً من الإمبراطوريّة الجرمانية حتّى مطلع القرن السّادس عشر الميلادي(2).

أمام هذا الزّحف الجارف للمسيحيّة على أراضيها، لم تقف الوثنيّة في جنوبي شرق حوض البلطيق مكتوفة الأيدي، خاصّة في ظلّ نجاح الثّورة السّاموجيتيّة في 1259م، والانتصار الباهر للوثنيّة على المسيحيّة إثر موقعة دوربي"Durbe"*** في السّنة الموالية(3)، الذي بثّ روحا جديدة في صفوف الوثنيّين، وحتّى في نفوس أولئك الذين أكرهوا على تركها وشجّعهم على إعلان الانتفاضة الثّانية التي شهدت حربا دينيّة طاحنة أوشكت على اقتلاع كيان التّنظيم من المنطقة برمّتها.

---

(1) انظر: Nicholaus Von Jeroschin, PP.123-127 ; Urban, The Teutonic knights, P.59.

(2) انظر: Michael Baigent and Others, The Holy blood and the Holy grail, Arrow books, P.61.

(3) انظر: Urban, The Teutonic knights, P.59 ; Viktoras Lukoševičius, Cartographic image of Samogitia in the old maps of Lithuania, Poland and other neighboring countries(1231–1700), Geodesy and Cartography, Taylor and Francis Pub., Vol.40, Issue 1, 2014, P.28.

وقد كانت ساموجيتيا إبّان هذه الفترة تحت سيادة فرع التنظيم في ليفونيا بعد أن تنازل عليها الملك ميندوغاس للهيئة في أعقاب تتويجه في سنة 1253. لمزيد من التّفاصيل ارجع إلى:

Kristina Markman, Between Two World: A comparative study of the representations of pagan Lithuania in the chronicle of the Teutonic order and Rus, Doctoral Thesis (Published) University of California, 2015, PP.34, 186-187.

*: تعدّ قبيلة سامبيا في الشمال أقوى قبيلة بروسيّة وأكثرها عددا وعدّة، حيث قدّر نيكولاس فون جيروشين عدد فرسانها بحوالي أربعة آلاف فارس وأربعون ألف مقاتل. وقد استوطنت ما يسمى اليوم بكالينينغراد الروسيّة. انظر: Nicholaus Von Jeroschin, P.69.

**:" Deutschordensstaat" أو "Ordenstaat"، كانت تشمل تقريبا كلّ الأراضي الشّرقيّة لبحر البلطيق، وقد ضمّت في مطلع القرن الخامس عشر الميلادي بوميرانيا، بروسيا، كورلاند وشرقي براندنبورغ أو ما سمي بالنيومارك"Neumark" ساموجيتيا وليفونيا، وهي كل الأراضي الواقعة اليوم في ألمانيا، بولندا، ليتوانيا، لاتفيا"Latvia"، إستونيا"Estonia"، روسيا والسويد على أنّ قلعة مارينبورغ شكّلت مقرّا مركزيا لمقدّمي التنظيم. والحقيقة أنّ تنظيم الفرسان اليتوتون حقق ما لم يتحقق لبقيّة التّنظيمات الرهبانيّة الأخرى.

**: جرت وقائعها بالقرب من بحيرة على الأراضي اللاتفية في 13 جويلية/تموز 1260م بين القبائل الساموجيتية الليتوانيّة وتنظيم فرسان التيوتون الذي سعى جاهدا لضم ساموجيتيا باعتبارها منطقة ذات أهميّة استراتيجيّة ولأنّها فصلت بين أراضيها في بروسيا وليفونيا. ارجع إلى: Lukoševičius, Op.Cit., PP.27-28 ; The Livonian Rhymed chronicle, PP.71-73.

ب . الانتفاضة البروسيّة الثّانيّة(1260.1274م).

شكّلت الهزيمة السّاحقة التي تلقاها فرسان التيوتون في موقعة دوربي سنة 1260م حافزا للقبائل البروسيّة لإشعال فتيل الثّورة من جديد، لكن هذه المرّة بحدّة أكبر وضمن مجال أوسع عن سابقتها، وما زاد وضعية الهيئة سوءً هو انتهاز بعض حلفائها الفرصة ومناصبتها العداء وعلى رأسهم ملك ليتوانيا ميندوغاس(1). كما أنّ انشغال الألمان والبولنديّين بترتيب شؤونهم الدّاخليّة كان من شأنه عزل الفرسان وتطويقهم في بروسيا وليفونيا، وبهذا فإنّ مهمّة البروسيين القضاء على التّنظيم وإزاحته من منطقة البلطيق نهائيّا ستكون أقل صعوبة. فضلا عن ذلك، فإنّ مقرّ قيادة الهيئة في الشرق الأدنى الإسلامي كان مهدّدا بالسّقوط*.

بدأت الثّــورة الكبرى في 20 من سبتمبر/أيلول 1260م، وباستثناء بوميسانيا التي حفظت ولاءها للتنظيم؛ فإنّ التّــمرّد انتشر في ربوع بروسيا كلّها، وفوّضت كلّ قبيلة زعيما عنها، كان أشدّهم بأسا وشكيمة هنري مـونت"Henry Monte"**(2) الذي افتتح أولى انتصارات المتمرّديـن في معـركة بوكارون "Pokarwen" في جانفي/كانون الثّاني من السّنة الموالية(3).

---

(1) انظر: Kasekamp, Op.Cit., P.18 ; Zugmantas Kiaupa and Others, The history Lithuania before of 1795, Trans. By Irena Zujiené and Others, Lithuanian Institute of History, Vilnius, 2000, PP.64-66.

من الواضح أنّ تحالف ميندوغاس مع الهيئة كان سياسيا بحتا، وأنّ اعتناقه للمسيحيّة كان الغاية منه خلق تقارب مع الفرسان التيوتون لتقويض الحلف المشكّل ضدّه من طرف عمه مع غاليسيا "Galician" ورئيس أساقفة ريغا، بالإضافة إلى تأمين ظهره خاصّة وأنّ ليتوانيا كانت الهدف الموالي للتنظيم، وهذا ما يفسّر ارتداده عن وثنيّته مباشرة بعد نجاح الانتفاضة الساموجيتيّة وقيام الثّورة البروسيّة الثّانية. ارجع إلى:
Kiaupa, Op.Cit., P.64-65.

(2) انظر: Nicholaus Von Jeroschin, P.135-137 ; Pluskowski, Op.Cit., P.16.

(3) انظر: Nicholaus Von Jeroschin, P.136-137 ; Christiansen, Op.Cit., P.103.

*: تزامنت الثورة البروسيّة الثّانية مع حملات الاسترداد التي قادها الظّاهر بيبرس في المشرق الإسلامي أين كانت الجيوش الصليبية تعاني وفي حاجة هي الأخرى للعدّة والعتاد، فقد هاجم بيبرس عكّا في سنة 1263م، وأحكم قبضته على يافا وأنطاكيّة في 1268م، واجتثّ مركز الهيئة الإداري في مونتفورت سنة 1271م.

**: هنري مونت ابن زعيم من ناتانجيا قضى أكثر من عشر سنوات كأسير في ماغدنبورغ وتعلم هناك الاستراتيجيّة العسكرية لأعداءه. ارجع إلى: Nicholaus Von Jeroschin, P.135-137 ; Pluskowski, Op.Cit., P.16 .

في بروسيا الغربيّة التي تعدّ قاعدة التّنظيم المركزيّة، ضرب الوارميّون حصارا خانقا على قلعة هيلزبورغ"Heilsberg" التي لم تصمد كثيرا بعد أن أُجبر أهاليها على الاقتيات على أحصنتهم؛ وفي غضون ذلك، كانت قلاع روسل"Rössel"، كروزبزرغ"Kreuzburg" في ناتانجيا وكونيغسبورغ "Königsberg" في سامبيا هي الأخرى ترزح تحت نير الحصار، وفيما سقطت الحاميّة الأولى وأبيد رجال الحامية الثّانيّة، فإنّ قلعة كونيغسبورغ المركزيّة نجت ـ مؤقّتا ـ بفضل التّعزيزات القادمة من أراضي نهر الرّاين وكذا ليفونيا[1].

من الواضح أنّ تعثّر وصول الإمدادات إلى بروسيا، رغم حرص البابا أوربان الرّابع"Urban IV"* على ذلك، كان سببا أساسيّا في توالي هزائم التنظيم على يد المتمرّدين البروسيين، حيث تكبّد الفرسان في الفترة الممتدّة بين سنتي 1261 و 1264م، خسائر فادحة، من ضمنها مقتل سيّد بروسيا هلمريش فون فورزبورغ"Helmerich Von Würzburg"** والماريشال ديتريش في معركة لوبو"Löbau" في سنة 1263م على يد جحافل هنري مونت، علاوة على ضياع معظم قلاع غربي بروسيا في ظرف سنة واحدة باستثناء ثورن، إلبينغ، بالغا، كونيغسبورغ، وبارتنشتاين"Bartenstein" التي كان سقوطها مؤجّلا إلى غاية 1264[2].

الملفت للانتباه في تاريخ المقاومة البروسيّة، أنّ المتمرّدين لم يلجأوا إلى أسلوب المواجهة المباشرة مع التّحالف الصّليبي ـ خلافا للمعارك البحريّة ـ بل إنّهم عمدوا في كثير من الأحيان إلى حصار القلاع بطريقة مغايرة للآليّات الغربيّة الشّائعة آنذاك، وذلك عن طريق بناء الأبراج والاستحكامات بمحاذاة قلعة العدو والالتفاف عليها بغية قطع المدد عنها ثمّ استئصالها من المنطقة، والواقع أنّ هذه الطّريقة أثبتت نجاعتها وكثيرا ما أسفرت عن نتائج مرضية لأصحاب الأرض، خاصّة إبّان المرحلة الأولى من المواجهات.

---

(1) انظر: Nicholaus Von Jeroschin, PP.138-140, 149-152 ; Pluskowski, Op.Cit., P.16.

(2) انظر: Nicholaus Von Jeroschin, PP.151-154.

*: كان البابا أوربان الرّابع حليفا غير عادي للتنظيم، وكان على دراية تامة بشؤون بروسيا على اعتبار أنّه عمل مندوبا بابويا هناك وكان له الفضل في توقيع اتّفاقيّة سلام كريستبورغ مع المتمردين البروس 1249م.

**: 1262-1263م، سيّد بروسيا السّادس خلفا لهرمان جرونباخ "Hartmann von Grünbach"(1259-1261م)

وفي ظلّ تهاوي الخطوط الدّفاعيّة لتنظيم فرسان التيوتون، لم يكن حلفاء الهيئة التّقليديّون وعلى رأسهم بولندا بمنأى عن لهيب الثّورة، ففي سنة 1262م، انظمّ السّودوفيّون"Sudovians" إلى المتمرّدين، وبمساعدة الجيوش الليتوانيّة فإنّهم أغاروا على الحدود الشّرقيّة للمملكة وبلغوا أعتاب أراضي كويافيا ودوقيّة ماسوفيا، كما لم تسلم مدينة كولم، القلب النّابض لدولة الفرسان من اختراق المتمرّدين لها بفضل دعم ميستوين"Mestwin" دوق بوميراليا الجديد(1).

من الجليّ أنّ أولى مراحل المواجهات بين الطّرفين، شهدت اكتساح المتمرّدين لقوّات التّنظيم الذي كان بلا دعامة ولا سند، وبدا لوهلة أنّ كيانه في بروسيا أوشك على الانهيار، بيد أنّ الهيئة في سنة 1265م عرفت منعرجا حاسما حينما انقلبت الأمور لصالحها، وذلك عقب جنوح السّامبيّين إلى المهادنة ووصول إمدادات هامة من الصّليبيّن الألمان، وبالنّظر إلى أنّ المشاركة البولنديّة قد تضاءلت بشكل كبير بحلول هذا الوقت، كان لابدّ على سيّد بروسيا، لودويغ فون بالدرشايم" Ludwig von Baldersheim"** من التعويل على مساعدات الإمبراطوريّة الجرمانيّة(2).

بناء على ما تقدّم، يستشفّ أنّ انسحاب بولندا ونأيها بنفسها عن مؤازرة تنظيم الفرسان . بغضّ النّظر عن دوافعه . شكّل فرصة سانحة للإمبراطوريّة الجرمانية احتكار مشروع الهيئة في بروسيا، وبالفعل فإنّ الحملات الصّليبيّة في الشّمال ارتبطت منذئذ بالأمراء الألمان الذين اضطلعوا بالدّور الأكبر في تنظيم الحملات الصّليبيّة ضدّ بروسيا وليفونيا على حدّ سواء، وأصبح مشروع تنصير القبائل البروسيّة مشروعا ألمانيّا بحتا.

الواقع أنّ لتّعزيزات الألمانيّة التي أرسلها دوق برونشفيج"Braunschweig" في شتاء 1265م، ووصول أخرى في السّنة الموالية بقيادة الحاكم العسكريّ لبراندنبورغ ونجله، مكّنت من تقوية روح المواجهة لدى فرسان التيوتون، لكن ونظرا لاستحالة تنظيم حملة عسكريّة ضدّ المتمرّدين لأسباب مناخيّة، فقد شيّد الصّليبيّون قلعة منيعة على ضفّاف نهر بروخـلاداني"Prokhladnaya"، بين بالغا وكـونغيسبورغ واتخذوها

---

(1) انظر: Christiansen, Op.Cit., P.103; Pluskowski, Op.Cit., P.16.

(2) انظر: Pluskowski, Op.Cit., P.16.

*: السّيد السّابع على بروسيا، امتدّت ولايته من سنة 1263 إلى سنة 1269م. ارجع إلى: Nicholaus Von Jeroschin, P.154.

الأراضي الواقعة تحت نفوذ تنظيم فرسان التيوتون بحلول عام 1265م.

(1) انظر: Markman, Op.Cit., P.328.

كقاعدة لانطلاق هجمات التّنظيم، خاصّة أنّ أبرز معاقله كانت قد دمّرت آنذاك وعلى رأسها بارتنشتاين ومارينووردر، وحملت القلعة الجديدة اسم براندنبورغ تكريما للدّوق(1).

الواقع أنّ هذه الإمدادات، وعلى الرّغم من أنّها لم تحقّق شيئا يذكر باستثناء بناء القلعة، إلاّ أنّها بثّت الرّعب في نفـوس المتمرّدين، وكانت حملة الملك أوتـوكار الثّانية التي بلغت الأراضـي البروسيّة في سنة 1268م نقطة تحوّل مفصليّة في مجرى الأحداث، فعلاوة على فكّه الخناق على كونغسبورغ وتأمينه للحدود الغربيّة التي تهدّدها خطر البوميراليّين، كان أوتوكار يطمح إلى إخضاع أراضي سودوفيا لصالح فرسان التيوتون، لكنّ ذلك تعذّر عليه بفعل التّقلّبات المناخيّة(2).

بحلول مطلع سبعينيّات القرن، كان التّنظيم قد استرجع هيبته في فضاء البلطيق، فبعدما رفع الحصار عن أهمّ قلاعه وأعاد تشييد تلك المدمّرة كمارينبورغ، بارتنشتاين ومارينووردر؛ فإنّه استهلّ في عام 1271م* سياسة قمعيّة شديدة ضدّ المتمرّدين ورفض أيّة محاولات للصلح أو التّسوية تفاديا لمذبحة أخرى، وما لبث بمساعدة بعض القادة الألمان أن قهر ثوار ناتانجيا وأعدم زعيمهم هنري مونت، كما دانت له وارميا، ثمّ بارثيا إثر موقعة باغانستاين"Paganstein"؛ وجدير القول بأنّ الفرسان التيوتون اتّبعوا إجراءات تفقيريّة قاسية أجبرت المتمرّدين البروسيين، إمّا على الخضوع أو الهجرة قسرا إلى ليتوانيا، فضلا عن تجريد زعمائهم من الامتيازات التي كانت قد منحت لهم قبلا(3).

وفي عام 1273م، بسط التّنظيم سطوته على قبائل سامبيا، ناتانجيا، وارميا وبارثيا، فيما بقي ثوار بوجيسانيا بقيادة لينكو"Linko"** آخر المرتدّين يشكّلون تهديدا جاثما على مناطق نفوذ الهيئة، وكانوا يغيرون عليها دوريّا انطلاقا من معقلهم في قلعة هيلزبورغ؛ وقد اعتُبرت تلك السّنة بحق أخطر وأسوء

---

(1) انظر: Nicholaus Von Jeroschin, P.154 .

(2) انظر: Ibid., PP.154-155 .

(3) انظر: Ibid, PP.57-160; Christiansen, Op.Cit., P.103.

*: شهدت هذه السّنة سقوط مونتفورت أبرز قلاع الهيئة في الأراضي المقدّسة على يدّ الظّاهر بيبرس، لكنّ فرع الهيئة في بروسيا شيّدوا قلعة تحمل اسمها (ستاركنبورغ) على نهر أوزا"Ossa" في السّنة الموالية. لمزيد من التّفاصيل ارجع إلى: Ibid., P.167.

**: خليفة أوتوم"Auttume" زعيم البوجيسانيّين في بدايات الثّورة، ومن المرجّح أنّ أوتوم توفي قبل سنة 1270م. ارجع إلى: Ibid., PP.135, 163.

سنوات الانتفاضة كما يصفها المؤرّخ أوربان[1]، وتكمن خطورتها في كونها جاءت بالتّزامن مع إعلان السّودوفيّين والليتوانيّين الحرب على التّنظيم وتركيز هجماتهم على مستوطنة كولم وأراضي ثورن، ريدن، واستطاعوا دكّ بعض معاقل الفرسان على غرار ستاركنبورغ"Starkenberg" داخل أراضي كولمرلاند وسبيتنبورغ"Spittenberg"، بالإضافة إلى وارتنبورغ"Wartenberg"[2].

كان على فرسان التيوتون قبل القيام بأيّة خطوة عسكريّة ضدّ المحور الوثني، السّودوفي الليتواني، كبح جماح البوجيسانيّين وردّ غاراتهم على إلبينغ، كولم وكريستبورغ التي كادوا يفقدونها، وانتقاما منهم، وجّه فرسان التيوتون بقيادة الماريشال كونراد فون تيربرغ"Konrad Von Tierberg"** حملة ضخمة ضدّ البوجيسانيّين في شتاء سنة 1274م، تمكّنت على إثرها من كسر شوكتهم وإعادتهم إلى فضاء العقيدة المسيحيّة، مع تأمين حدود بوجيسانيا الشرقيّة مع سودوفيا، وبهذا فقد وضع الفرسان نهاية للثورة البروسيّة الثانية التي دامت أربعة عشر سنة كاملة[3].

الواضح، بناء على ما سبق، أنّ سلاح حرب العصابات الذي اعتمده المتمرّدون شكّل على بساطته وبدائيّته مقارنة بالوسائل والأساليب الحربيّة عند الغرب الأوربي سلاحا فتّاكا أربك جحافل الصّليبيّين، وكاد يقضي على وجود الهيئة ويجتث كيانها من بروسيا إبّان الانتفاضة الثّانيّة لولا الإمدادات الألمانيّة التي كثيرا ما حسمت الموقف لصالح التّنظيم. ويجوز القول أيضا، أنّ نجاح الفرسان التيوتون في إخماد تلك الثّورة المتضرّمة قد ثبّت أسس دولة بروسيا التيوتونيّة في المنطقة بشكل نهائي ستمتدّ حتّى القرن السّادس عشر الميلادي.

عقب إخضاع بوجيسانيا والضّرب بيد من حديد دون أدنى تدخّل للبابويّة في السياسة الدّاخليّة للتّنظيم، وبعد استتباب الأمور في دولته الكاثوليكيّة الفتيّة، كان على هذا الأخير مواصلة فتوحاته داخل بروسيا الشّرقيّة التي لطالما أقضّت مضجعه، واقتضت الضّرورة حينها مباغتة أعداءه والسكالوفيّين

---

(1) انظر: Urban, The Teutonic knights, P.60.

(2) انظر: Nicholaus Von Jeroschin, PP.165-171.

(3) انظر: Nicholaus Von Jeroschin, PP. 178-177; Urban, The Teutonic knights, P.60

**: أو كونراد الأصغر تمييزا له عن شقيقه المقدّم الأوّل كونراد الأكبر.

"Scalovians" والنّدروفيّين"Nadrovians"* بالإضافة إلى السّودوفيّين، ونقل الحرب إلى عقر ديارهم، إذ لم يكد يسترجع الفرسان أنفاسهم حتّى باشروا مهمّة إخضاع وترويض هؤلاء في السّنة ذاتها(1).

وبإيعاز من سيد بروسيا كونراد فون تيربرغ الأكبر"Konrad von Tierberg"، قاد ديتريش مندوب مقاطعة سامبيا حملة ضدّ ندروفيا"Nadrovia" واستطاعت هذه الحملة في ظرف وجيز تحقيق أهدافها والاستيلاء على أهمّ معاقل النّدروفيّين على غرار أوثولوشيا"Otholochia" في كاثو"Catthow" وكامنسفيكا"Cameniswika" في قلب ندروفيا دون أيّة مقاومة تذكر، بل إنّ العدّيد منهم هاجروا إلى المناطق المجاورة تحت طائلة ضربات الفرسان التيوتون (2).

ويبدو أنّ ندروفيا لم تكن خصما عتيدا للتنظيم، ذلك أنّها سرعان ما استسلمت للعقيدة الجديدة؛ وباتت تشكّل قاعدة انطلاق الحملات العسكريّة ضدّ أراضي الجارة سكالوفيا؛ الواقع أنّ استراتيجيّة فرسان التيوتون بدت واضحة المعالم فيما تعلّق بشأن التّوسع صوب الشّمال، فقد كان من مصلحة التّنظيم الزّحف على الأراضي السكالوفيّة أوّلا، قبل التّعامل مع المسألة السودوفيّة، لأنّ إخضاع سكالوفيا كان سيضعها في مواجهة مباشرة مع ساموجيتيا وبالتّالي تأمين الجبهة الشّمالية، علاوة على تأمين جنوبي كورلاند "Courland"** التي كانت عرضة لغارات الساموجيتيين. والأكيد أنّ إزالة خطر السّاموجيتيّين كان سيضمن سلامة الطّريق البحري غربي كورلاند وسهولة التّواصل بين أراضي بروسيا وليفونيا التيوتونيّتين وتنسيق الجهود الصّليبيّة فيما بينهما.

لقد منح الخليفة الجديد على الأراضي البروسيّة، مانجلولد فون شتورنبورغ" Mangold Von Sternberg"(1280-1283م) اهتماما خاصا لمسألة الاستيلاء على سودوفيا، ووجه ضدّها عدّة حملات أجبرت معظم نبلاءها على الاستسلام وسرعان ما أنهكت ضربات التّنظيم وحتّى البولنديون قبيلة

---

(1) انظر: Nicholaus Von Jeroschin, PP.184-183.

(2) انظر: Nicholaus Von Jeroschin, PP. 184-185; Urban, The Teutonic knights, P.64.

*: تعدّ أكبر مقاطعات البروسيّة، تقع في أقصى شرق بروسيا وكانت تشمل أراضي الندروفيين روسيا وجنوبي ليتوانيا اليوم .

**: الأراضي الكورونيّة، أسقفيّة تابعة لفرع الهيئة الليفوني منذ 1242م.

السودوفيّين التي استسلمت دون قتال في سنة 1283م بقيادة زعيمهم سكوماند"Scumand"[1]. وبعد قمع تنظيم الفرسان التيوتون للانتفاضة البروسيّة الثّانية أضحى يسيطر على بقوّة على الأراضي البروسيّة رغم بعض المحاولات الأخرى للانتفاض عن سلطة التنظيم على غرار محاولة سنة 1286م و1295م.

(1) انظر: Urban, The Prussian crusade, PP.352-355.

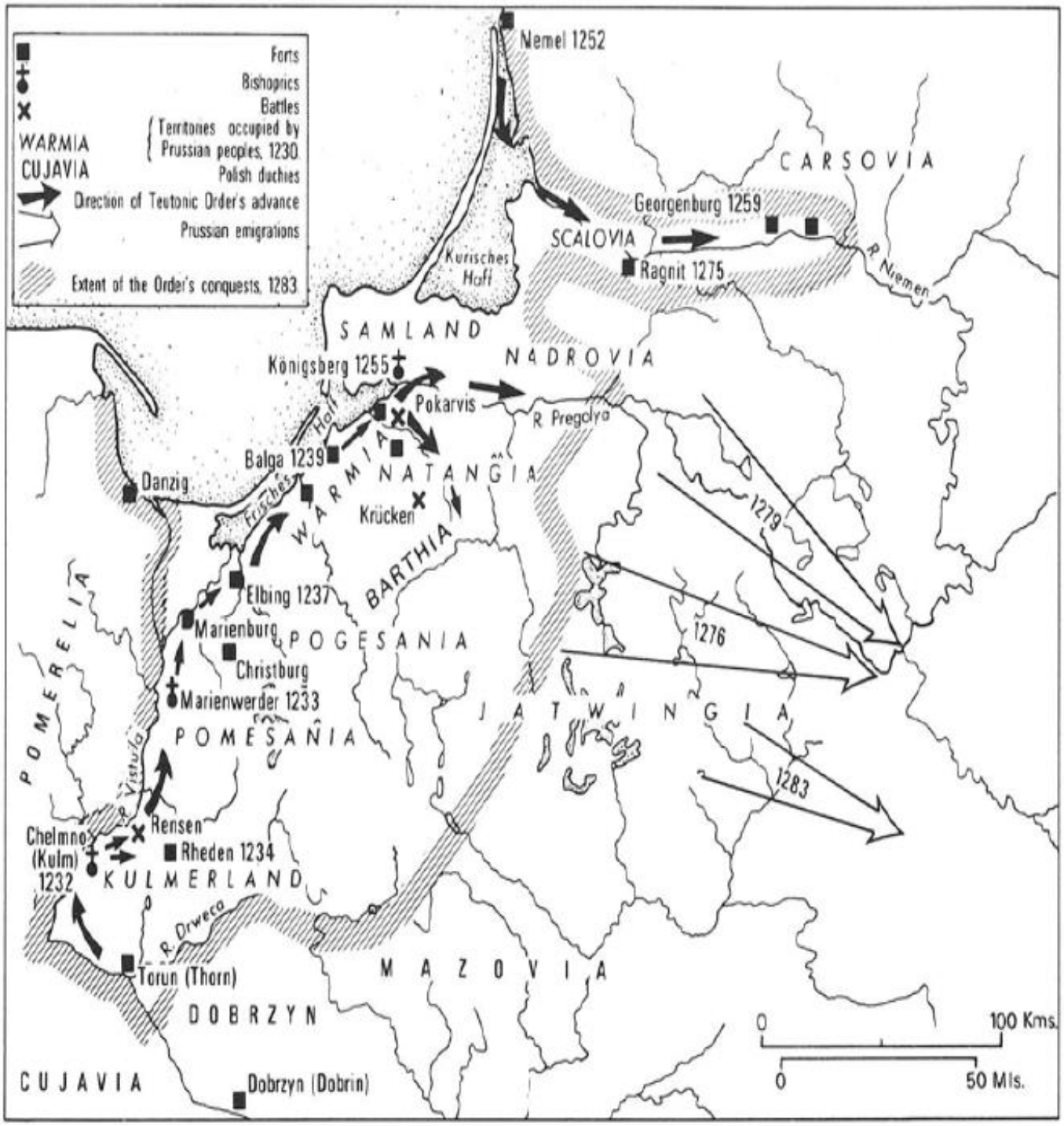

MAP 4 The Prussian Crusades, 1230–83

Christiansen, Op.Cit.P.xx.

الفصل الثالث

الفصل الثالث

I- علاقة تنظيم فرسان التيوتون بقوى شرق نهر الأودر .

1- علاقة التّنظيم بدوقيّة ليتوانيا الكبرى قبل سنة 1386م.

2- علاقة دولة تنظيم فرسان التيوتون بمملكة بولندا.

II- أراضي بوميرانيا محور النّزاع الألماني – البولندي.

1- احتلال فرسان التيوتون لإقليم بوميراليا وبداية الحرب مع بولندا.

2- تنظيم فرسان التيوتون في مواجهة التّحالف البولندي –الليتواني.

3- معركة تاننبورغ عام 1410م وانعكاساتها على قوى شرق نهر الأودر.

أ- حصار قلعة مارينبورغ

ب – سلام ثورن الأوّل (1411م) وانعكاساته على نفوذ التّنظيم في المنطقة.

III- مرحلة ما بعد تاننبورغ وبداية انهيار تنظيم فرسان التيوتون.

1- حرب الثلاث عشرة سنة (1454-1466م).

2- سلام ثورن الثّاني(1466م) ونتائجه.

I. علاقة تنظيم فرسان التيوتون بقوى شرق نهر الأودر.

بحلول مطلع القرن الرّابع عشر الميلادي كان تنظيم فرسان التيوتون قد برز في منطقة شرق نهر الأودر، بل والقارة الأوربيّة بأكملها كقوّة عظمى، واضعا بذلك أسس دولته "Ordenstaat"* التي امتدّت لتشمل أجزاء واسعة من جنوبي شرق حوض البلطيق، حيث تربّعت على أراضي بروسيا، ليفونيا وكورلاند، واتّخذت فيما بعد من قلعة مالبورك على الفيستولا قاعدتها المركزيّة. وفي ظلّ القوّة المتناميّة لتنظيم فرسان التيوتون، كان من الطّبيعي أن يشكّل تفوّقهم العسكري مصدر ارتياب وتوجس القوى المجاورة، إذ سرعان ما اصطدمت طموحات الفرسان التيوتون بمصالح هذه الأخيرة في شرقي أوربا الوسطى.

قبل الخوض في طبيعة العلاقات التي ربطت دولة الفرسان التيوتون الفتيّة بجيرانها، وجب الإشارة أوّلا إلى القوى الرئيسيّة والأقطاب الكبرى السّائدة في المنطقة آنذاك على غرار مملكة بولندا، دوقيّة ليتوانيا الكبرى، ومملكة هنجاريا وبوهيميا، فضلا عن بعض الوحدات السياسيّة المستقلّة التي غالبا ما كانت تخضع لإحدى هذه الأطراف لاعتبارات سياسية كانت أو إثنيّة.

الواضح أنّ دوقيّة ليتوانيا الكبرى ومملكة بولندا شكّلتا أكثر الأطراف استهدافا في السياسة الخارجيّة لدولة فرسان التيوتون، أوّلا بحكم وزنهما السّياسي والعسكريّ في وسط أوربا، وثانيا لأنّ موقعهما الجغرافي المتاخم لكلّ من ليفونيا وبروسيا قد جرّهما إلى احتكاك دائم مع التّنظيم ووضعهما أمام تهديده المباشر، خاصّة في ظلّ رغبة كلّ طرف بالسيطرة على السّواحل الجنوبيّة لبحر البلطيق باعتبارها شرايين حيويّة تربط بين شرق أوربا وغربها**.

---

*: يتحفّظ بول مليمان"Paul Milliman" عن استخدام مصطلح الدّولة للدّلالة على الأراضي التي كانت خاضعة للتّنظيم في مستهلّ أطروحته، ويشير في موضع آخر إلى أنّها كانت لا تزال تعدّ – رغم تشكّلها النّهائي تقريبا – كيانا دينيّا وليس كيانا سياسيا، وعندما كانت الجدليّة بين الكيان والدّولة في العصور الوسطى تكمن في الشّرعيّة المستمدّة من السّلطة الرّوحيّة فإنّ الوحدة السياسيّة التي بناها التّنظيم في منطقة البلطيق واصطلح عليها "كيانا" يعتبر أمرا لاغيا والأصح هو اعتماد تعريف الدولة التي تجسّدت بكل خصائصها. أنظر: Paul Richard Milliman, Disputing territoriallity and sovereinity : the place of Pomerania in social memoryof the kingdom of Poland and the Teutonic Ordensstaat, Doctoral thesis (Pub.) University of Cornell,U.S.A., 2007, P. 1, 87.

**: حول القوى المجاورة لـ"Ordenstaat " انظر الخريطة ص 110.

خريطة توضح القوى المجاورة لدولة تنظيم فرسان التيوتون خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين.

(1) انظر: Magocsi, Op.Cit. , P.29.

استنادا إلى ما تقدّم، وبما أنّ دوقيّة ليتوانيا الكبرى ومملكة بولندا شكّلتا أيضا قوّتان لا يستهان بهما في جنوبي بحر البلطيق، وكانت لهما نفس أهداف وطموحات الهيئة، فإنّ المسألة باتت تتمحور حول طبيعة العلاقة التي ربطت بين دولة التّنظيم وليتوانيا الوثنيّة من جهة، ومع بولندا من جهة أخرى.

1. علاقة التّنظيم بدوقيّة ليتوانيا الكبرى قبل سنة 1386م .

كانت دولة فرسان التيوتون تتقاسم حدودها مع دوقيّة ليتوانيا الكبرى، حيث جرّ موقع هذه الأخيرة المتاخم لأراضي التّنظيم إلى احتكاك مباشر بين الطّرفين، وكانت دوقيّة ليتوانيا الوثيّنة قد شكّلت منذ القرن الثّاني عشر الميلادي إحدى الأقطاب البارزة في فضاء البلطيق، أمّا ساموجيتيا"Samogitia"* وفلينيوس"Vilnius"** فقد شكّلتا منذ ثلاثينيّات القرن الثّالث عشر الميلادي أهمّ القواعد داخل أراضي الدّوقيّة[1].

يبدو في ظلّ هذا التّقارب الجغرافي وتنامي قوّة فرسان التيوتون في البلطيق أن خلفاء ميندوغاس رأوا في التّنظيم تهديدا جاثما على مصالح ليتوانيا ووحدتها السياسيّة والجغرافيّة وخطرا على عقيدتها الوثنيّة، ولهذا فإنّ العلاقة بين الطّرفين لطالما اتّسمت بطابع العدائيّة منذ بداية مهمّة الهيئة على الأراضي البروسيّة.

---

(1) انظر: Strayer, Op.Cit., Vol.7, P.604.

*: أو الأراضي المنخفضة"The lawland"، تقع ساموجيتيا في الجزء الغربي من ليتوانيا وفي كثير من الأحيان تمتّعت بالاستقلاليّة عن الحكام الليتوانيين. تمتد من الحدود اللاتفيّة شمالا إلى نهر النيمن"Neimen" جنوبا، ومن نهر نيفز"Nevezis" شرقا إلى سواحل بحر البلطيق غربا. بحكم موقعها الاستراتيجي كونها شكّلت الواجهة الساحليّة الوحيدة لليتوانيا على بحر البلطيق من جهة، والشّريط الرّابط بين ليفونيا والأراضي البروسيّة بالنّسبة لهيئة الفرسان التيوتون من جهة أخرى، فإنّها لطالما شكّلت نقطة خلاف كبرى بين الطّرفين. لمزيد من التّفاصيل ارجع إلى: Lukosevicus, Op.Cit., P.27.

**: تقع على منطقة جبليّة عند التقاء نهري ناريس"Neris" وفيليا"Vilija"، أصبحت المدينة بحلول القرن الثّاني عشر الميلادي أحد أهمّ المراكز التجارية، وشكّلت على عهد جديميناس"Jediminas" مركزا سياسيا وثقافيا، وضمّت إثنيات وعناصر مختلفة على غرار الألمان الروس. لمزيد من التفاصيل ارجع إلى: Lukosevicus , Op.Cit., PP.316-317.

الواقع أنّ أولى بوادر الصّدام العسكري الليتواني ـ التيوتوني تعود إلى منتصف القرن الثّالث عشر الميلاديّ، إبّان فترة حكم الوثني المتعصّب ترايدنيس"Traidenis"* والمناهض لكل ما هو ألماني، وبلغ الصراع ذروته إبّان ثمانينيّات ذات القرن، وذلك حينما استهل التّنظيم سياسة صليبيّة أكثر عدائيّة ضدّ الدّوقيّة، بيد أنّ المناوشات المسلحة بين الطّرفين كانت قد بدأت عقب التّحدي الصريح الذي رفعته ليتوانيا ضدّ الهيئة في مستهلّ مهمّتها داخل بروسيا، فمع قيام الثّورات البروسيّة والسميغاليّة ضدّ فرسان التيوتون فإنّها اتّخذت موقفا داعما للمتمرّدين وشكّلت حاضنة قويّة لهم(1).

ويبدو أنّ الدّعم الذي قدّمه الليتوانيّون كان يدخل في إطار سياسة حكامها القاضية بضرورة الحفاظ على انتعاش العقيدة الوثنيّة في أوساط القبائل البلطيّة، والمؤكّد أيضا، أنّه كان نابعا من أطماعهم في الاستيلاء على كورلاند وبروسيا الشّرقيّة وضمّهما للأراضي الليتوانيّة، ويستشفّ ذلك بجلاء من خلال التّقارب السياسي بين الدوقين الليتواني ميندوغاس والبوميراني سوانتوبلك، العدّو اللدود للتنظيم(2).

على عهد الحاكم ترايدنيس، شهدت ليتوانيا أوّج قوّتها، وذلك بعد أن عزّز هذا الأخير مكانتها على المستويين السّياسيّ والعسكريّ، واتّبع سياسة خارجيّة حذرة مع جيرانه الغاليسيّين – الفولينيّين وكذا التّتار** على الجهة الجنوبيّة والجنوبيّة الغربيّة، ونسج علاقات طيّبة مع دوق ماسوفيا بوليسلاف الثّاني"Boleslaw II"(ت.1313م)*** عن طريق المصاهرة، كما قيّض له تعزيز نفوذه على الأراضي

---

(1) انظر: Axel Ehlers, The crusade of the Teutonic knights against Lithuania reconsider, In Crusade and conversion on the Baltic frontiers 1150-1500, edited By Alan Murrey, Routledge Taylor Francis Publishers , London-NewYork, 2017, P.21.

(2) انظر: Urban, The Teutonic knights, P.74 ; Darius Baronas and Others, The formation of grand duchy of Lithuania In The Lithuanian millenium history art and culture edited By Marius Irsenas, Vilinius academy of arts press, 2015,P.46.

*: (؟1282م) حاكم أراضي كيرناني"Kernavė"، ينسب له وضع الأسس الأولى التي قامت عليها دوقيّة ليتوانيا الكبرى، كرّس معظم حياته لتوحيد القبائل الليتوانية، ودعّم القبائل المجاورة على غرار البروسيين السميغاليين لدرأ خطر الفرسان التيوتون عن المنطقة. لمزيد من التّفاصيل ارجع إلى: Saulius Suziedélis, Historical dictionary of Lithuania, The Scarecrow Inc, 2nd Edi., 2011, P.300.

**: أطلق اسم التتار على سكان الإمبراطورية الروسيّة، ينحدرون من أصول تركيّة، اشتركوا في القرن الثّالث عشر الميلادي مع قبائل المغول في غزو أوربا الشّرقيّة.

***: ينحدر من سلالة بياست البولنديّة، تولى شؤون دوقيّة ماسوفيا منذ 1262م وقد ربطته علاقات طيّبة مع ليتوانيا بعد زواجه من غودمينت"Gaudemante" ابنة ترايدنيس سنة 1279م. ارجع إلى: S. C. Rowell, Lithuania ascending A Pagan empire within East-Central Europe 1295-1345, Cambridge university press, 1ST Pub., 1995,PP.7-8.

الروثينية"Ruthenia"* ومدّ الحدّود الليتوانيّة شرقا من خلال اقتطاع أجزاء من سودوفيا. فضلا عن ذلك، فإنّه انتزع اعتراف السميغاليّين بسلطته، وبلغ اعتداده بقوّته أن انتهى إلى حدود بولندا ودكّ أراضيها(1).

من الواضح، أنّه وعلى عكس سلفه ميندوغاس الذي ارتكزت سياسته على مهادنة جيرانه في الشّرق والتّوسّع غربا، فإنّ ترايدنيس ركّز جهوده على كسر شوكة فرعي التّنظيم في بروسيا وليفونيا اللذان كانا يطوّقان الدّوقيّة على الجبهتين الشّماليّة والشّرقيّة، لاسيما وأنّ الفرع الليفوني كان قد ضيّق الخناق على ليتوانيا لبلوغ سواحل البلطيق، وذلك من خلال سياسته الرّاميّة إلى الاستيلاء على إقليم ساموجيتيا الشريان الحيوي والمنفذ السّاحلي الوحيد لليتوانيا على بحر البلطيق والعامل الأبرز الذي تحكم في طبيعة العلاقة التيوتونيّة ـ الليتوانيّة.

وخلال أربعة عشر سنة فقط من اعتلاءه سدّة دوقيّة ليتوانيا، فإنّ ترايدنيس خاض عدّة نزاعات ومعارك ضارية ضدّ التّنظيم، كثيرا ما كانت نتيجتها محسومة لصالحه. ولأنّ التّنظيم استشعر خطر ليتوانيا أكثر من ذي قبل، خاصة في أعقاب معركة إيزكروكل"Aizkraukle"** عام 1279م، فإنّه لجأ إلى التّستّر تحت عباءة الدّين كونها السبيل الوحيد لتحقيق مآربه وأهدافه ولم يلبث أن دعا في السّنة المواليّة في ربوع أوربا لتنظيم حملة صليبيّة تستهدف تنصير ليتوانيا(2).

بحلول السّنة التي توفي فيها ترايدنيس، كانت القبائل البلطيّة المجاورة ليتوانيا قد خضعت للتّنظيم بحدّ السيف واستكانت لسياسيته على غرار الكورونيّين والبروسيين، عندها تفرّغ الفرسان كليّا لاستهداف الدّوقيّة التي واجهت حملات عسكريّة مريدة شنّها هؤلاء دون هوادة على حدودها الغربيّة على امتداد نهر

---

(1) انظر: Darius Baronas, Op.Cit., P.59.

(2) انظر: The rhymed chronicle p.102-103; Axel Ehlers, Op.Cit., P.21.

*: خاصّة روثينيا السوداء، استخدم الاسم للدلالة على الروس القدماء، تشمل روثينيا أراضي أوربا الشّرقية المأهولة بقبائل السلاف الشرقيين الذين تنصّروا في القرن العاشر الميلادي، كانت في البداية خاضعة لدولة روسيا الكيفية، انقسمت إلى عدّة إمارات أغلبها دمرها المغول في القرن 13م، وفي القرنين الرابع والخامس عشر الميلاديين، أصبحت روثينيا مقسّمة بين بولندا وليتوانيا. في القرن 15م حاولت روسيا الموسكوفية توحيد الأراضي الروثينيّة على حساب التحالف البولندي ـ الليتواني. ارجع إلى: Lerski, Op.Cit., P.517

**: جرت وقائعها في 5 مارس/أذار بين القوّات الليتوانيّة بقايدة ترايندیس والفرع الليفوني على الأراضي اللاتفيّة، وقد تعرّضت قوّات الفرسان التيوتون إلى هزيمة ساحقة حيث أبيد فيها حوالي سبعون فارسا بمن فيهم سيّد الفرع إرنست فون راسبورغ"Ernst von Rassburg".

نيمن[1]. وفي أواخر القرن الثّالث عشر الميلادي شرع فرسان التيوتون في سياستهم التّوسعيّة على حساب الأراضي الليتوانيّة وذلك بعد نجاحهم في تأليب وتوجيه القوى الكاثوليكيّة ضدّ آخر جيوب الوثني في أوربا استمرّت ما يربو عن القرن.

الحقيقة إنّ الحرب المعلنة من طرف فرسان التيوتون على ليتوانيا، استهدفت بالدّرجة الأولى الاستئثار بإقليم ساموجيتيا الوثني الذي شكّل عقبة أمام الحركة التّوسعيّة الجرمانية صوب الشّرق[2]، ولأنّ استيلاء التّنظيم على ساموجيتيا كان من شأنه تسهيل تنسيق الحملات العسكريّة بين بروسيا وليفونيا ضدّ ليتوانيا باعتبارها حلقة وصل بينهما، فضلا عن تأمين الطرق التّجاريّة البرّية لتجار ليفونيا وبروسيا، فإنّه كان من الطّبيعي أن يرمي فرسان التيوتون بكل ثقلهم في سبيل احتواء ساموجيتيا.

كمرحلة من صراع مستعر طويل الأمد بين ليتوانيا وساموجيتيا من جهة والتنظيم التيوتوني من جهة أخرى، فإنّ هذا الأخير استهلّ ابتداء من القرن الرابع عشر الميلادي سلسلة حملات عسكريّة* ضدّ دوقيّة ليتوانيا تجنّد لها أمراء وملوك شمالي أوربا تقودهم في ذلك أطماعهم، على غرار ملك بوهيميا، ملك هنجاريا، ونبلاء من ألمانيا، إنجلترا بل وحتّى فرنسا. وقد اتّخذ أولئك الصّليبيّون من الأراضي البروسيّة قاعدة انطلاق حملاتهم السنويّة[3]. ويبدو أنّ معاناة ليتوانيا لم تكن مقتصرة على الجبهة الشّماليّة والغربيّة فحسب، بل إنّ حدودها الجنوبيّة كانت هي الأخرى على صفيح ساخن بدء بنزاعها الإقليمي مع مملكتي

---

(1) انظر: Kasekamp, Op.Cit., P.19

(2) انظر: Lukosevieus, Op.Cit., P.29.

(3) انظر: Striegler, Op.Cit.,P.62 ; Alan V. Murray, The Saracen of the Baltic: pagan and Charistian Lithuanians in the perception of English and French crusaders to late medieval Prussia, In Journal of Baltic studies, Vol.41, Iss.4, P.414;Darius Baronas, Op.Cit., P.66.

والمرجّح أنّ أوّل فوج من الصّليبيّين الإنجليز شارك في حملة شتاء سنة 1328.1329م، فيما انخرط فيها الفرنسيون بداية من حملة سنة 1335.1336م. لمزيد من التّفاصيل حول مشاركة الإنجليز والفرنسيّين ارجع إلى : Murray, Saracen of the Baltic, PP.416-419 ; The Chivalric biography of Boucicaut Jean II le Meingre, Trans. By Craig Taylor and Jane H. M. Taylor, The Boydell press, 1st Pub., 2016, P.36-37, 38, 53-54.

*: اصطلح تاريخيا على هذه الحملات ضدّ ليتوانيا وساموجيتيا باسم"Reyen" أو "Raid" بمعنى الغارة، وليس"Crusade" أي حملة صليبية، يتم تنظيمها في الشتاء والصيف حين تتجمد مستنقعات البراري الكبرى أو تجف. وتكون هذه الغارات قصيرة تتراوح من أسبوعين إلى ثلاثة. ارجع إلى: Striegler, Op.Cit., P.62.

حول حملات فرسان التيوتون على ليتوانيا انظر الخريطة ص 115.

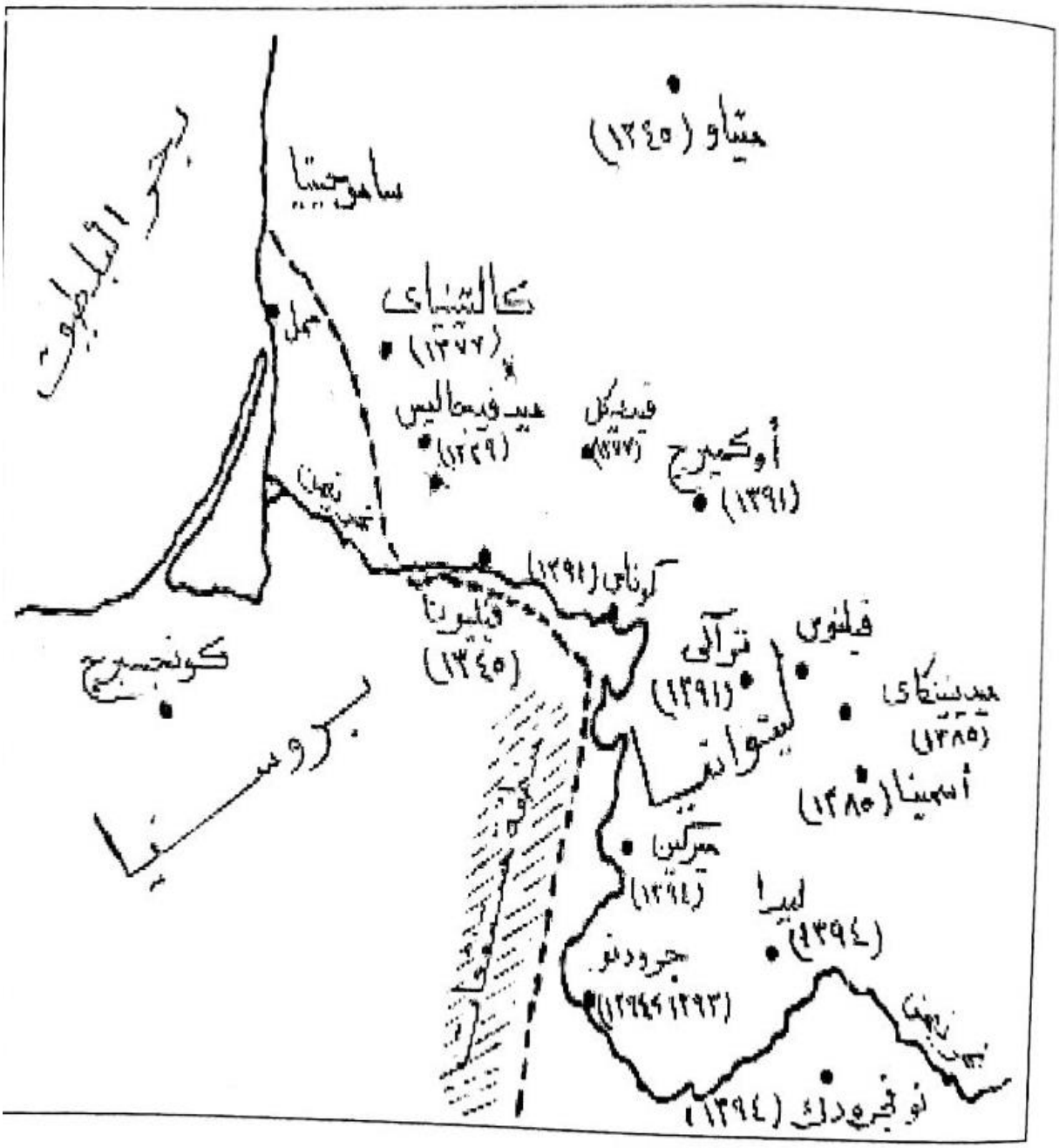

أهم حملات منظمة الفرسان التيوتون على ليتوانيا فى القرن الرابع عشر.

نقلا عن: محمد السيد صديق رشوان الشريف، منظمة الفرسان التيوتون في شرق أوربا دراسة في التاريخ السياسي والعسكري(1466.1226م)، مذكرة ماجيستير(غير منشورة)، جامعة سوهاج، 2007، ص 265.

هنجاريا ومملكة بولندا بسبب الصراع القائم على أراضي فولينيا وبودوليا "Podolia"*[1].

وطيلة القرن الرّابع عشر الميلاديّ، فإنّ الطّرفان خاضا معارك حامية الوطيس، شكّلت ساموجيتيا مسرحا رئيسيّا لمعظمها، أهمّها معركة فوبلوكن"Woplauken"** سنة 1311م[2]، معركة مدينكاي "Medininkai" سنة 1320م التي تلقى فيها فرسان التيوتون ضربة موجعة وهزيمة قاسيّة على يدّ القّوات السّاموجيتيّة، دفعت بالهيئة للبحث عن أطراف مؤيّدة لها في حربها ضدّ ليتوانيا، خاصّة وأنّ بولندا كانت تهدّد الجبهة الغربيّة لدولتها في بروسيا[3].

وفي سنة 1323م، أنشأ فرسان التيوتون حلفا مع إمارة نوفغورود"Novgorod" ضدّ ليتوانيا وبوسكوفيا "Poskov"***، وبهذا فإنّ الفرسان فتحوا جبهة حرب جديدة على ليتوانيا بغية تشتيت قوّاتها، ذلك أنّها سرعان ما دخلت في نزاع مسلّح ضدّ النوفغورديّين الذين عارضوا سيادة ليتوانيا على البوسكوف أجبرت في النّهاية الدّوق الأكبر جديميناس"Gediminas"(1316.1341) على السّعي وراء تحقيق هدنة مع التّنظيم تمّ التّوصّل لها في فلينوس عام 1324م[4]. بيد أنّ الحرب ما لبثت أن تجدّدت في أواخر عشرينيّات القرن حينما رتّب الفرسان التيوتون لحملة صليبيّة استهدفت مقاطعة ساموجيتيا في شتاء سنة 1328.1329م[5].

---

(1) انظر: Baronas, Op.Cit., P.67.

(2) أنظر: Kristina Markman, Op.Cit., P.109.

(3) أنظر: Nicholas Von Jeroschin, Op.Cit., P.271-272.

(4) انظر: Rowell S.C., Lithuania ascending, Op.Cit., P.215.

(5) انظر: Ibid., PP.239-240.

*: أو منطقة المرتفعات الخصبة، يحدها من الشّمال فولينيا، ومن الشرق نهر بو"Boh" أما من الناحية الجنوبية الغربية نهر الدنيستر. كانت بودوليا مستوطنة روثينية وأضحت خاضعة لروسيا الكيفية في القرن العاشر الميلادي، وبعد سقوط كييف تمّ تقسيم المنطقة بين إمارة غاليسيا وفولينيا وتتار القبيلة الذهبية. في القرن الرابع عشر الميلادي تمّ الاستيلاء عليها من طرف الليتوانيين فيما تمّ دمج الجزء الغربي مع بولندا من طرف كازيمير العظيم واستكمل جاجيلو ضمّ وسطي بودوليا. ارجع إلى: Lerski, Op.Cit., PP.448-449.

**: جرت وقائعها في أفريل/نيسان على الأراضي البولندية اليوم، انجّرت عن حملة انتقاميّة قادها هنري فون بلوتزكي" Heinrich von Plotzke" ضدّ قوّات الدّوق.

***: بعد تفكك إمارة روسيا الكيفية في القرن الثاني عشر الميلادي خضعت إمارة البوسكوف والأراضي المجاورة لها لجمهورية نوفغورود الكبرى، نالت الإمارة شهرتها بسبب دورها البارز في صدّ خطر الفرع الليفوني، ويرجحّ أنّه قد تمّ الاعتراف بشكل رسمي باستقلال إمارة بوسكوفيا سياسيا من طرف نوفغورود في سنة 1348م بموجب معاهدة بولوتوفو"Bolotovo" غير أنّها بقيت مرتبطة بها كنسيا . ارجع إلى: Mikhail Krom, The city of Pskov in the fifteenth and early sixteenth centuries, Russian History, N°. 41, University of St. Petersburg, 2010, PP.440-457.

لكن يبدو أنّ جبهات الصّراع العديدة التي فتحت ضدّ فرسان التيوتون، بعد انقلاب يوحنّا"John" ملك بوهيميا وتحالفه مع الغريمين، كوزمير الأكبر"Casimier III"(1310.1370م)* ملك بولندا وشارل روبرت ملك هنجاريا"Charles Robert"(ت.1342م)[1]، وانضمام غاليسيا ـ فولينيا إلى الحلف بموجب مؤتمر فيسغراد الثّاني"Visegrad II" في جوان/حزيران سنة 1338م قد أسهمت في إحداث نوع من التّقارب بين ليتوانيا والتنظيم الألماني[2].

إنّ هذا التّقارب بين ليتوانيا وقيادة التّنظيم في بروسيا وليفونيا، يمكن أن يستشفّ من خلال الغياب شبه التّام للحملات العسكريّة بين الطّرفين في الفترة الممتدّة من سنة 1339 إلى غاية سنة 1348م، حينما تجدّد الصّدام المسلّح بينهما إثر معركة ستراو"Strawe" التي ألحقت بالليتوانيّين هزيمة ساحقة[3]. من الجليّ أنّ تقويض دعائم ذاك التّقارب وعرقلة التّجارة مع ليتوانيا جاء فقط بعد تعزيز الفرسان للطّريق التّجاري الرّابط بين لوبك ونوفغورود[4]. ومن المحتمل أيضا أنّ التّنظيم استغلّ الوهن الذي كان قد بدأ يدبّ في أوصال الدّوقيّة إبّان تلك الفترة، ممّا يجعل سقوط ليتوانيا في يدّ الصّليبيّين مسألة وقت لا أكثر.

وفي ظلّ حاجة الطّرفين للدّخول في مرحلة هدنة، لاسيما ليتوانيا التي كان عليها التركيز على الجبهتين الشّرقيّة والجنوبيّة ضدّ كلّ من موسكو والتّحالف البولندي ـ الهنجاري[5]، فإنّ الحرب لم تتجدّد إلاّ

---

(1) انظر: Rowell S.C., Lithuania ascending, P.255.

الواضح أنّ التّقارب الذي سعى إليه جون ملك بوهيميا كان خدمة لأطماعه في التّاج الإمبراطوريّ لابنه تشالز.

(2) انظر: Ibid., P.254-255.

شكّل انضمام غاليسيا فولينيا إلى الحلف ضربة موجعة لتجارة دولة الفرسان التيوتون حيث تمّ قطع الطريق التّجاري الرّابط بين بروسيا والرّوس عبر بولندا وغاليسيا فولينيا، وهذا ما أجبر التنظيم إلى مدّ جسور تربطها بالشّرق عبر الأراضي الليتوانيّة الوثنيّة.

(3) انظر: Zigmantas, Op.Cit., P.67.

(4) انظر: Rowell, Lithuania ascending, P.257

(5) حول طبيعة العلاقات الليتوانية- الموسكوفيّة ارجع إلى: زكية كربال، العلاقات الخارجية لروسيا الموسكوفية خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، إشراف تومي رشيد، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر2، 2016-2017م، ص ص 315-330.

*: ابن الملك فلاديسلاف لوكيتيك الأوّل وآخر ملك ينحدر من سلالة البياست، آلت إليه أراضي بولندا الصغرى والكبرى عقب وفاة والده سنة 1333م وتوّج ملكا في نفس السّنة. انتهج أسلوب المهادنة في حل خلافات المملكة مع الأطراف المجاورة. شهدت بولندا على عهده تطوّرا ونمت بشكل غير مسبوق بعد نجاحه في توحيد أراضيها. عرف عنه شغفه بالعلوم والمعارف وكان له الفضل في إنشاء جامعة كراكو سنة 1364م. ارجع إلى: Lerski, Op.Cit., PP.249-250.

بعد أربع عشرة سنة، حينما قيّض للصّليبيّين الاستيلاء على مدينة كوناس"Kaunas"* في أفريل/حزيران سنة1362م، وفي أعقاب صدور مرسوم البابا أوربان الخامس"Urban V" في 1364م بشأن استمرار الحملات الصّليبية، فإنّ العلاقات شهدت في السّنوات اللاحقة توتّرا حادّا، ولم يلبث التّنظيم أن استأنف حربة الضّروس على ليتوانيا فبلغ تراكاي"Trakai"** في 1367م وضرب عليها حصارا خانقا(1). كما تمكّن من إلحاق هزيمة كبرى بقوّات الدّوق ألجيرداس"Algirdas"(1345-1377م)*** في معركة رودو "Rudau" عام 1370م في شمالي كونغيسبوغ والتي يمكن اعتبارها آخر المواجهات العسكريّة القويّة بين الغريمين قبل سقوط العاصمة فلينيوس في سنة 1382م وتشكيل الحلف الليتواني ـ البولندي في سنة 1386م(2). والواضح أنّ العلاقات العدائيّة بين دولة الفرسان التيوتون ودوقيّة ليتوانيا الكبرى بلغت ذروتها إبّان الفترة الممتدّة بين عامي 1362-1382م، ويستشفّ ذلك من خلال عدد الغارات التي شنّها التّنظيم على الأراضي الوثنيّة الليتوانيّة والتي قدّرت بحوالي ثمان وسبعون غارة(3).

---

(1) انظر: Zigmas, Op.Cit., P.67-68; Christiansen, Op.Cit., P.x.

ويبدو أنّ تشديد التنظيم لغاراته على ليتوانيا كان توجّسا منه بتعاظم قوّة الدوقية وخطرها خاصة بعد تمكن الليتوانيين من اختراق الأراضي الموسكوفية وفرض رقابتهم على كييف (1362م). حول طبيعة العلاقات الليتوانية- الموسكوفية ارجع إلى: زكية كربال، العلاقات الخارجية لروسيا الموسكوفية خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، إشراف تومي رشيد، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر2، 2016-2017م، ص 316.

(2) انظر: Zigmas,Op.Cit., P.69.

(3) انظر: Davies, Op.Cit., P.94.

*: أحد أبرز المدن الليتوانيّة بعد العاصمة فلينيوس وإحدى أقدم المستوطنات الليتوانيّة المحصنة، تقع عند نقطة تقاطع نهري نيمن وناريس"Neris"، ورد ذكرها لأوّل مرة في السجلات في سنة 1361م، وبحلول مطلع القرن الخامس عشر الميلادي أضحت إحدى المراكز التجارية الهامة في العصبة الهانزية. لمزيد من التفاصيل ارجع إلى: Suziedélis , Op.Cit., P.149.

**: تقع في جنوبي غرب فلينيوس، شكّلت إبّان العصور الوسطى مقرّ إقامة أدواق ليتوانيا وحافظت على مكانتها حتّى بعد إنشاء العاصمة فيلينيوس في مطلع القرن الرابع عشر الميلادي. في مطلع القرن السادس عشر الميلادي تلاشت هيمنتها كمركز سياسي وعسكري خاصة بعد تشييد مقر ملكي في فيلينيوس على عهد سيجسموند الثاني أغسطس، وفي منتصف القرن السابع عشر لميلادي تعرضّت المدينة لدمار شبه كليّ على يد الجيوش الموسكوفيّة. ارجع إلى: Sužiedėlis, Op.Cit., P.300.

***: (1226-1377م) هو الابن الثّالث لجديميناس"Gediminas"، تنازع على العرش مع إخوته بعد وفاة والده سنة 1341م ونجح في الاستيلاء على عرش دوقيّة ليتوانيا الكبرى سنة 1345م. شهدت فترة حكمه تنافسا مريرا بين ليتوانيا وروسيا الموسكوفيّة وتمكّن من السيطرة على كييف والإمارات الروسيّة الأخرى. ارجع إلى: Sužiedėlis, Op.Cit., PP.42-43.

2 ـ علاقة دولة تنظيم فرسان التيوتون"Ordenstaat" بمملكة بولندا.

من جهة أخرى، لم يكن يدرك كونراد دوق ماسوفيا أنّه يغرس بذور كيان سيهدّد مملكة بولندا مستقبلا، ذلك أنّ تنظيم فرسان التيوتون الذي شكّل في مرحلة سابقة درع حماية لحدود بولندا الشّماليّة والشرقيّة وجنّبها خطر غارات الوثنيّين البروس، أضحى مع مطلع القرن الرّابع عشر الميلادي يعدّ الخطر الأشدّ على أراضيها وسلطتها، وذلك بعدما اشرأبت عنقه للمناطق الإستراتيجية الخاضعة لسيادتها لاسيما تلك الواقعة إلى الغرب من بروسيا، ممّا انعكس سلبا على العلاقات الثّنائيّة.

الواضح في ظلّ ما سبقت الإشارة إليه في الفصل الثّاني من الدّراسة، أنّ العلاقة بين التّنظيم وبولندا كانت قائمة ـ حتّى العقد الأوّل من القرن الرّابع عشر الميلاديّ ـ على مبدأ المصالح والتعاون فيما بينهما، ففيما كان فرسان التيوتون يعملون على تأمين تخوم بولندا، حيث لا يمكن إنكار أنّ نجاح مهمّة فرسان التيوتون في إخضاع بروسيا وضمّها إلى فضاء المسيحيّة قد كان السّبب المباشر في إعادة بعث مملكة بولندا التي كانت على مشارف الانهيار في ظلّ الانقسامات الدّاخليّة بعد أن هيأ التنظيم الأسباب، وذلك من خلال **"تعزيز مكانة بولندا سياسيا واقتصاديّا والمساهمة في استقرارها وازدهارها، فضلا أنّه قد خلق شعورا قويّا بالانتماء والهويّة الوطنيّة الذي أرسى في نهاية المطاف لمملكة قويّة"**[1].

الحقيقة أيضا أنّ الفضل في قيام دولة الفرسان التيوتون يرجع بدرجة أكبر إلى المدّد البشري واللوجيستي الذي قدّمته بولندا للتنظيم هو ما ساعد في الإرساء لكيانه في المنطقة*. واللافت أنّ العلاقات التارخية بين ألمانيا وبولندا قد خلقت سجالا حادّا بين المؤرّخين الألمان والبولنديين لا يزال قائما إلى يومنا هذا.

إنّ هذه العلاقة التي اتّسمت بطابع الوديّة بين الطّرفين سرعان ما انفرط عقد ودّها حينما بدأت ترتسم بجلاء أطماع الفرسان التيوتون في الأراضي السّاحليّة التّابعة لبولندا، حيث شهدت سنة 1308م

---

(1) انظر: Pluskowski, Op.Cit., P.17.

*: لكن التّوسع الألماني سرعان ما أثار استياء متزايدا في أوساط الأمراء ورجال الدّين البولنديين الذين شعرا بتهديد الفرسان التيوتون خاصة في النّصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي. ارجع إلى: John B. Freed, The friars and the German society in the thirteenth century, Illinois State University, The Medieval Academy of America, 1977, P.74.

حدثا فاصلا غيّر مجرى العلاقات التيوتونيّة ـ البولنديّة إثر استيلاء الفرسان على مدينة دانزيغ"Danzig" أو غدانسك"Gdansk"* وبداية الصّراع المحموم للستيلاء على دوقيّة بوميرانيا نظرا لأهمّيتها الإستراتيجيّة استمرّ ما يزيد عن قرن ونيّف من الزّمن، انجرّ عنه تداعيّات عميقة على تاريخ المنطقة بأكملها[1].

والجدير بالذّكر أنّ بولندا كانت قبيل ذلك تشهد تغلغلا كبيرا للنّفوذ الألماني في الشأن البولندي، منذ عهد ونسيسلاس الثّاني"Wenceslaus II"(1295-1305م)* ملك بوهيميا وبولندا إلى غاية توليّ فلاديسلاف الأوّل لوكيتيك"Wladyslaw I Lokietek"** سدّة العرش وبداية الإطاحة بتأثيرهم وسلطتهم داخل المملكة[2].

---

(1) انظر: Simon Askenazy, Dantzig and Poland, Trans. By William J. Rose, George Allen and Unwin LTD Pub., 1920, P.8; Milliman, Op.Cit., P.253.

(2) عبد القادر أحمد اليوسف، العصور الوسطى الأوربيّة 476-1500م، ط.1، المؤسّسة اللبنانيّة للكتاب الأكاديمي، 2014م، 328.

*: أهمّ مدن شمالي أوربا، تقع عند مصب نهر الفيستولا. ورد ذكرها لأوّل مرّة سنة 997م. كانت عبارة عن مستوطنة لصيد الأسماك، ضمّها ميزكو الأوّل، أوّل ملك لبولندا إلى أراضيه في القرن العاشر وكان له الفضل في تخطيطها، ومنذ القرن الثالث عشر والقرن الرّابع عشر الميلاديين أضحت أهمّ مركز تجاري في منطقة حوض البلطيق وإحدى أبرز مدن العصبة الهانزية، في مطلع القرن الرابع عشر الميلادي تمّ غزو المدينة من طرف الفرسان التيوتون ما جعلها أكثر عرضة لتأثيرات العناصر الألمانية الوافدة بمرور الزمن، في عام 1466م استعادت بولندا المدينة بعد حرب الثلاث عشر عاما. شكّلت غدانسك عبر تاريخها محور خلاف كبير بين بولندا وألمانيا، بعد الحرب العالمية الأولى وبموجب معاهدة فرساي تمّ إقرار غدانسك كمدينة حرّة بيد أنّ هذا لم ينه الخلاف بين ألمانيا وبولندا وسرعان ما فجّر حربا شعواء أتت على ربوع أوربا كلّها سنة 1939م وانتهت باسترجاع بولندا لغدانسك سنة 1945م. ارجع إلى: Lerski, Op.Cit., P.156.

*: أو فاكلاف الثاني(1271-1305م)، ملك بوهيميا(1278م) وبولندا، ينحدر من عائلة برميسلايد"Premyslide" وأحد أبناء الحاكم التشيكي البارز بارميسل أوتوكار الثاني"Premysl Ottokar II"، أبرز ما يحسب له هو مدّ حدود مملكته على حساب الأراضي البولندية، استولى على كراكوف في سنة 1291م، وفي سنة 1300م توّج فاكلاف ملكا على بولندا. ارجع إلى: Lerski, Op.Cit., P.627.

**: (1260-1333م) الملقّب بالقصير حفيد دوق ماسوفيا كونراد الأوّل. يعود له الفضل في توحيد الأراضي البولندية المشتتة، توّج ملكا على بولندا بكاملها في 20 جانفي/ كانون الثاني سنة 1320م باستثناء سليزيا التي كانت بيد الألمان وبوميرانيا الشّرقيّة التي كانت بيد الفرسان التيوتون. ارجع إلى: Lerski, Op.Cit., P.660.

II. أراضي بوميرانيا"Pomerania"*، محور النّزاع الألمانيّ ـ البولندي.

خضعت أراضي بوميرانيا عبر تاريخها إلى صراع مرير بين ملوك بولندا والأباطرة الألمان بحكم مكانتها الإستراتيجيّة في شمالي أوربا الوسطى، فقد كانت حدودها متغيّرة على الدّوام، فهي تارة مذعنة لنفوذ الألمان وتارة تابعة لبولندا، بالإضافة إلى محاولات أطراف مجاورة أخرى ابتغت فرض سيطرتها على غرار مملكة الدّانمارك، ماركيّة براندنبورغ ولوبك، وفي أواخر القرن العاشر الميلادي أضحت دوقيّة تابعة إسميّا لمملكة بولندا[1].

يقع إقليم بوميرانيا على السّواحل الجنوبيّة لبحر البلطيق، بين نهري الفيستولا شرقا والأودر غربا[2]، انقسم إلى قسمين، بوميرانيا الغربيّة"Western Pomerze"** وقاعدتها المركزيّة مدينة ستيتن"Stettin"، وعرفت لدى حكامها في مطلع القرن الثّالث عشر الميلادي باسم سلافيا"Slavia"[3]. أمّا بوميرانيا الشّرقيّة" Eastern Pomorze" التي أصبحت تعرف في التّاريخ باسم "**بوميراليا**"***، وقاعدتها مدينة دانزيغ"Danzig"، فيذكر بول مليمان أنّها تحديدا المنطقة الواقعة بين نهري الفيستولا وليبا"Leba"[4].

---

(1) انظر: Nora Berend and others, Central Europe in High middle Ages Bohemia Hungary and Poland 900-1300, Cambridge university press, 1st Pub., 2013 , PP.240-244.

(2) انظر: Lerski, Op.Cit., P.463-464

(3) أنظر: Milliman, Disputing identity, P.27 (note n° 1).

(4) انظر: Ibid., P.27

*: الاسم مستمدّ من اللغة السلافيّة "Pomorze" أي بجانب البحر"By the sea"، وسرعان ما حرفّه الألمان لاحقا ليصبح بوميرانيا. عمّر الإقليم أوّلا من طرف السلاف الغربيّين الذين كانوا على علاقة جدّ وطيدة بالبولنديّين. ولم تلبث أن انقسمت إلى شرقيّة عرفت باسم بوميراليا وغربيّة عرفت باسم بوميرانيا، وقد ضمّت هذه الأخيرة كثافة سكانيّة معتبرة من العنصر الألماني. لمزيد من التّفاصيل ارجع إلى: Ebo and Herbordus, The life of Otto apostle of Pomerania 1060-1139, Latin texts, Trans. Of Christian literateute, Series II, The Macmillan company, New-York, 1920, PP.17-18, Davies, Op.Cit., P.27,69.

**: وهي المنطقة التي تشكّل اليوم ما يعرف ب"Mecklenburg-Vorpommern" في ألمانيا، كانت تخضع لسلالات السّلاف الأصليّين، شهدت صراعا شديدا عليها من طرف البولنديّين والألمان خاصّة، بالإضافة إلى الدّانيّين، وفي كثير من الأحيان ساد فيها نفوذ الألمان. ارجع إلى: Berend, Central Europe, P.240-244 ; Davies, Op.Cit., P.69.

***: أو بوميراليا"Pomeralia"، كما أطلق عليها اسم بوميرانيا الصغرى، كانت جزء من بوميرانيا الواقعة إلى أقصى الغرب. تقدّر مساحتها ب8000 كلم2، وتقع أسفل نهر الفيستولا، ضمّها ميزكو الأوّل إلى التّاج سنة 997م، وفي سنة 1227م أصبحت دوقيّة مستقلّة إلى غاية سنة 1294م حينما تمّ ضمّها مجدّدا تحت راية التّاج البولندي . ارجع إلى: Jencks Alden, Macabees on the Baltic : The Bablical apologia of the Teutonic order, University of Washington, Doctoral thesis (Pub.), .1989.P.42-43.

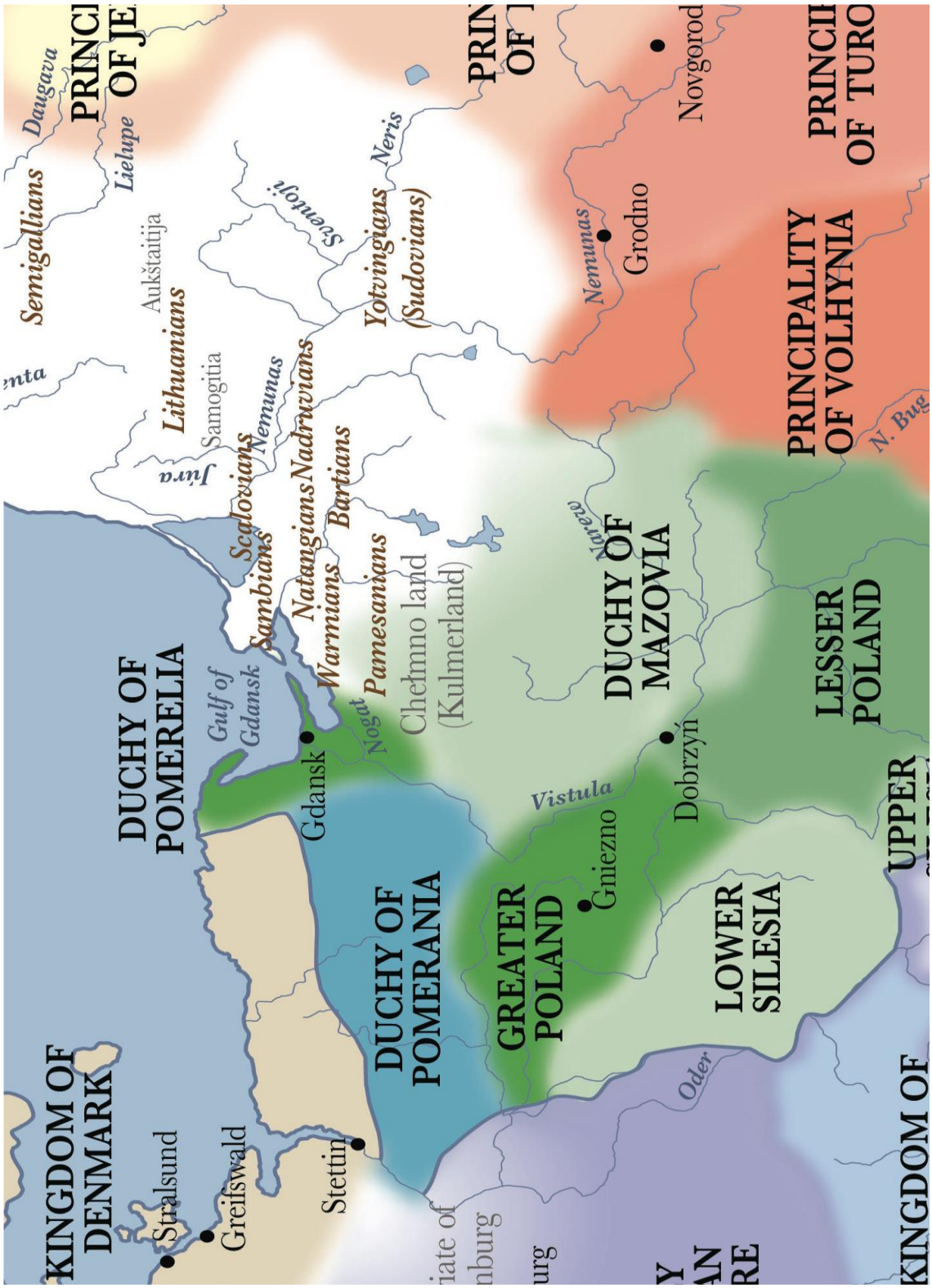
Daugava
Semigallians
Lielupe
Aukštaitija
Lithuanians
Samogitia
Jura
Nemunas
Scalovians
Natangians
Nadruvians
Sambians
Warmians
Bartians
Pamesanians
Nogat
Gulf of Gdansk
Gdansk
Chełmno land
(Kulmerland)
Vistula
Narew
Dobrzyń
Gniezno
Oder
Stettin
Stralsund
Greifswald
Sventoji
Yotvingians
(Sudovians)
Neris
Nemunas
Grodno
Novgorod
N. Bug
DUCHY OF POMERELIA
DUCHY OF POMERANIA
GREATER POLAND
LOWER SILESIA
DUCHY OF MAZOVIA
LESSER POLAND
PRINCIPALITY OF VOLHYNIA
KINGDOM OF DENMARK

لقد شكّل إقليم بوميراليا منطقة نزاع إقليميّة ومحلّ أطماع قوى حوض البلطيق منذ أواخر القرن العاشر الميلادي وخاصّة سلالة البياست"Piast"* البولنديّة التي لم تتوان عن سياسة احتواء الإقليم وهو ما جرّها إلى صدام مع الإمبراطوريّة الجرمانية المقدّسة التي نشدت هي الأخرى بسط سطوتها على سواحل البلطيق الجنوبيّة(1). وتعود بداية الصّراع على الإقليم إلى عهد ميزكو الأوّل"Mieszko I"**، الذي حاول الاستيلاء عليه وجوبه برد عنيف من لدن مارغراف الثّغر الشّمالي إثر معركة سدينيا"Cedynia" سنة 972م، وفي غضون سبع سنوات فقط دانت بوميرانيا لنفوذ مملكة بولندا، بيد أنّها عادت لتستقلّ بسيادتها مؤقّتا عقب حالة التّشرذم التي سادت المملكة على عهد ميزكو الثّاني" Mieszko II"(1025-1034م)(2)؛ والواقع أنّ بوميراليا وإن كانت قد تأرجح بين السّيادتين البولنديّة تارة والألمانيّة تارة أخرى، وبقيت حدودها متجاذبة بين الكتلتين الجرمانيّة والسلافيّة، إلاّ أنّ أراضيها في كثير من الأحيان حافظت على استقلاليتها عن الطّرفين(3).

1. احتلال فرسان التيوتون لإقليم بوميراليا وبداية الحرب مع بولندا.

مع مطلع القرن الرّابع عشر الميلادي بلغ التنافس أشدّه بين تنظيم الفرسان التيوتون ومملكة بولندا حليفها التّقليديّ في منطقة حوض البلطيق للاستيلاء على بوميراليا، إنّ تركة الدّوق سوانتوبلك شكّلت محلّ نزاع عميق بين الطّرفين اللذين دخلا في صدام مفتوح امتدّ إلى حوالي منتصف القرن السّادس عشر الميلاديّ، والواضح أنّ أطماع التنظيم في إقليم ساموجيتيا لم يكن بمقدار طمعهم في الحصول على منطقة

---

(1) انظر: Zamoyski,Op.Cit. , P.10.

(2) انظر: Berend, Central Europe, P.144; Zamoyski, Op.Cit., P.12.

(3) انظر: Berend, Central Europe, P.240-242.

لمزيد من التّفاصيل حول النّزاع السيّاسي والعسكريّ حول إقليم بوميرانيا ارجع إلى: Ibidem; Milliman, The slippery memory .

*: أوّل سلالة بولندية حكمت بولندا منذ القرن العاشر إلى سبعينيات القرن الرابع عشر الميلادي، يرجّح غالوس المجهول" Gallus Anonymos" أنّ الاسم مشتق من اسم المؤسس الأسطوري بياست"Piast" خادم الأمير المخلوع بوبيل"Popiel" وخليفته على قبيلة بولاني"Polanie" بعد عزله، وكان لأحفاده الثلاث سيموفيت"Siemovit"، ليزيك"Leszek"، وزيموميسل"Ziemomysl" دور كبير في مدّ أراضي القبيلة ووضع نواة المملكة التي سيؤسسها ميزكو الأوّل فيما بعد. ارجع إلى: Gallus Anonymos, Gesta Principum Polonorum The deed of the princes of the Poles, Trans. By Paul W. Knoll and Others, C E U Press, Central Europe University, Budapest, 1st Ed., 2003, PP.16-23.

**: (992.930م) أوّل حاكم مسيحي في تاريخ بولندا، ينحدر من سلالة بياست، كان له الفضل في إرساء دعائم مملكة بولندا ويعدّ =

بوميراليا التي كانت ضمن أولويّات فرسان التيوتون في سياستهم الخارجيّة وعلى رأس أهدافهم بدءً بمدينة دانزيغ باعتبارها شريانا اقتصاديّا حيويّا في شمالي شرق أوربا الوسطى(1).

اللافت، أنّ أنظار التّنظيم وأطماعه لربّما كانت قد امتدّت إلى بوميراليا في فترة مبكّرة من هذا التّاريخ، من المحتمل منذ نشوب الصّراع بينه وبين سوانتوبلك، لكن الظّروف غير المواتيّة جعلت تحقيق المشروع أمرا مستحيلا ومؤجّلا، وما يؤكّد ذلك، أنّ بوميراليا كانت أوّل محطّة في إستراتيجية الفرسان التيوتون الذين ولّوا وجوههم صوبها مباشرة، بعد أن ثبّتوا أركان دولتهم وذلك رغبة في مدّ تخومها عبر بوميراليا وربطها بأراضي الإمبراطورية الجرمانية المقدّسة غربا(2).

ومهما يكن من أمر، فإنّ التّنظيم تحرّك في مسعاه للسّيطرة على الإقليم بناء على استنجاد بولندا به لنصرتها ضدّ ماركيّة براندنبورغ التي وضعتها طموحاتها التّوسعيّة شرقا في صدام مع المملكة، غير أنّ تدخلّ التنظيم لم يكن هذه المرّة لصالح بولندا، بل إنّه فضّ مسألة الصّراع حول بوميراليا لصالحه(3). وقد انطلقت شرارة الصّراع بين التّنظيم وبولندا حينما اجتاحت قوّات مارغراف براندنبورغ فولديمار "Woldemar"* مدينة غدانسك في شهر أوت/أغسطس من سنة 1308م**؛ في غضون ذلك، كانت بولندا بقيادة فلاديسلاف القصير عاجزة عن التّصرّف حيال القضيّة بسبب الأوضاع الدّاخليّة المضطربة، أبرزها المعارضة الشّديدة التي واجهت فلاديسلاف من طرف النّبلاء في بولندا العليا؛ ضف إلى ذلك معاداة أهالي كراكو

---

(1) انظر: Milliman, Disputing identity, P.80.

(2) انظر: Alden, Op.Cit., P.43.

(3) انظر: Paul Knoll W., The rise of the Polish monarchy Piast Poland in east central Europe 1320-1370, The university of Chicago, U.S.A., 1972, P.29.

= مؤسسها الفعلي، جمعته علاقات عدائيّة مع الإمبراطور أوتو الثّاني"Otto II"(983.955م) بسبب مساعي الطّرفين في الاستيلاء على سواحل حوض البلطيق، خاصة على أراضي بوميرانيا، كما كان له الفضل في تخطيط مدينة دانزيغ. انظر: Gallus Anonymos, Op.Cit., P.31 ; Lerski, Op.Cit., PP.354-355.

*: آخر حاكم ينحدر من الأسرة الأسكانيّة، عيّن مارغرافا أو حاكما عسكريا على ماركية براندنبورغ خلفا لعمّه أوتو الرابع"Otto IV" إلى غاية وفاته سنة1319م. كان فولدمار قد وقع اتفاقية في عام 1307م مع عائلة سفيكا"Swieca" وعلى رأسها بيتر أوف نوف" Peter of Nowe"، حاز بموجبها أراضي بوميرانيا، وحينما رفض الملك الاعتراف بقرارات المعاهدة اجتاحت قوات فولديمار جميع المواقع الاستراتيجية في بوميرانيا، بدوره استنجد فلاديسلاف بالتنظيم. ارجع إلى: Knoll, The rise of the Polish monarchy , PP.28-29.

**: فيما يذكر المؤرّخ البولندي جان دلوغوس أنّ أعمال حصار مدينة غدانسك من طرف فاولديمار تعود إلى سنة 1307م، فإنّ جلّ المراجع تشير إلى السّنة الموالية أي 1308م اعتمادا على حوليّات بيتر أوف دوسبورغ. أرجع إلى: Jan Dlugos, Op.Cit., PP.251-252 ; Alder, Op.Cit., P.45 ; Knoll, The rise of the Polish monarchy , P.29.

لسياسته المناهضة للألمان؛ وأمام هذه المشاكل التي كان يتخبّط فيها فلاديسلاف، فإنّه لم يجد بدّا من الاستغاثة بالتّنظيم والاعتداد بقوّته في وجه براندنبورغ، فضلا عن قمع حركة التّمرّد التي شنّتها دانزيغ ضدّه مستعينة بخصومه(1).

اتّخذ فلاديسلاف قراره الحاسم بضرورة الاستعانة بخدمات فرسان المقدّم الأوّل سيـجفريد فون فوتشفاجن"Siegfried Von Feuchtwagen"* الذي لم يتورّع عن قبول العرض، ولم يتأخّر عن إيفاد قوّاته إلى مدينة دانزيغ(2)، والواضح أنّ تقديم التنظيم لخدماته لم يكن دون مقابل، وإذ يرجّح المؤرّخ الأمريكي كنول"Knoll" أنّ صيغة الاتّفاق بين الطّرفين كانت تتمحور حول تنازل بولندا عن جزء من القلعة للفرسان فإنّ ذلك يبقى مستبعدا، ومن المحتمل أنّ فلاديسلاف عرض تعويض الهيئة نقدا في مدّة أقصاها سنة مثلما أشار إليه يان دلوغوس"Jan Dlugosz"** المؤرّخ البولندي(3)؛ كما من المحتمل أيضا

---

(1) انظر: Knoll, Op.Cit., P.29; Slocombe G. E., Poland, The Nations' histories, London New-York, 1916, P.50.

والجدير بالذّكر، أنّ جذور المسألة البوميرانيّة والشّقاق بين بولندا وبراندنبورغ تعود إلى القرن الثّالث عشر الميلادي وتحديدا عهد ميستوين"Mestwin" الذي كان أنذاك فصلا إقطاعيّا لبراندنبورغ، لكنه اهتدى في أواخر حكمه(1282م) إلى إحداث تحالف مع قريبه بوليسلاف"Boleslav" حاكم بولندا العليا، ووعد بأراضي بوميراليا إلى خليفة بوليسلاف برزميسلاف الثّاني"Przemyslav II" دوق بوزنان"Poznań" وبولندا العليا، وعقب وفاة ميسوين سنة 1294م فإنّ بوميراليا أضحت "ذريعة حرب" بين براندنبورغ وبرزميسلاف الثّاني، وفي أعقاب مقتل هذا الأخير، الخليفة الشّرعي لبوميراليا آلت الأحقيّة إلى وانسلوس الثّاني"Wenceslause II" ملك بوهيميا الذي قيّض له الاستيلاء على بوميراليا، بيد أنّ وفاته سنة 1305م ومقتل نجله وضع تاج المملكة بين يدي فلاديسلاف الذي تحرّك مباشرة لاسترداد بوميراليا من كبير موظّفي البلاط سوينزا"Swenza" حيث استنجد ببراندنبورغ التي لم تتورّع عن نجدته ووجّهت قوّاتها إلى غدانسك سنة 1308م . ارجع إلى: Alder, Op.Cit., P.44-45.

(2) انظر: Knoll, The rise of the Polish monarchy, P.29.

(3) انظر: Ibidem. ; Jan Dlugosz, Op.Cit., P.254.

*: تمّ انتخابه كمقدّم أوّل للتنظيم خلفا لجوتفريد فون هوهنلوه في منتصف أكتوبر/تشرين الأوّل 1303م في إلبينغ، وله يرجع قرار نقل قاعدة حكم التنظيم المركزية من البندقية إلى مارينبورغ في منتصف سبتمبر/ أيلول 1309م. توفي سيجفريد في 5 مارس/ آذار من سنة 1311م في مارينبورغ ودفن بكاتيدرائية كولم. ارجع إلى: Murray, The Crusades, P.1111.

**: أهمّ مؤرّخي بولندا في القرن الخامس عشر الميلادي، تلقى تعليمه في جامعة جاجيلونيان في كراكوف (1428-1431م) كان ملازما للأسقف أولسنيكي"Olesnicki" الذي كانت علاقته مع الأسرة الجاجيلونيّة جدّ متوترة. عيّن في عام 1436م كمشرّع لكراكوف وبعد وفاة أولسنيكي في سنة 1455م تودد دلوغوس إلى الملك كوزيمير الرابع"Kazimierz IV" وشغل منصب معلمّ في البلاط، لعب دور الوساطة بين الفرسان التيوتون وبولندا قبل وبعد حرب الثلاثة عشر عاما(1454.1466م). تأثّر كثيرا بالنّهضة الإيطالية وعرف عنه شغفه بالعلوم ما دفعه لجمع الوثائق القديمة المتعلقة بتاريخ بولندا وبدأ مشروع تدوين التاريخ البولندي، وفي سنة 1480م انتهى من كتابه الذي حمل عنوان"Historiae Polonicae" ليكون بذلك أوّل عمل تاريخي مكتوب بطريقة عمليّة اعتمادا على المصادر الأولية البولندية والأجنبيّة الأصلية. ارجع إلى: Lerski, Op.Cit., P.114.

أنّه لم يكن هنالك أية تسوية قبل انجاز التّنظيم للمهمّة المنوطة به، وإنّما أجّلت المفاوضات إلى ما بعد إتمام المأموريّة ممّا أوقع الطّرفان في سجال حاد، وذلك بعد أن وجد فلاديسلاف نفسه عاجزا عن تسديد المستحقّات المبالغ فيها التي طالب بها المقدّم سيجفريد فون فوتشفاجن.

وعلى أيّة حال، فبحلول أواخر سبتمبر/أيلول نجح فرسان التيوتون في طرد جيوش فولديمار من المدينة، بيد أنّ تنصّل فلاديسلاف ورفضه تسديد النّفقات المترتّبة عن مهمّتهم وتعويضهم عن خسائرهم المقدّرة بعشرة آلاف قطعة ذهبيّة [1]، شكّل ذريعة جدّ مقنعة للفرسان للاستيلاء على دانزيغ التي لم تلبث أن سقطت بين أيديهم في 14 نوفمبر/تشرين الثّاني من السّنة الموالية (1309م)، بعد مجزرة دمويّة ارتكبها التّنظيم في حقّ أهالي المدينة، ولم ينتظر الفرسان كثيرا لاستكمال مهمّة إخضاع الإقليم، وشرعوا يزحفون على ربوع بوميراليا منتشين بطعم الانتصار[2].

جدير القول بأنّ التّنظيم لم يغفل الجانب الدبلوماسي لتبييض صورته، حيث كثّف من مساعيه السّياسيّة لوسم سلطته على أراضيه الجديدة بالشّرعية، خاصّة في ظلّ السّمعة السّيئة التي بدأت ترتبط بالفرسان وتنتشر في ربوع أوربا بعد مذبحة دانزيغ، وذلك بأن عمد إلى شراء اعتراف الأسرة الحاكمة في براندنبورغ بأحقيّته في بوميراليا[3]، وبموجب معاهدة سولدين"Soldin" في سبتمبر/ أيلول من سنة 1309م تنازل فولديمار للهيئة عن دانزيغ وديرشو"Dirschau"* ومناطق أخرى مقابل عشرة آلاف قطعة فضّية، وبحلول عام 1313 بسط التنظيم سطوته على كامل ربوع بوميراليا[4].

في غضون ذلك، وبينما كان الفرسان يقتطعون بوميراليا من سلطة التّاج البولندي، فإنّ فلاديسلاف كان منهمكا في قمع وإخماد ثورة أهالي كراكو بزعامة أعيان المدينة؛ بيد أنّ تتويجه على كامل بولندا في سنة

---

(1) انظر: Jan Dlugosz, Op.Cit., P.254.

(2) انظر: Simon Askenasy, Dantzig and Poland, Trans. By William J. Rose, George Allen and Unwin LTD . Publishers, 1st Pub., 1921, P.8; Knoll, Op.Cit., P.29-31 .

(3) انظر: Ibid., P.31 ; Davies, Op.Cit., P.75

(4) انظر: Knoll, Op.Cit., P.29, 31; Alden, Op.Cit., P.46.

*: من أقدم المدن البولندية تقع على نهر الفيستولا شرقي بوميرانيا، من المرجح أنّ الاسم مشتق من اسم اللورد الإقطاعي ديرسلاف"Derslaw".

1320م، وفقدان الهيئة لأحد أهمّ حلفائها الاستراتيجيّين بعد وفاة آخر فرد من الأسرة الأسكانيّة "Ascanian dynasty"* الحاكمة في براندنبورغ، فإنّ الظّروف تهيّأت لفلاديسلاف لبدء مشروع استرداد بوميراليا، خاصّة وأنّ الفرسان كانوا يواجهون حينها أصابع اتهام البابويّة[1].

وقبل القيام بأيّة خطوة وخيمة العواقب، كان على متوّج بولندا الجديد العمل على تقويّة مركزه ونفوذه بما يتناسب ومكانة الخصم الذي سيواجهه، وعليه فإنّه سعى إلى إنشاء حلف مع هنجاريا وليتوانيا في سنة 1325م وكلاهما من خلال ترتيب زواج سياسي[2]، وردّ التنظيم بأن عقد تحالفا مع ماسوفيا في السّنة الموالية، ممّا أثار غضب فلاديسلاف الذي حشد قوّاته في جويليّة/تموز 1327م لتأديب الدّوقيّة، لكنه جوبه بقوّات فرسان التيوتون التي سارعت للدّفاع عن حليفتها الجديدة، وبعد شهر من القتال انتهى الطّرفان إلى التّوقيع على هدنة لالتقاط الأنفاس[3].

لكن يبدوا أنّ تسرّع فلاديسلاف بخرق الهدنة في فيفري/شباط 1329م ومهاجمة كولم قد كلّفه غاليا، حيث نجح الفرسان بمساعدة بوهيميا، ليس في طرده من المدينة فحسب، بل بفصل دوبرزين عن أراضي المملكة، كما قيّض لهم غزو أراضي كويافيا"Kujawy" والاستيلاء عليها[4]؛ وفي سنة1331م قرّر فلاديسلاف توجيه ضربة عسكريّة للتّنظيم، لكنّ هذا الأخير باغت بولندا العليا بهجمة استباقيّة، وفي معركة بلوسي"Plowce" في شمالي المملكة، تلقّى فرسان التيوتون هزيمة قاسيّة على يد القّوات البولنديّة في سبتمبر/أيلول سنة 1331م [5].

---

(1) انظر: Slocombe, Op.Cit., P.50-51 ; Alden, Op.Cit., P.52.

(2) انظر: Edward Henry and Lewinski Corwin, The Political history of Poland, The polish book importing company, 1917, P.53.

وقد جمع هذا الزّواج بين ابنته إليزابيث وملك هنجاريا شارل روبرت، أمّا التّحالف مع ليتوانيا فكان بين ابنه كوزمير وأنّا ألدونا" Anna" ابنة جديميناس مؤسّس الدّولة، بالإضافة إلى محور تحالفات مع الممالك الاسكندنافيّة. ارجع إلى: Ibidem.

(3) انظر: Knoll, Op.Cit., P.50.

(4) انظر: Slocombe, Op.Cit., P.51.

(5) انظر: Ibidem.

*: تذكر الموسوعة البريطانيّة أنّ الاسم مشتق من اسم قرية أشرسلابن "Aschersleben" في أراضي أنهولت"Anhalt"، ولهذا فإنّها عرفت كذلك بالأسرة الأنهولتية"House of Anhalt" ارتبط اسم الأسرة الأسكانية بروبرت الدّب(1100–1170م) في القرن الثاني عشر الميلادي غير أنّ تأسيسها الفعلي يعود للكونت إزيكو فون بالنشتادت"Esico Von Ballenstedt". ارجع إلى: The encyclopedia Britannia, Vol.2, P.722.

ويبدو أنّ الملك فلاديسلاف لم يغفل في معركته مع التنظيم السلطة الدّينيّة، إذ لجأ إلى بابويّة أفينيون"Avignon"* يشكوها للبابا ليوحنّا الثّاني العشرون"John XXII"** مستغلاّ علاقة هذا الأخير بالإمبراطور الألماني لويس الرّابع"Louis IV"***، ويبدو أنّ مساعي الملك أفلحت في تأليب البابا ضدّ التّنظيم الذي لم يعبأ وواصل سياسته العدائيّة تجاه المملكة(1).

الواقع أنّ النّزاع بين مملكة بولندا وبين فرسان التيوتون أضحى أقلّ حدّة، في أعقاب وفاة الملك فلاديسلاف لوكيتيك سنة 1333م، حيث كان اعتلاء كوزيمير الثّالث" Casimir III"**** الملقّب بالعظيم سدّة عرش بولندا بداية لمرحلة جديدة في سياسة المملكة الخارجيّة، إذ نزع كوزيمير إلى مبدأ مهادنة خصوم والده، فاستهلّ إبرام معاهدات سلم مع بوهيميا وبراندنبورغ وكذا هنجاريا(2).

---

(1) أنظر: Henry and Corwin, Op.Cit., P.52-53; Alden, Op.Cit., P.49.

(2) انظر: Davies, Op.Cit., P.77-78.

*: يطلق على الفترة الممتدة بين سنتي 1309 و1417م، ففي خضمّ الصراع القائم بين البابوية والتّاج الفرنسي استقر سبع باباوات متعاقبين في مدينة أفينيون"Avignon" التي كانت آنذاك جزء من أراضي الإمبراطورية الرومانية المقدّسة بدء بالبابا كليمنت الخامس" Clement V"(1305ـ1314م، وفي سنة 1376م ترك البابا جريجوري الحادي عشر"Gregory XI" بلاطه في أفينيون وانتقل إلى روما، لكن بعد وفاته في سنة 1378م تدهورت العلاقة مجددا بين خليفته أوربان السّادس"Urban VI" وفصيل من الكرادلة أدى إلى ظهور ما عرف بالانشقاق الغربي لتبدأ فترة جديدة من حكم باباوات أفينيون اعتبروا لاحقا غير شرعيين، انتهى الانشقاق الغربي سنة 1417م بقرار من مجمع كونستانس"Constance" بعد عزل البابا جون الثالث والعشرون"John XXIII". ارجع إلى: Joelle Rollo-Koster, Avignon and it's Papacy 1309-1417 Popes, Institutions, and society, Rowman and Littlefield, 2015.

**: (1316ـ1334م) اسمه الحقيقي جاك دوز"Jaques Deuse" ولد في "Cahors" في 1244م، تفقّه في القانون في مونبلييه وأصبح أسقف فريوس"Frejus" في سنة 1300م، كان مستشارا لشارل الثّاني بين سنتي 1308 و1310م وبعدها لروبرت من نابولي" Robert of Naples"، وعيّن أسقفا لأفينيون في سنة 1310م، تمّ انتخابه من طرف الكرادلة كخليفة البابا كليمنت الخامس بعد سنتين من وفاة هذا الأخير بسبب الفرقة التي حدثت بين الغاسكونيين والإيطاليين، كان جاك دوز مدعوما من طرف فليب كونت بواتييه" Philip count of Poitiers" وروبرت أوف نابولي. ارجع إلى: Kelly, Op.Cit.,P.214.

***: عرف كذلك بلويس البافاري، ولد في ميونيخ سنة 1283م، حكم بافاريا الموحدة في الفترة الممتدة بين سنتي 1340ـ1347م، توّج ملكا على ألمانيا في 1314م وأوّل إمبراطور ينحدر من أسرة فتلسباخ"Wittelsbach" في سنة 128م. تميّز عهده بتوتر العلاقات بين الإمبراطورية والبابوية. توفي لويس الرابع في أكتوبر/ تشرين الأوّل سنة 1347م.

****: (1310ـ1370م) يعدّ المؤسّس الفعلي لمملكة بولندا وآخر ملك من سلالة بياست"Piast"، ابن الملك فلاديسلاف لوكيتيك، توج خلفا لوالده في سنة 1333م على بولندا الصغرى والكبرى وواصل سياسته في توحيد الأراضي البولندية، وانتهج الأسلوب الدبلوماسي لحل مشاكل مملكته الإقليمية، حيث أصلح علاقته مع سيليزيا والمجر وبوهيميا، وفي سنة 1343م وقع معاهدة سلام مع الفرسان التيوتون بلغت المملكة على عهده أقصى اتّساعها ونمت هيبتها الإقليمية. اهتم كوزيمير العظيم بالعلوم والمعارف فأنشأ جامعة كراكوف في سنة 1364م. لمزيد من التّفاصيل حول هذه الشّخصية ارجع إلى: Lerski, Op.Cit., PP.249-250.

كما ركّز الملك كوزيمير في سياسته الخارجيّة على تحقيق المصالحة مع الفرسان، فنأى بنفسه عن المواجهة معهم تاركا الفصل في مسألة بوميراليا للبابويّة، بيد أنّ عدم انصياع التنظيم لقرارات السّلطة الدّينيّة القاضية بالتّنازل عن بوميراليا لكوزيمير دفع بهذا الأخير إلى التّسليم بضياعها؛ من جهتهم فإنّ الفرسان كانوا مستعدّين في ظلّ ما كانوا يواجهونه من اتّهامات بشأن انحرافهم عن قيم المسيحيّة، إلى تقديم تنازلات نظير الحفاظ على بوميراليا وعلى تلميع صورتهم، ولم يلبث الطّرفان أن جنحا للسّلم من خلال التوقيع على معاهدة كاليز"Kalisz"* في 8 جويلية/ يوليو سنة 1343م التي رأبت الصّدع في العلاقات الثّنائية(1).

حقيقة أنّ معاهدة كاليز شكّلت نقطة تحـوّل هامّة في طبيعة العلاقات الثّنائيّة التي بـدت تشهد تحسّنا ملحوظا، واستمرّت كذلك طيلة فترة حكم كازيمير، وكذلك على عهد حفيده لويس الأوّل" Louis I"** ملك هنجاريا وبولندا، ذلك أنّه لم يكن من مصلحة الطّرفين الدّخول في صدامات استنزاف، بل على العكس من ذلك، ففي ظل تشريفه من طرف البابويّة بلقب بطل المسيح كان عليه أن يضمّ جهوده إلى جهود الفرسان لتطويع الفكر الوثنيّ في ليتوانيا(2).

الواقع أنّ احتواء فرسان التيوتون لإقليم بوميراليا عام 1308م، وشراء إستونيا من مملكة الدّانمارك(3)

---

(1) انظر: Henry and Corwin, Op.Cit., P.53-54 ; Milliman, Disputing identity, P.185.

لمزيد من التّفاصيل حول تحقيقات البابويّة في جرائم فرسان التيوتون في بوميراليا ارجع إلى: Ibid., PP.182-185.

(2) انظر: Jan Dlugosz, Op.Cit., P.331.

(3): شكّلت الأراضي الإستونيّة في العصور الوسطى امتدادا لما سمي بليفونيا. في أعقاب وفاة الملك كريستوفر الثاني"Christopher II" ملك الدانمارك وقيام الانتفاضة الإستونية الكبرى (1343-1335م) ضدّ الدانيين بالمنطقة اجتاحت في سنة 1346م قوات التنظيم الأراضي التابعة للدانمارك لتنتهي الأحداث ببيع فولديمار الرابع"Valdemar IV"(1340-1375م) ملك الدانمارك لقلاع مملكته في هاريا"Harria"وفيرونيا "Vironia" إلى الفرسان التيوتون مقابل عشرة آلاف ماركية. ارجع إلى: Toivo U. Raun, Estonia and the Estonians, 2nd Ed. , Studies of Nationalities, 2001, P.18-19 ; Christensen, Op.Cit., P.193.

*: بموجب هذه المعاهدة تنازلت التنظيم لكوزيمير عن أراضي دوبرزين وكويافيا التي كانت قد استحوذ عليها في عهد والده، مقابل اعتراف كازيمير للفرسان التيوتون بسلطتهم على بوميراليا. أنظر: Henry and Corwin, Op.Cit., P.55.

**: لويس الأوّل ملك هنجاريا وبولندا ينحدر من الأسرة الأنجيفيّة، وهو ابن شارل روبرت الأوّل"Charles I"(1288.1342م) ملك هنجاريا وإليزابيث"Elizabeth" شقيقة كوزيمير العظيم، اعتلى عرش مملكة المجر خلفا لوالده في سنة 1342م، وبعد وفاة خاله كوزيمير في سنة 1370م دون عقب له كان لويس المرشّح الشرعي الوحيد بموجب معاهدة كانت قد وقعت في سنة 1338م بين والده شارل الأوّل وخاله كوزيمير حيث اعترف به هذا الأخير كوريث له وارتقى سدّة عرش مملكة بولندا في 1370م. ذاعت سمعة لويس الأوّل الطّيبة في ربوع أوربا باعتباره خادما للمسيحيّة والبابوية، وصليبيا جسورا لاحق الهراطقة داخل أوربا وخارجها. ارجع إلى: Knoll, The rise of the Polish monarchy, PP.95-96.

جعل منهم دون منازع سادة أوربا الوسطى والمتحكّم الرّئيسي في الشّرايين الحيويّة والقواعد التّجاريّة في فضاء حوض البلطيق؛ كما اعتبر خطوة مضافة في سبيل تثبيت مكانة التنظيم في المنطقة من خلال جعل الأراضي الواقعة تحت سلطته امتدادا طبيعيا لأراضي الإمبراطوريّة الجرمانية المقدّسة عبر بوميراليا وساموجيتيا. كما يبدو أنّ نقل قاعدة حكمهم المركزيّة من فينيس"Venice"* إلى قلعة مارينبورغ في سنة 1309م كان ينمّ عن رغبة ملحة في ترسيخ أسس دولة إقطاعيّة تيوتونيّة تمتدّ من ليفونيا شرقا إلى الإمبراطوريّة الرّومانيّة المقدّسة غربا[1].

لا شكّ أنّ ما بلغه فرسان التيوتون على حساب الليتوانيّين والبولنديّين كان يستدعي رصّ الصّفوف وتوحيد الجهود بغية تحجيم مكانته ووقف زحف قوّات التّنظيم التي ما فتئت تتوسّع على حساب أراضيهم، فضلا عن استعادة ما تمّ الاستيلاء عليه. لكن العائق الأكبر الذي سيحول دون تحقيق التضامن بين بولندا ودوقية ليتوانيا الكبرى كان يتمثل في عقيدة هذه الأخيرة الوثنية، وما لم تنبذ الدوقية وثنيتها وتضم جهودها إلى جهود بولندا فإنّ محاولة كل طرف ستبوء بالفشل.

---

(1) انظر: Alden, Op.Cit., P.47.

حول دولة تنظيم الفرسان التيوتون"Ordenstaat" في أقصى اتّساع لها انظر الخريطة ص 131.

دولة تنظيم فرسان التيوتون"Ordenstaat" في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي.

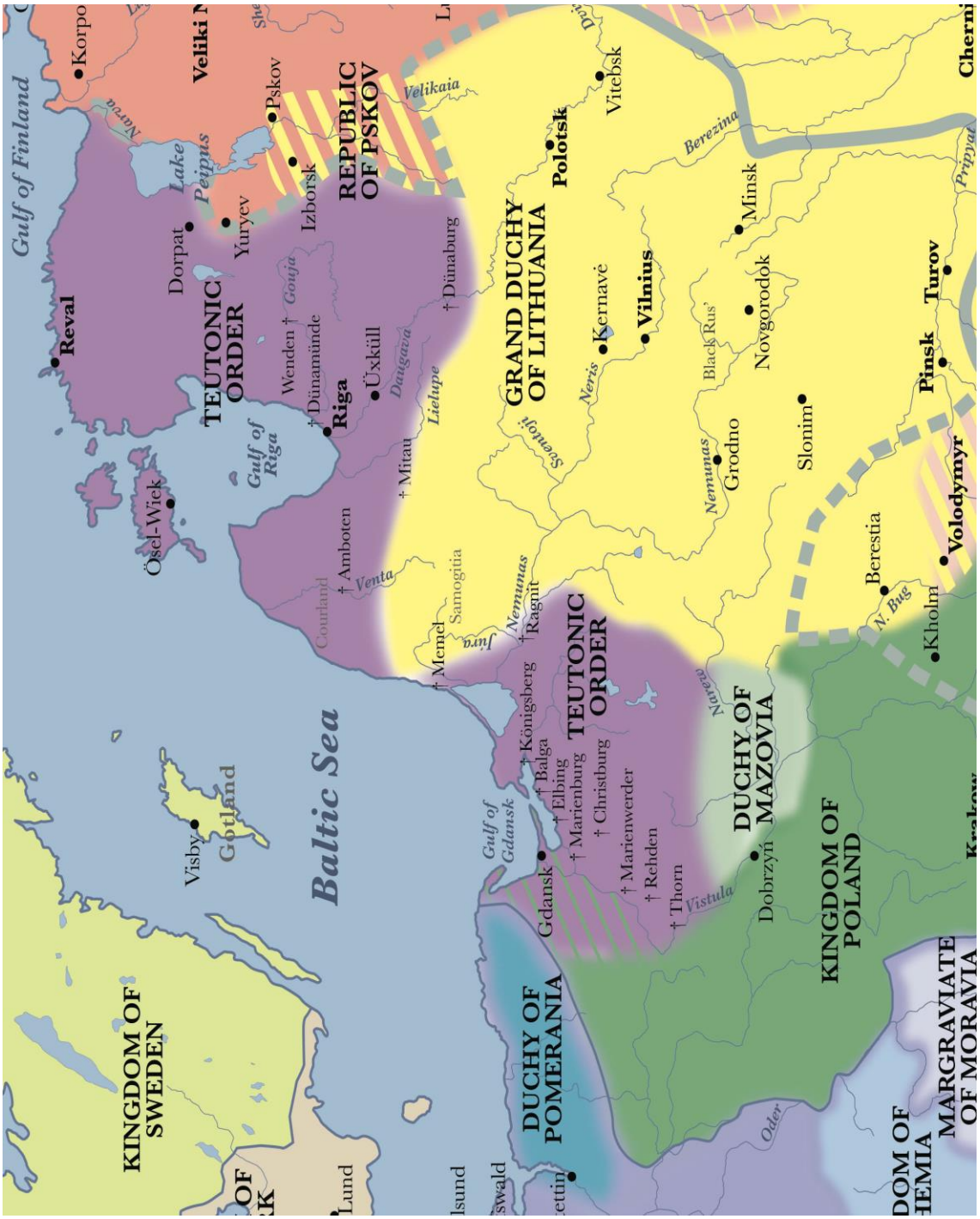

(1) انظر: Markman, Op.Cit., P.329.

2. تنظيم فرسان التيوتون في مواجهة التّحالف البولندي ـ الليتواني.

إنّ استهداف فرسان التيوتون ومملكة بولندا لليتوانيا الوثنيّة في أواخر سبعينيّات القرن الرّابع عشر الميلاديّ، كان له أثر بالغ في تغيير هذه الأخيرة لسياستها المعادية للمسيحيّة، فبعد إدراك عجزها عن صدّ هاتين القوّتين الكاثوليكيّتين، وفي خضمّ الأوضاع الدّاخلية التي كانت تتخبّط فيها الدّوقيّة، وجد جوجيلا"Jogaila"* نفسه مضطرّا لقبول فكرة تنصير دولته بما أنّ المسيحيّة ستزحف على أراضيه عاجلا أم آجلا، وبعيدا عن حدّ سيف فرسان التيوتون، فإنّ الطّريقة الأمثل كانت سير الدّوق على خطى جدّه وكسب ودّ الطّرف البولندي[1].

وتجدر الإشارة إلى أنّ دوقيّة ليتوانيا الكبرى كانت حينها مهدّدة على كافّة الجبهات، بيد أنّ التهديد الأكبر تمثّل في تنامي جبروت هيئة فرسان التيوتون الذي بلغ ذروته في مطلع القرن الرّابع عشر الميلادي، وذلك بعد بسط نفوذها على الأراضي البوميراليّة ونقل مقرّ قيادتها المركزيّة من فينيس"Venice" إلى مارينبورغ في سنة 1309م وكان هذا بمثابة تحذير شديد اللهجة لخصومها في فضاء حوض البلطيق[2].

أمّا مملكة بولندا، فقد دخلت آنذاك في متاهة البحث عن متوّج جديد لتسيير دواليب الحكم، وذلك بعد وفاة الملك لويس الأوّل في 13 سبتمبر/أيلول سنة 1382م دون ترك وريث لعرشه. وأسفرت أزمة خلو العرش عن دخول النبلاء في حرب أهليّة بسبب خيار الاتّحاد مع مملكة هنجاريا مجدّدا، وكان هذا

---

(1) انظر: Davies, Op.Cit., P.94.

(2) انظر: Daniel Stone, The Polish-Lithuanian state 1386-1795, University of Washington press, 2001,P.3-4.

ففي الجنوب داهمها خطر مغول القبيلة الذّهبية، ومن الشّرق واجهت تحدّيات كبيرة من طرف دوقيّة موسكوفيا الكبرى، أمّا من الجبهة الغربيّة فقد كان لويس الأوّل ملك بولندا يتأهّب في أواخر سبعينيّات ذات القرن لشنّ حرب صليبيّة ضدّها.

**: أو فلاديسلاف جاجيلو الثاني"Wladyslaw II Jagiello"، دوق ليتوانيا(1377-1401م)) وملك بولندا(1386-1434م)، مؤسّس السلالة الجاجيلونيّة الحاكمة التي تربّعت على عرش مملكة بولندا لقرابة قرنين من الزّمن. اشتهر فلاديسلاف جاجيلو الثّاني بكونه سياسيّا محنّكا وعسكريّا مقتدرا، كما عرف عنه اهتمامه بالجانب المعرفي وتشجّيع العلوم والفنون. لمزيد من التّفاصيل حول هذه الشّخصية ارجع إلى: Lerski, Op.Cit., PP.658-569.

الخيار مطروحا بقوّة؛ ولكن في نهاية المطاف استقرّ خيار النّبلاء على جادويغا"Jadwiga"* ابنة لويس لحمل لقب **ملك** بولندا، وتوّجت في العاصمة كراكو في 15 أكتوبر/تشرين الأوّل سنة 1384م(1).

ويبدو أنّ ليتوانيا لم تنتظر كثيرا لتحقيق تطلّعاتها حول خلق محور تحالف مع بولندا، وذلك بعد أن وجدت ضالتها في اعتلاء جادويغا"Jadwiga" سدّة عرش بولندا، إذ سرعان ما أخذت الآلة الدبلوماسيّة الليتوانيّة تتحرّك لترتيب زواج سياسي يتمّ بموجبه توحيد دوقيّة ليتوانيا الكبرى ومملكة بولندا في سبيل درأ التهديد المتعاظم لفرسان التيوتون على الدّوقيّة بالدّرجة الأولى، وشرع وسطاء جوجيلا في مهمّتهم مباشرة بعد بلوغ جادويغا الأراضي البولنديّة(2).

من جهتهم فإنّ النّبلاء البولندّيون رأوا فيها أيضا فرصة مناسبة للانتفاض عن حكم السّلالة الأنجيفيّة"Angivian"** التي احتكرت العرش لمدّة ثلاث عشرة سنة، بيد أنّهم من جهة أخرى كانوا غير

---

(1) انظر: Henry and Corwin, Op.Cit., P.66 ; Robert Frost, The Oxford history of Poland-Lithuania The making of the Polish-Lithuanian union 1385-1569, Vol.1, Oxford university press, 1st Edition, 2015, P.12.

كان من بين المرشّحين لخلافة لويس سيجموند"Siegmund" مارغراف براندنبورغ خطيب ماري ابنة لويس بيد أنّه لاقى رفضا قاطعا في أوساط البولنديّين لعلاقة براندنبورغ بألمانيا عدوّتهم اللدودة، بالإضافة إلى سيموفيت الرّابع"Siemowit IV" دوق ماسوفيا. لمزيد من التّفاصيل أنظر: Henry and Corwin, Op.Cit., P.66.

(2) انظر: Jan Dlugosz, Op.Cit., P.344-345; Davies, Op.Cit., P.94.

*: (18 فيفري/شباط 1374م ـ 17 جويلية/يوليو 1399م، وريثة لويس من أنجو"Louis of Anjou" ملك بولندا وهنغاريا (1343.1370.1382م)، توّجت ملكا على بولندا"Rex Poloniae" في العاصمة كراكو في 15 أكتوبر/تشرين أوّل من سنة 1384م، وشكّل زواجها بدوق ليتوانيا جاجيلو محطّة فاصلة ليس في تاريخ الأمّتين البولنديّة والليتوانيّة فحسب بل في تاريخ منطقة حوض البلطيق. اشتهر عن جادويغا ولعها بالعلوم والمعارف وقد أجمع المؤرّخون على أنّها كانت امرأة متعلمّة أجادت خمسة لغات من بينها الألمانيّة واللاتينيّة وربّما حتّى الإيطاليّة. أنظر: Paul W. Knoll, Jadwiga and education, The Polish review, Vol.44, N°.4, Published by University of Illinios press, PP.419-421,425 ; Sigmund John Sluszka, Queen Jadwiga in history and legend, Doctoral thesis(Pub.), University of Ottawa, PP.10-12, 23, 58, 170.

**: أسرة حاكمة فرنسية الأصل ومن أشهر السلالات الأوربية الحاكمة إبّان العصور الوسطى، أخذت اسمها من أراضي أنجو في غربي فرنسا، وطّن حكامها أنفسهم ككونتات في النصف الأوّل من القرن العاشر الميلادي، وقد حرص نبلاء أسرة أنجو على مدّ حدود أراضيهم صوب الشمال الغربي والجنوب الشرقي فبلغت إمبراطوريتهم أجزاء واسعة جدّا من أوربا الغربيّة، بسطت الأسرة سلطتها على نصف الأراضي الفرنسيّة، الإنجليزية والإيرلنديّة. كما امتد حكمهم إلى أراضي هنجاريا ومملكة بولندا عبر شارل روبرت الأوّل حفيد شارل الأوّل الأنجوي الذي أضحى ابنه لويس الأوّل ملكا على بولندا بعد وفاة آخر حاكم من سلالة بياست وانتهى عهد الأسرة الأنجيفية في بولندا بعد زواج ابنة لويس جادويغا بدوق ليتوانيا الكبرى ليبدأ عهد السلالة الجاجيلونيّة. ارجع إلى: Strayer, Dictionary of middle ages, Vol.1, P.253 ; Bryan Cartledge, The will to survive A History of Hungary, Hurst and Company, London, 2011, PP.33-37.

مستعدّين للخضوع لإملاءات محتملة من جوجيلا شريك جادويغا في العرش، وكان عليهم افتكاك بعض الضّمانات مقابل الموافقة على هذا الزّواج، وبموجب معاهدة كريفو"Krewo"* المؤرّخة في 14 أوت/أغسطس 1385م قدّم لهم جوجيلا جملة من التّنازلات الكتابيّة، لكنّ أبرز ما جاء في المعاهدة هو نبذ الليتوانيين لعقيدة أسلافهم واعتناقهم العقيدة الكاثوليكيّة(1).

كان اتّفاق كريفو"Krewo" بمثابة خريطة طريق مشروع الوحدة البولونيّة الليتوانيّة الذي امتدّ لقرابة القرنين من الزّمن، وعلى أساسه تمّ انتخاب جوجيلا ملكا على بولندا وفي فيفري/شباط سنة 1386م توّج جوجيلا واتّخذ لقب فلاديسلاف الثّاني جاجيلو"Władysław II Jagiełło". الواقع أنّ هذه اللحظة لم تشكّل محطّة حاسمة في تاريخ الأمّتين الليتوانيّة والبولنديّة فحسب، وبل وحلقة قويّة جدّا في إعادة بعث الصّراع مع العدو المشترك وهو تنظيم فرسان التيوتون، وذلك لأنّ الاتّفاق تضمّن أيضا ضرورة تنسيق الجهود لمحاربة الفرسان وكسر شوكتهم(2).

الواقع أنّ أهمّ نتائج اتّفاق كريفو لم تكن تحقيق الوحدة في حدّ ذاتها، وإنّما ذاك المكسب العظيم الذي تحقّق للكرسي الرّسولي باعتناق دوقيّة ليتوانيا، آخر الجيوب الوثنيّة في البلطيق للعقيدة الكاثوليكيّة. وحينما كان من المفترض أنّ استيعاب الدّوقيّة ضمن نطاق الفضاء الغربي المسيحي بطريقة سلمية سيغيّر مجرى العلاقات بين التّنظيم التيوتوني وليتوانيا إلى الأحسن، فإنّ العكس حدث، ذلك أنّ الفرسان واصلوا حربهم عليها دون هوادة وبحدّة أكبر، ومبرّرهم في ذلك أنّ اعتناق الدّوقيّة للكاثوليكيّة ما هو إلاّ تضليل للعالم المسيحي وأنّها لا تزال على هرطقتها(3)، وكشف التّنظيم بذلك عن نزعته السّياسيّة التّوسعيّة في المنطقة والتي ظهرت بجلاء عقب إزالة ليتوانيا لمعالم الوثنيّة على أراضيها. وفي هذا الشّأن شدّد نورمان هوسلي"Norman Housley" على أنّ الحملات الصليبية ضدّ ليتوانيا انسلخت بعد سنة 1386م عن

---

(1) انظر: Stone,Op.Cit., P.8.

(2) انظر: Jan Dlugosz, Op.Cit., P.347 ; Frost, Op.Cit., P12.

(3) انظر: Christiansen, Op.Cit., P.169.

ومن المحتمل أنّ إنشاء جوجيلا لأسقفيّة فلينيوس في سنة الموالية أي 1387م من تتويجه وتقديم العديد من الامتيازات والهبات لها جاء كردّ قوي على مزاعم التنظيم، ارجع إلى: Frost, Op.Cit., P.71

*: أو وحدة كريفو نسبة إلى المنطقة تم فيها توقيع الاتّفاق في روثينيا البيضاء ببيلاروسيا الحاليّة جنوبي شرق العاصمة الليتوانية فلينيوس، من بين الضّمانات التي نصّت عليها المعاهدة هي إطلاق سراح كافّة الأسرى البولنديين في ليتوانيا، أرجع إلى: Frost, Op.Cit., P.47.

شرقي أوربا الوسطى في سنة 1386م

نقلا عن:

Stephen Turnbull, Tannenberg 1410 Disaster for the Teutonic knights, In Campaign 122, Osprey Publication, 1ST Pub., 2003,P.10.

التعهّد الدّيني وعن قيم ومعاني الفروسيّة، وأضحت منافسة سياسيّة وعسكريّة محضة[1].

ومهما يكن من أمر تلك الحائق، فالواضح أنّ الاتّحاد الليتواني البولندي لم يُرهب التّنظيم الذي ما لبث أن استأنف حملاته العسكريّة ضدّ فلينيوس، مستغلاّ الحرب الأهليّة التي نشبت في أواخر الثّمانينيّات بين فيتولد"Vytautas"* وبين سكيرغايلا"Skirgaila"** شقيق فلاديسلاف جاجيلو حول أحقيّة كل منهما بلقب الدّوق الأكبر؛ وكان استنجاد الدّوق فيتولد بفرسان التيوتون للمرّة الثّانيّة في بدايات سنة 1390م من شأنه تسهيل مهمّتهم لبلوغ فلينيوس والاستيلاء على ساموجيتيا وهي البنود التي تضمّنتها معاهدة ليك"Lyck" بين الطّرفين وأقسم الدّوق على الالتزام بتنفيذها[2]. وكان ممن الطّبيعي أن يشجّع هذا الاتّفاق المقدّم الأوّل كونراد فون فالنرود"Konrad von Wallenrode"*** على الزّحف إلى فلينيوس ومحاصرتها في سبتمبر/أيلول من تلك السّنة بمساعدة من قوّات فيتولد[3].

ويبدوا أنّ رفع الحصار في غضون شهر واحد قد عجّل ببدء مفاوضات الصلح والتّوصّل إلى تسويّة بين فيتولد وغريمه، وانتهى الطّرفان إلى توقيع اتّفاقية أسترافا"Astravas" في سنة 4 سبتمبر/أيلول 1392م التي أقرّت بسلطة فيتولد كدوق أكبر على ليتوانيا زيادة على استرجاعه لكلّ أراضي والده

---

(1) انظر: Norman Housley, The crusade in the fifteenth century converging and competing cultures Routledge, London and New-York, 1st Pub., 2017, P.90.

(2) انظر: Stone, Op.Cit., P.10.

(3) انظر: Michunaite, Op.Cit., P.6.

*:أو ألكسندر فيتولد" Alexander Vytautas" ابن الدّوق كيستوت"Kęstutis" وخليفته، ولد في حوالي سنة 1348م، دخل في صراع مرير منذ مطلع ثمانينيّات القرن الرّابع عشر الميلادي ضدّ أبناء عمّه ألجيرداس"Algirdas" للاستئثار بالسّلطة، ولجأ للاستعانة بالفرسان التويوتون؛ وفي سنة 1392م تنازل له جاجيلو فلاديسلاف الثّاني عن دوقيّة ليتوانيا لينفرد بالحكم رغم تبعيّته الاسمية لملك بولندا. بلغت ليتوانيا على عهد فيتولد أوّج قوّتها، حيث ألحق بالفرسان التيوتون هزيمة كبرى في موقعة تاننبورغ وقيّض له إحكام سيطرته مقاطعة ساموجيتيا، توفي فيتولد في سنة 1430م. أنظر: Giedré Mickunaité, Making a great ruler : grand Vytautas of Lithuania, Central Europe university press, 2006, PP.5-6, 19-27.

**: (1353.1397م) ابن ألجيرداس، كان أشد منافسي فيتولد على سدّة دوقيّة ليتوانيا الكبرى وألدّ أعداءه إذ فجّر الاعتراف به من لدن شقيقه الملك جاجيلو الثّاني كدوق أكبر حربا شعواء مع فيتوتاس انتهت بالتوقيع على معاهدة أوستروفو"Ostrovo" في سنة 1392م بموجبها افتك هذا الأخير لقب دوق أكبر على ليتوانيا ونائبا لملك بولندا. Mickunaité , Op.Cit., PP.56 , 21-22.

***: (1330.1393م) المقدّم الأوّل الرابع والعشرون للتنظيم، ينحدر من أسرة نبيلة من فرانكونيا"Franconia"، عيّن في سنة 1390م كخليفة للمقدّم الأوّل كونراد فون روتنشتاين"Konrad Zöllner von Rottenstein" إلى غاية وفاته في سنة 1393م. ارجع إلى: The Chivalric biography of Boucicaut Jean II le Meingre, P.53.

كيستوتيس"Kestutis"*، وبفلاديسلاف جاجيلو دوقا أعظم على ليتوانيا وبهذا فإنّها وضعت نهاية للحرب الأهلية بين الدائرة بين الطّرفين[1].

ومما لاشكّ فيه أنّ نتائج الحرب الأهليّة الليتوانيّة لم تحسم لصالح فيتولد فقط، بل إنّ تنظيم فرسان التيوتون حقّق هو الآخر مقاصده منها بما أنّه وضع يده على ساموجيتيا بموجب الاتّفاق المبرم مع فيتولد في بدايات تسعينيّات القرن الرّابع عشر، ليس هذا فحسب بل إنّ الليتوانيّون أبانوا عن نيّتهم تقديم المساعدة للفرسان في السيطرة على بؤر المقاومة السّاموجيتيّة[2].

إنّ سرور التّنظيم بهذا المكسب لم يدم طويلا، إذ أبت ساموجيتيا الخضوع لسلطة كونراد فون جونجينجن"Konrad von Jungingen"**، ومع بداية سنة 1401م انتشر لهيب ثورة استمرّت عقدا؛ ويبدو أنّ الوضع المضطرب في ساموجيتيا لم يكن ليمرّ دون تدارك فيتولد له وتغذيته خاصّة بعد تأمين ظهره من دوقيّة موسكوفيا الكبرى"Grand duchy of Muscovy"*** في سنة 1407م[3].

---

(1) انظر: Stone, Op.Cit., P.10.

(2) انظر: William Urban, The last years of the Teutonic knights Lithuania Poland and the Teutonic order Greenhill books, 1ST Pub., 2019, P.75.

(3) انظر: Zigmantas, Op.Cit., P.85 ; Mickunaite, Op.Cit., P.7.

*: (1300ـ1382م) الابن الرابع لجديميناس، عيّن حاكما لأراضي تراكاي منذ 1338م، كما آلت له مقاطعة ساموجيتيا وأراضي غرودنو"Godno" بعد وفاة والده في سنة 1341م. انظمّ إلى أشقائه بغية الإطاحة بسلطة شقيقهم الأصغر لينفرد بعدها ألجيرداس بسدّة دوقيّة ليتوانيا، وبعد وفاة هذا الأخير دخل في صراع مرير مع ابن أخيه جوجيلا وتمّكن في سنة 1381م من الاستيلاء على فلينوس ونصّب نفسه دوقا أكبر على ليتوانيا لكنّه توفي في سنة 1382م. ارجع إلى: Sužiedėlis, Op.Cit., PP.151-152.

*: (1393ـ1407م) يعدّ من أهمّ مقدّمي الهيئة عبر تاريخها ينحدر من سوابيا، انظمّ مع شقيقه الأصغر أولريخ إلى صفوف التّنظيم في حوالي 1380م، خلف كونراد فون والندرود على رأس تنظيم الفرسان التيوتون بعد وفاته سنة 1393م، عيّن في البداية آمر قلعة أوسترود وتمّت ترقيته كأمين خزنة مارينبورغ في سنة 1391م، ركّز سياسته على الاستيلاء على مقاطعة ساموجيتيا وإضعاف بولندا وليتوانيا، كما استغلّ الأزمة المالية التي كان سيجسموند من لوكسمبورغ يتخبّط فيها واشترى نيومارك"Neumarch".

**: نشأت دوقيّة موسكوفيا الكبرى مع دانيال الأوّل"Daniel"(ت.1303م) الذي استهل مشروع توسعاته بالاستيلاء على بعض الأقاليم المجاورة واستكمل ابنه يوري"Iurii"(1303ـ1325م) مهمة والده حيث سيطر على حوض موسكوفا وتوسّع غربا وقيّض له الانفصال عن سلطة القبيلة الذهبية بعد ترتيب زواج سياسي من ابنة خان القبيلة الذهبية نال على إثرها لقب دوق أكبر، يعود الفضل الأكبر لإيفان الثّالث"Ivan III" في تعزيز قواعد إمارة موسكو التي شهدت على عهده عصرا ذهبيا بامتياز وذلك بعدما وحّد أراضي الروس تحت سلطته وحمل لقب قيصر. لمزيد من التفاصيل حول تاريخ إمارة موسكو ارجع إلى كربال، المرجع السّابق، ص 29ـ83. انظر أيضا : Robert O. Crummey, The formation of Muscovy 1304-1613, Routledge, 2013.

خريطة توضح تمدد نفوذ فرسان التيوتون في منطقة البلطيق منذ عام 1250 إلى 1402م.

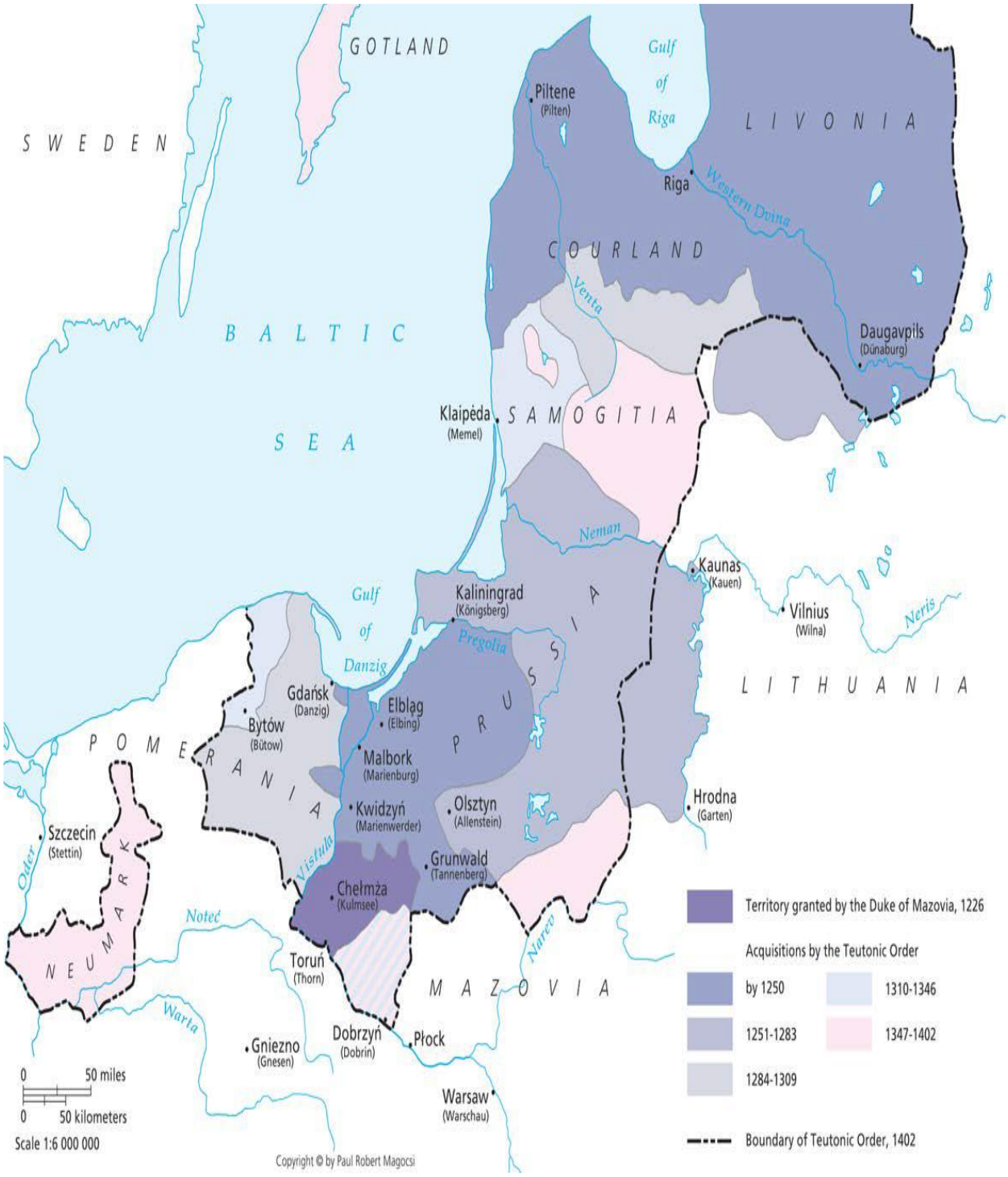

(1) انظر: Magocsi, Op.Cit., P.19.

ويبدو أنّ فيتولد وجد في ثورة ساموجيتيا الثّانية سنة 1409م فرصة سانحة لاستعادة أراضيه التي أكره تحت طائلة حاجته للنّصرة إلى التّنازل عنها، وانخرط هذا الأخير في الصّراع الدّائر ضدّ التّنظيم الذي توعّده بالحرب؛ بالموازاة مع ذلك، فإنّ فلاديسلاف جاجيلو لم يلبث طويلا حتّى نهج ذات السّبيل، بعد أن أعلن مساندته المطلقة للمتمرّدين السّاموجيتيّين ولقريبه وفصله على الدّوقيّة في حربها على العدو المشترك، وهدّد المقدّم الجديد أولرخ فون جونجينجن"Ulrich von Jungingen"* باجتياح بولندا في حال ما إذا أقدم على مهاجمة ليتوانيا(1). ومما لا شكّ فيه أنّ محاولة الطّرفين لجرّ الفرسان لساحات المعارك أتت أكلها، ففي أعقاب إجلاء قوّات فرسان التيوتون من ساموجيتيا فإنّ أولرخ أعلن الحرب على بولندا واستهلت قوّاته في 6 أوت/أغسطس 1409م سلسلة غارات على دوبرزين التي كان الفرسان قد تخلوا عنها وعن بعض المناطق المتاخمة بموجب معاهدة راشياز"Raciaz" عام 1401م، لكن تدّخل ملك بوهيميا فينسيسلاوس الرّابع "Wenceslas IV"(1361.1419م) كان كفيلا بإقناع الطّرفين التّوقيع على هدنة لالتقاط الأنفاس في 8 أكتوبر/تشرين الأوّل على أن تنتهي بعد تسعة أشهر(2).

في أثناء ذلك، كان الطّرفان البولندي ـ الليتواني وفرسان التيوتون يعدّان العدّة للدّخول في حرب شرسة، وكانت الخطوة الأولى تتمثّل خوض المعركة الدّبلوماسيّة بغية تأمين كلّ طرف لظهره وحشد الدّعم اللازم من القوى الأوربيّة، وتحرّكت بولندا على جناح السّرعة صوب انجلترا حيث قدّمت تقريرا مفصّلا للملك هنري الرّابع"Henry IV" عن جرائم التنظيم في ساموجيتيا، لكن هنري الرّابع لم يبد موقفا صريحا من الأحداث الحاصلة(3)، لكنّ فلاديسلاف جاجيلو تمكّن من ضمان مساندة سيليزيا"Silesia"**

---

(1) انظر: Martin Hofbauer, The Battle of Tannenberg in 1410: Strategic interests and Tactical implementation, Journal of military and strategic studies, Vol.13, Issue, 2010, PP.32-33.

(2) انظر: Turnbull, Op.Cit., P.20.

(3) انظر: Hofbauer,Op.Cit., PP.32-33; Turnbull, Op.Cit., P.20.

*: (1407.1410م) عيّن كمارشال للتّنظيم في سنة 1404م، وكان في الخمسينيات من عمره حينما خلف شقيقه على رأس التّنظيم سنة 1407م، وقد اشتهر أولرخ بعدائه الشّديد للبولنديين.

**: مقاطعة تاريخيّة في جنوبي غرب بولندا في منتصف الجزء العلوي لنهر الأودر، كانت سليزيا مستوطنة سلافية(السلاف الغربيون). في القرن العاشر الميلادي تمّ السيطرة عليها من طرف التشيك، وفي أواخر القرن العاشر الميلادي تمّ دمجها مع بولندا، وفي أعقاب وفاة بوليسلاف ويرموث في سنة 1138م وانقسام المملكة أضحت إمارة شبه مستقلة وانقسمت بدورها إلى عدّة دوقيّات، وبسبب الغزو الألماني والعلاقات التّجارية النشيطة جدا مع الألمان فإنّها أضحت إمارة ألمانية أكثر من كونها بولندية، وفي القرن الرابع عشر الميلادي تمّ الاستيلاء عليها من طرف التشيكيين مجددا. ارجع إلى: Lerski, Op.Cit., P.544.

وماسوفيا؛ غير أنّ النّصر الدبلوماسي الأكبر حقّقته ليتوانيا بتوصّلها لاتّفاق مع قيادة فرسان ليفونيا بتعليق الهجمات بين الطّرفين، وبهذا تكون الدّوقيّة قد ضمنت عدم التّعرض لاستهداف محتمل على جبهتها الشّمالية، فضلا عن تلقيها ضمانات بتقديم المدد من بوسكوفيا، مولدافيا"Moldovia" ونوفغورود [1].

من جهته، فإنّ أولريخ كان استهلّ حملته السّياسيّة قبل التّوصّل إلى الهدنة، ممّا يدلّ على ترقّب التّنظيم الدّائم وجاهزيّته لصدّ أي هجوم محتمل من قوّات الاتّحاد؛ وقد أثمرت مساعي المقدّم الأوّل بعقد صلح مع تحالف كالمار الاسكندنافي"Kalmar union"*، واتّفاق مع سيجسموند"Sigsmund"** ملك هنجاريا، بالإضافة إلى انضمام فينسيسلاوس ملك بوهيميا إلى صفوف التّنظيم[2]، بيد أنّ الأوضاع المتدهورة داخل ألمانيا عقب وفاة الملك روبرت الأوّل"Rupert I"(1352.1410م) في شهر ماي/أيار سنة 1410م ودخول أمراءها ونبلاءها في نزاعات شكّل ضربة قاسيّة للتنظيم الذي كان يتطلّع للاعتماد عليهم بدرجة أكبر في مواجهة التّحالف[3].

---

(1) انظر: Hofbauer, Op.Cit., P.33; Trunbull,Op.Cit., P.20-21.

(2) انظر: Trunbull,Op.Cit., P.20-21.

دخل سيجسموند في مفاوضات سريّة مع التنظيم وطالب بثلاثمائة ألف دوكيّة مقابل مهاجمة بولندا من الجهة الجنوبيّة وذلك مباشرة بعد انتهاء الهدنة المبرمة بين الطّرفين في شهر جوان/حزيران، أمّا عن غنائم الحرب في حالة انتصار التّنظيم فإنّ حصّته حدّدت بأراضي مولدوفيا ومناطق أخرى؛ بيد أنّ الشّرط الوحيد الذي قوّض هذه المفاوضات هو وجوب توفّر سبب مقنع لإعلان الحرب على الاتّحاد كما حاولت ليتوانيا هي الأخرى كسب الطّرف المجري الذي سعى لاستمالة فيتوتاس ضدّ بولندا.

(3) انظر: Frost, Op.Cit., P.104.

*: تأسس اتحاد كالمار في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي وتحديدا سنة 1397م على يد مارغريت الأولى"Margaret I"(1353.1412م) ملكة الدانمارك، وقد ضمّ هذه الأخيرة فضلا عن مملكتي السويد والنرويج. عرف عن الاتحاد مناهضته للتوسعات الألمانيّة في منطقة حوض البلطيق وشمالي قارة أوربا. قاد الدّوق السويدي غوستاف إيركسون فاسا"Gustav Ericsson Vassa" في الفترة الممتدة بين سنتي 1520 و1523م ثورة أسقطت سلطة الدانمارك على السويد وتمّ بذلك حلّ الاتحاد في سنة 1523م وانتخب فاسا ملكا على السويد في نفس السنة. ارجع إلى: T. K. Derry, A history of Scandinavia Norway Sweden Denmark Finland and Iceland,University of Minneapolis, 1ST Pub., 1979, PP.69-78, 84-85.

**: (1387.1437م) ملك المجر وألمانيا(1410.1437م) وبوهيميا(1420.1437م) والإمبراطور الروماني المقدس(1433.1437م). هو ابن شارل الرابع"Charle IV" ملك لوكسومبورغ وإمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدّسة وإليزابيث من بوميرانيا. حصل على التاج الهنجاري عن طريق زواج سياسي من ماري ابنة الملك لويس الأوّل. انتخب ملكا لألمانيا بعد وفاة الملك روبرت من بلاتينات" Robert of Platinate"(ت.1410م)، حصل على عرش بوهيميا بعد وفاة شقيقه الأكبر فانسيسلاوس الرابع وتوّج إمبراطورا في سنة 1433م. اشتهر بقيادته لحملة نيقوبوليس"Nekopolis" الصّليبية على العثمانيين في سنة 1396م، ومنظم الحملة الصليبية على الهوسيت في بوهيميا(1420.1433م). اشتهر سيجسموند بحبه للغات واهتمامه بالتّقنيات العسكرية. من أهمّ أعماله حصاره لمدينة البندقية وإنهاء الانشقاق الكبير للبابوية في مجلس كونستانس سنة 1417م، أسس في سنة 1408م وسام التّنين العلماني لربط حكم صربيا والاشيا والبوسنة في تحالف مناهض العثمانيين في المنطقة. ارجع إلى: Murry, The crusade, PP.1111-1112.

ويجوز القول بأنّ الآلة الدبلوماسيّة لبولندا وليتوانيا كانت أكثر فاعليّة مقارنة بنظيرتها لفرسان التيوتون، ليس لكونها نجحت في ضمّ عدد أكبر من القوى إلى صفوفها فحسب، وإنّما في قدرتها على تحييد أطراف كاثوليكيّة كانت قد أعلنت في وقت سابق من سنة 1409م مساندتها للتّنظيم في حربه على الاتّحاد على غرار أدواق بوميرانيا[1]، والواقع أنّ بولندا نجحت إلى حدّ بعيد في عزل التنظيم إقليميّا، وبهذا فقد أضحى الاتّحاد في موقع قوّة ومستعدا تماما للمواجهة وافتكاك الأراضي التي اغتصبها فرسان اليتوتون.

بناء إلى ما تمّت الإشارة إليه، يبدو بأنّ الثّورة السّاموجيتيّة ضدّ تنظيم فرسان التيوتون، وبسبب ما كانت تجده من تأييد وتتلقّاه من مدد من لدن الاتّحاد، فإنّها جّرت حربا كبرى مع الجانبين الليتواني والبولندي، حيث ستشهد المرحلة المقبلة احتدام الصّدام وبلوغه ذروته بين الكتلة الليتوانيّة ـ البولنديّة وبين الفرسان في إحدى أهمّ معارك التّاريخ الأوربي قديما وحديثا، وذلك لما ستحمله من نتائج وانعكاسات على أوربا الوسطى برمّتها.

وينبغي الإشارة إلى أنّ أهداف بولندا من هذه المعركة تمحورت حول استعادة بوميراليا وولوج مياه البلطيق مجدّدا، أمّا غاية ليتوانيا فلم تكن تختلف عن حليفتها، حيث رمت بثقلها لاسترجاع أراضي ساموجيتيا، والحقيقة أنّ طموحهما الأكبر انحصر في تقويض تهديد التّنظيم واقتلاع أوصاله من المنطقة ثمّ غزو الأراضي البروسيّة[2].

---

(1) انظر: Frost, Op.Cit., P.104.

ففيما صان سيفانتيبور الثّالث" Swantibor III" دوق ستيتين"Stettin" وعده بإسناد قوّات أولرخ، فإنّ فارتيسلاف الثّامن "Wartislaw VIII" دوق ولغاست"Wolgast" التزم الحياد، وكان الانتصار السّاحق لمبعوثي جوجيلا بالتحاق بوجيسلاف الثّامن"Bogislaw VIII" دوق ستولب"Stolp" بميدان المعركة ضدّ الهيئة.

(2) أنظر: Trunbull,Op.Cit., P.31.

3ـ معركة تاننبورغ"Tannenberg"* 1410م وانعكاساتها على قوى شرق نهر الأودر.

تعدّ معركة تاننبورغ"Tannenberg" التي دارت رحاها على أراضي بولندا الحاليّة بهدف تحديد سادة جدد لسواحل حوض البلطيق الجنوبيّة من بين المواجهات العسكرية الحاسمة التي خلّدها التّاريخ واعتبرت بحق إحدى أهمّ المعارك في تاريخ أوربا عبر العصور، وذلك لما كان لها من انعكاسات بالغة الأهميّة والتأثير، ليس على مستقبل هيئة فرسان التيوتون وحدها بل لكونها غيّرت من ملامح شرقي أوربا الوسطى برمّتها، خاصّة بروسيا بولندا وليتوانيا، هذا فضلا عن كونها فنّا حربيّا.

عقب انتهاء الهدنة وفشل جهود إحلال السّلام بين بولندا والتّنظيم في جوان/حزيران وفراغ الطّرفين من التّحضير للمعركة الكبرى على المستويين العسكريّ والسّياسيّ بالدّرجة الأولى، لأنّ معالم النّصر والهزيمة في أيّة معركة مرهونة بكسب المعركة الدّبلوماسيّة، فينبغي القول أنّ تباشير النّصر بدت تلوح في الأفق ومنذ البداية لبولندا وليتوانيا اللتان أدارتا معركتهما السياسيّة جيّدا وبحنكة كبيرة، ويستشفّ ذلك من خلال المدد اللوجيستي الذي توفّر للاتّحاد قبيل بدء المعركة مقارنة بتنظيم فرسان التيوتون.

ومهما يكن من أمر، وقبل الخوض في أطوار المواجهة لا بدّ بداية من التّعريج على الجاهزيّة الحربية لكلّ طرف، ولأنّ المصادر المعاصرة لم تتناول أرقاما دقيقة فقد أثير حول المسألة الكثير من اللغط، غير الدّراسات الحديثة التي تبدوا منطقيّة إلى حدّ ما، فإنّها تقدّر عدد المقاتلين في صفوف تنظيم الفرسان التيوتون حوالي واحد وعشرين ألف مقاتل إلى سبعة وعشرون ألف مقاتل مقابل اثنتين وثلاثين إلى تسعة وثلاثون ألف مقاتل في الجانب اللبولندي/الليتواني[1].

ووفق ما يذهب إليه المؤرّخ البريطاني دانيال ستون فإنّ جيش التنظيم تكوّن من حوالي ستة عشر ألف فارس يسندهم حوالي خمسة آلاف من المشاة، بالإضافة إلى حوالي خمسمائة فارس مدرّع موزعين

---

(1) انظر: Stone, Op.Cit., P.17.

*: تعرف كذلك بمعركة تاننبورغ الأولى تمييزا لها عن معركة تاننبورغ الثّانية التي وقعت أحداثها إبّان الحرب العالمية الأولى في أوت/أغسطس 1914م بين القوّات الألمانية والروسية. أخذت المعركة تسميتها من قرية تاننبورغ وكذلك من قرية غرونفالد"Grunwald" الواقعة على بعد حوالي 3كلم من تاننبورغ، أمّا التّسمية اللتوانيّة للمعركة فهي زالغيريس"Zalgiris". ارجع إلى: Sužiedėlis, Op.Cit., P.123 ; Lerski, Op.Cit., P.181.

بين بروسيّين وألمان وكذا سلاف، فضلا عن متطوّعين من أنحاء متفرقّة من أوربا، حيث تأتمر كلّ الفرق بأمر القائد الأعلى وهو أولريخ فون جونجينجين[1]. كان من الطبيعي أن يشكّل سلاح الفرسان الثقيل المدرّع امتيازا في صفوف قوّات أولرخ الذي تفوق في الجانب الانضباطي والتكتيكي وغطّى على النقص العددي الذي عانى منه التنظيم.

بالمقابل، فإنّ قوّات الخصم كانت أكثر عددا وأفضل عدّة، حيث بلغت القوّات البولنديّة سبعة وعشرون ألف رجل، وخمسة عشر ألف مقاتل متطوّع، بالإضافة إلى ألفي فارس محترف جلّهم من بوهيميا[2]. أمّا فيتولد فقد تزعّم جيشا قدّر بحوالي أحد عشر ألف فارس يمثّلون سلاح الفرسان الخفيف، ولم يقتصر جيش الدّوقيّة على الليتوانيّين فقط، بل ضمّ فيالق المرتزقة المولدوفيين والساموجيتيين، بالإضافة إلى مقاتلين روس وتتر وثنيّين، على أنّ جميع قوّات الاتحاد وضعت تحت إمرة ملك بولندا جوجيلا فلاديسلاف الثاني[3].

شرع فيتولد في تحرّكاته على امتداد نهر الفيستولا في جوان/حزيران 1410م لملاقاة القوّات البولندية التي تركت كراكوف في السّادس والعشرين من ذات الشّهر، وكانت الخطّة تقضي بانضمام فيتولد إلى جاجيلو فلاديسلاف عند تشرفيسك"Czerwisk"* على الضّفة الشّماليّة من نهر الفيستولا في 2 جويليّة/يوليو؛ وقد بلغت طلائع الفيالق الليتوانيّة الموقع في نفس اليوم، وفي اليوم الموالي اكتمل التّعداد لينطلق الجيش صوب الشّمال باتّجاه الحدود البروسيّة التي بلغتها في اليوم السّابع[4].

---

(1) أنظر: Stone, Op.Cit., P.16.

(2) انظر: Loc.cit.

(3) انظر: Urban, The last years of the Teutonic knights, P.108-109.

(4) انظر: Turnbulln, Op., Cit., P.33.

وفي اليوم التاسع من شهر جويلية بدأت فعليا عمليّة اجتياح بروسيا من طرف جاجيلو فلاديسلاف، حينما قيّض لقوّات التّحالف كسر خطوط الدّفاع المتهاويّة والهشّة، وسرعان ما أدرك أولريخ أنّ أنظار الأعداء موجّهة شمالا صوب مارينبورغ القاعدة المركزيّة للتنظيم(1)، ومن حسن تدبير الفرسان التيوتون أنّهم اتّخذوا هذه القلعة العصيّ موقعها على الأعداء كمقّر قيادته، وكان على قوّات التّحالف اجتياز نهر درويكا"Drweca" الذي سيشكّل عقبة في سبيل إحكام قبضتها على مارينبورغ(2).

وفي هذا الصدد، ينبغي الإشارة إلى أنّ المقدّم الأوّل عهد بالجهة الغربيّة من بروسيا إلى ثلاثة آلاف مقاتل لصدّ أي هجوم محتمل بقيادة هنري بلون"Henry of Plauen"*، أحد أفضل وأقوى رجالات التّنظيم الذي سيؤدّي دورا بارزا في الحؤول دون سقوط مارينبورغ والحفاظ على استمراريّة الكيان وتواجده على الأراضي البروسيّة(3).

وفيما أخذ البولندّيون والليتوانيون يتحرّكون بسرعة خاطفة باتّجاه مارينبورغ عبر الجهة الشّرقيّة، فإنّ أولريخ سار برجاله لتشكيل خط دفاعي عند نهر درويكا، وعبره عند بلدة لوبافا"Lubawa" ثمّ اتّجه شرقا بشكل مواز لتقدّم اللبولندّيّين والليتوانيّين، وانتشرت قوّاته في قلب منطقة المثلّث الواقعة بين قرى تاننبورغ "Tannenberg" وغرونفالد"Grunwald" ولودفيغسدورف"Ludwigsdorf"، التي كان معسكر العدو لا يبعد عنها سوى ثمانية كيلومترات جنوبا(4).

وفي الخامس عشر جويلية/يوليو 1410م، كان الجيشان متموقعان جيّدا على ميدان المعركة؛ حيث انبسطت قوّات التّحالف على امتداد المحور الشّمالي الشّرقي والجنوبي الغربي على مقربة من أحد

---

(1) انظر: Turnbulln, Op., Cit., P.33.

(2) انظر: Ibid., P.35.

(3) انظر: Urban, The Teutonic knights, P.204 ; Christofer Hermann, Malbork Castle and Town, P.7.

(4) انظر: Turnbulln, Op., Cit., P.36.

*: (1410-1413م) يرجّح أنّه بلغ الأراضي البروسية في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي، عين قائدا عسكريا لنيسو"Nessau" في سنة 1402م، ثمّ قائدا عسكريا لسوايزي"Swiecie" في سنة 1407م. لم يشارك بلاون في معركة تاننبورغ بيد أنّه لعب دورا بارزا في أحداث ما بعد المعركة ويعود الفضل له في الدّفاع عن قلعة مارينبورغ قاعدة التّنظيم المركزية. تمّ انتخابه في نوفمبر/تشرين الثّاني سنة 1410م على رأس التنظيم.

الأغوار، وقد انقسمت القوّات البولنديّة إلى ثلاثة أقسام تمركزت على الجناح الأيسر فيما أخذ الليتوانيّون موقعهم على الجهة اليمين.

أمّا الجانب الآخر فإنّ قوّات التّنظيم انتشرت بشكل مماثل على ذات المحور الجنوبي الغربي والشّمالي الشّرقي مع احتماليّة ارتكاز الجناح الأيسر على قرية تاننبورغ كقاعدة خلفيّة، وقد تموضع سلاح الفرسان الثّقيل التّابع للهيئة في الخطوط الأماميّة، حيث حجب سلاح المدفعيّة، والرّماة وسلاح الفرسان الخفيف، ويرجّح أنّ صفوة الفيالق التيوتونيّة قد تمركزت على الجناح الأيسر قبالة الجيش الليتـوانيّ تحت قيادة الماريشال فريدريك فون فاليـنرود"Frederick von Wallenrode "[1].

في تلك الأثناء كان أولريخ ينتظر مبادرة جاجيلو فلاديسلاف بالهجوم على خطوط الهيئة الدّفاعيّة المتأهّبة ثمّ يقوم بتنفيذ هجوم مضاد فورا، ومن الواضح المقدّم الأوّل والماريشال قرّرا تفادي النّزعة الدّفاعيّة وخوض معركة هجوميّة دفاعيّة، وعلى أيّة حال، فإنّ فيتولد قائد القوّات الليتوانيّة لم يتوان فور إشارة الملك ببدء المعركة عن توجيه ضربة إلى الجناح الأيسر للتّنظيم الذي يشتمل على خيرة مقاتلي التنظيم، لكنّ ردّ سلاح المشاة والمدفعيّة كان فتّاكا وحقّق من خلالها رجال أولريخ نصرا مؤزّرا على الليتوانيّين كما صوّره المؤرّخ دلوغوش[2].

ولا ينبغي في هذا الصّدد إغفال أنّ شهادة دلوغوش حول الهزيمة السّاحقة التي تلقاها الليتوانيّون وانسحابهم من ميدان المعركة، فضلا عن تعقب قوّات أولريخ لهم على بعد عدّة أميال وأسر عدد منهم هو أمر مبالغ فيه، كما أنّ دلوغوش لم يشر إلى عودة الليتوانيّين الذين انسحبوا إلى ميدان المعركة مجدّدا ومن الواضح أنّ هدفه نسب الانتصار للقوّات البولنديّة حصرا وتمجيد إنجازها[3].

---

(1) انظر: Turnbulln, Op., Cit., P.44.

(2) انظر: Jan Dlugosz, Op.Cit., P.388-389.

(3) انظر: Ibid., P.388-389 ; Urban, The last years of the Teutonic knights, P.120.

الواقع أنّ انسحاب الليتوانيّين اندرج ضمن الخطّة التي وضعها الطّرفان البولندي والليتواني أثناء لقاء تشرفيسك"Czerwisk" في 2 جويلية/يوليو، ذلك أنّهم عادوا ليقتحموا ساحة القتال مجدّدا، ممّا يدلّ على أنّه لم يكن سوى انسحابا ماكرا الغرض منه تشتيت صفوف فرسان التيوتون وخلق الفوضى بينها، فيما كان التّنظيم يعتقد أنّ تباشير النّصر قد بدت تلوح في الأفق عقب هذا الفوز(1).

من الواضح أنّ تنظيم فرسان التيوتون لم يلتزم بالخطّة التي وضعها ممّا سهّل مهمّة العدو الذي نجحت مهمّته في استدراج فريق من الفرسان، ففي اللحظة التي تشتّتت فيها قوّات أولريخ في محاولة منها لتعقّب الليتوانيين والإجهاز عليهم، فإنّ القوّات البولنديّة هاجمت بشكل خاطف عبر الفجوة التي خلفّها المنشقّون الجناح الأيسر للهيئة الذي اعتبره المؤرّخون نقطة قوّة التّنظيم وأثخنته، وكانت هذه حلقة حاسمة غيّرت مجرى أحداث المعركة لصالح القوّات البولنديّة ـ اللتوانيّة (2).

وعلى الرّغم من هذا، إلاّ أنّ التّنظيم حافظ على ثباته وبقي متماسكا على ساحة المعركة أين استمرّ الصّدام حادًّا مع أفضليّة للجانب البولندي/الليتواني، وبينما كان الجناح الأيمن في صفوف التّنظيم منشغل بقتال الفيالق البولنديّة، وفي ظلّ النّقص العددي كان لزاما على أولريخ فون جونجينجن التّصرف ورفع معنويّات قوّاته، وسرعان ما انضمّ إلى جيشه على الميدان برفقة ستّة عشر سريّة من سلاح الفرسان الثّقيل التي شكّلت القوّة الضّاربة للفرسان التيوتون، وفورًا فإنّها قادت هجمة منظّمة ضدّ الجناح الأيمن الذي يعدّ نقطة ارتكاز القوّات البولنديّة ووجّهت له ضربة قويّة، ويشير ستيفن تورنبول إلى أنّ أولريخ كان يستهدف رأس الملك وذلك عبر تركيز هجماته إلى الأمام باتّجاه موقع قيادته(3).

الحقيقة إنّ فيالق أولريخ نجحت في اختراق الخطوط الرّئيسيّة البولنديّة التي وجدت نفسها متردّدة وعاجزة عن مواجهة جموع المقاتلين وتراجعت في مناسبات عديدة، غير أنّها فشلت في النهاية على حملها على التّراجع والانسحاب، ربّما يرجع سبب ذلك إلى الارتباك الذي ساد في أوساطها عند بداية المعركة

---

(1) انظر: Hofbauer, Op.Cit., P.36.

(2) أنظر: Turnbull, Op.Cit., P.49.

(3) أنظر: Jan Dlugosz, Op.Cit., PP.389-390, Turnbull, Op.Cit., PP.53,56 ; Murray, The crusades An encyclopedia, P.1146

نتيجة لحيلة العدو التي أسفرت عن إحداث تصدّع في قوّات التّنظيم، وممّا لا شكّ فيه أنّ عامل التّفوّق العددي في صفوف جيش التّحالف لعب دورا حاسما لا يمكن إنكاره في قلب المعادلة لصالح البولنديّين، خاصّة بعد عودة الليتوانيّين[1].

لم يلبث البولنديّون أن تغلّبوا على تردّدهم وأغاروا على رجال أولريخ لتبدأ بذلك آخر فصول المعركة الكبرى التي يصف فيها دلوغوش عملية حصار البولنديّين المتفوّقين عدديّا لقوّات تنظيم فرسان التيوتون وكيف أعملت السّيوف في رقاب بعضهم فيما اقتيد آخرون للأسر، ويشير دلوغوش أنّ المقدّم الأوّل للتنظيم أولريخ فون جونجينجن والماريشال[2] فريدريك فون والينرود بالإضافة إلى صفوة قادته وفرسانه قد تمّت تصفيّتهم، وفي ظلّ خسارة التّنظيم لكلّ ركائزه وانعدام قيادة فعليّة في صفوفه، فإنّ قوّات الفرسان التيوتون أجبرت في النّهاية على التّراجع[3].

لقد كانت هزيمة تاننبورغ التي تلقاها التّنظيم على يد التّحالف البولندي/الليتواني قاسيّة جدّا، حيث خسر خيرة فرسانه وأكثر من نصف قوّاته التي كانت على الميدان، ولعلّ أفضل وصف قدّمه مارتين هافباور"Martin Hofbauer" هو قوله أنّ "**أجراس جنازة تنظيم فرسان التيوتون لم تقرع بعد، بيد أنّها كانت نكبة كبرى**"[4].

ومما لا شكّ فيه أنّ الخسائر كانت كبيرة في صفوف الطّرفين، حيث قدّرت بعض الدّراسات عددها بثمانيّة آلاف قتيل، إلاّ أنّه من غير المعلوم ما إذا كان هذا العدد يشمل الطّرفين معا، أو ثمانية آلاف لكلّ منهما[5]، وفي هذا الصدد، يذكر ستيفن تورنبول أنّ عدد أسرى التّنظيم بلغ حوالي أربعة عشر ألف أسير اقتيدوا إلى العاصمتين، فلينيوس وكراكو وذلك بعد ثلاثة أيام على انتهاء المعركة. أمّا عن عدد النّاجين من الموقعة وفق تورنبول فإنّه قد قدّر بحوالي ألف وأربعمائة وسبع وعشرون ناج كلّهم عادوا إلى

---

(1) أنظر: Hofbauer, Op.Cit., P.36-37 ; Turnbull, Op.Cit., P.61.

(2) أنظر: Jan Dlugosz, Op.Cit., P.389-390.

(3) أنظر: Urban, The last years of the Teutonic knights, P.121-122.

(4) أنظر: Hofbauer, Op.Cit., P.36-37.

(5) أنظر: Urban, The last years of the Teutonic knights, P.122-123.

قلعة مارينبورغ[1].

حقيقة إنّ تنظيم الفرسان التيوتون تلقّى ضربة موجعة جدّا كادت تعصف به، بيد أنّ سقوط مارينبورغ قاعدته المركزيّة في يد البولنديّين والليتوانيين كان معناه القضاء على كيانه واجتثاثه من منطقة حوض البلطيق بشكل نهائي؛ وكان هنري بلون يدرك تماما أنّ استمرارية وجودهم على الأراضي البروسيّة مرهون الآن بالحفاظ على القلعة.

أ. حصار قلعة مارينبورغ:

شجّع النّصر المؤزّر الذي حقّقه الملك جاجيلو وقريبه فيتولد على الزّحف شمالا صوب قلعة مارينبورغ التي كانت هدفهم الرّئيسي منذ البداية، في تلك الأثناء بلغت أنباء الهزيمة هنري بلون" Henry of Plauen" الذي كان أولريخ قد أسند إليه الجناح الغربي من بروسيا، وعلى رأس ثلاثة آلاف مقاتل ترك بلون مقرّه في سويزي"Swiecie" وسبق قوّات العدو إلى مارينبورغ[2].

استولى جيش التّحالف بينما كان في طريقه إلى مارينبورغ على بعض القلاع الهامة أبرزها قلعة كريستبورغ دون أيّة مقاومة تذكر، وقد استغلّ بلون وقوّاته تقدّم قوّات العدو البطيء لتحصين وتقوية دفاعات مارينبورغ، ويشير دانيال ستون أنّ جاجيلو لم يحرّك جيوشه نحو العاصمة مارينبورغ إلاّ بعد عشرة أيام من الوقعة الكبرى وأنّه فوّت عليه انتصارا ساحقا[3].

يبدو في ظلّ ما ذكره ستون، حول منح الجيش البولندي الوقت الكاف لقوّات فرسان التيوتون لالتقاط الأنفاس وحشد الدّعم اللازم دفاعا عن مارينبورغ، أن جاجيلو ربّما تعمّد ذلك وتجنّب الإجهاز على التّنظيم، فعلى الرغم من أنّ خوض قوّات التّحالف لمعركة كبرى ضدّ غريم متمرّس في ميادين القتال قد أنهك قواتهم فعلا وعطّل سيرها لمواجهة مقبلة مع ذات النّد، غير أنّ ترك جاجيلو لسلاح المدفعية ووسائل الحصار خلفه وهو يدرك تماما أنّ دكّ قلعة بحجم مارينبورغ عاصمة أبرز قوة في منطقة حوض

---

(1) أنظر: Turnbull, Op.Cit., P.68.

(2) أنظر: Urban, The last years of the Teutonic knights, P.125.

(3) أنظر: Stone, Op.Cit., P.17.

البلطيق في غياب الآلات اللازمة أمر مستحيل وهو دليل قويّ على تساهله مع فرسان التيوتون والاكتفاء بالنّصر المعنوي[1].

وعلى كلّ، ففي غضون ذلك، كان هنري بلون يجتهد في حشد الدّعم اللازم وتنضيد صفوف قوّاته للحؤول دون ضياع مارينبورغ، ولذلك فإنّه وجّه فور وصوله استدعاءً إلى أساطيل التّنظيم قبالة دانزيغ، وإلى السيّد الأعلى لفرسان ليفونيا بضرورة الإسراع لإسناده[2]، كما أنّه أوفد رسائل استغاثة إلى كلّ من سيجسموند ملك هنجاريا وفانسيسلاف الرّابع ملك بوهيميا اللذان تعهّداه بالنّصرة؛ وبينما هو كذلك، فإنّ جيوش جاجيلو بلغت أسوار مارينبورغ في 26 جويلية/يوليو[3] حيث وجدت مارينبورغ محصّنة تحصينا جيّدا استلزم استخدام سلاح المدفعيّة التي افتقدتها صفوفه، لكنّه استمرّ بحصار القلعة لحوالي ثمانية أسابيع كاملة أملا في استسلام هنري بلون الذي بقي صامدا ينتظر وصول المدد[4].

في تلك الأثناء، وبينما كان جزء من جيش جاجيلو منبثّا في غربي بروسيا يستولي على القلاع التي تركت من دون حماية، باستثناء قلعة كونيغسبورغ والقاعدة المركزيّة مارينبورغ، فإنّ الإمدادات لإسناد القلعة وصلت أخيرا، وفيما هاجم فرسان ليفونيا بروسيا من الشّرق لتحريرها، وسُيّر مددٌ عظيمٌ من بوهيميا، فإنّ سيجسموند ملك هنجاريا أعلن الحرب على جاجيلو بأن أرسل وحدات عسكريّة إلى بولندا الصغرى لإثارة القلاقل وإجبار البولنديّين على العودة وترك أسوار مارينبورغ[5].

جدير القول بأنّ العوامل الأساسيّة التي لعبت دورا هامّا في ترجيح الكفّة لصالح فرسان التيوتون ورفع الحصار عن مارينبورغ، لم يكن وصول الإمدادات فقط، وإنّما رغبة النّبلاء البولنديّين في العودة إلى أراضيهم لتـزامن أعمال الحصار مع اقتـــراب مـــوسم الحصاد، وكذا قلقهم المتـــزايد من اعتداءات قوّات

---

(1) برّر دلغوش بطئ تقدّم القوات البولندية صوب مارينبورغ بكون الجيش افتقر إلى الخبرة؛ حول هذه النّقطة ارجع إلى: Jan Dlugosz, Op.Cit., P.399,Urban, The last years of the Teutonic knights, PP.125-126.

(2) انظر: Urban, The last years of the Teutonic knights, P.125.

(3) انظر: Turnbull, Op.Cit., P.74; Urban, The last years of the Teutonic knights, PP.125-126; Stone, Op.Cit., P.17.

(4) أنظر: Urban, The last years, PP.125-126 .

الواقع أنّ تحرّكات الطّرفين البوهيمي والمجري كان وليد طموحات سياسيّة.

(5) أنظر: Ibid., PP.126-128 ; Turnbull, Op.Cit., P.75.

سيجسموند، فضلا عن انسحاب الجيش الليتواني من بروسيا في أعقاب انتشار المرض، وكذلك توجّسا من إمكانيّة زحف قوّات إمارة روسيا الموسكوفيّة على الأراضي الليتواينة[1].

في ظلّ هذه العوامل وأخرى، أجبر جاجيلو فلاديسلاف على الانسحاب ورفع الحصار عن قلعة مارينبورغ في 18 سبتمبر/أيلول، بيد أنّ الملك لم يكن ليضيع جهوده سدى، وعمد إلى تشييد قلعة إلى الجنوب من مارينبورغ بهدف مواصلة الضّغط على هذه الأخيرة، كما نصّب حاميات على القلاع التي سقطت أو استسلمت على غرار إلبينغ وريدن ومعاقل أخرى[2].

الواقع أنّ مأموريّة هنري بلون في الحفاظ على مارينبورغ مقرّ قيادة الفرسان كانت انتحاريّة ومحطّة بالغة الأهميّة، كونها شكّلت حلقة فاصلة في تاريخ التنظيم بين الحفاظ على استمراريته من عدمها؛ غير أنّ مهمّة هنري بلون لم تنتهي برفع الحصار على القلعة، وكان هذا الأخير أمام اختبار حاسم وهو استرداد ما تمّ الاستحواذ عليه من طرف قوّات التّحالف.

هذا ولم تكد قوّات جاجيلو تجتاز الحدود الغربيّة حتى انضمت فيالق فرسان ليفونيا إلى فرسان قلعتي رانيت"Ragnit" وبالغا وشرعت في تأمين الجهة الشماليّة من بروسيا، فيما أخذت المعاقل الأخرى تنتفض في وجه الحاميات البولنديّة، وفي ظرف أسبوعين لم يتبقّى في حوزة البولنديين على الأراضي البروسيّة سوى أربع قلاع؛ والجليّ أنّ قوّات التّنظيم قد بدأت تستعيد بأسها وقوّتها شيئا فشيئا، وحيال هذا كان لزاما على التّحالف البولندي ـ الليتواني الإسراع لاجتياح بروسيا وكسر شوكة الفرسان[3].

ويبدو أنّ فوز سيجسموند ملك هنجاريا بسدّة الإمبراطوريّة في شهر سبتمبر/أيلول وانشغاله عن مساندة التنظيم في صدامه ضدّ بولندا قد سمح لجاجيلو بتركيز أنظاره على الشّرق مجدّدا، وفي 10 أكتوبر/تشرين الأوّل تلقّى الفرسان التيوتون هزيمة ثانية على يد الجيش البولندي في موقعة كرونوفو"Koronowo"[4]، وأجبروا بعد مرحلة المفاوضات على الجنوح للسّلم وتوقيع معاهدة ثورن الأولى

---

(1) أنظر: Turnbull, Op.Cit., P.75.

(2) انظر: Loc.cit.

(3) انظر: Urban, The last years of the Teutonic knights, P.127.

(4) انظر: Jan Dlugosz, Op.Cit., PP.399-401.

"Thorn I" في الفاتح من فيفري/شباط 1411م[1].

يبقى السؤال المطروح حول الأسباب الحقيقيّة وراء هذه الانتكاسات والهزائم التي مني بها التّنظيم بدء بمعركة تاننبورغ وكرونوفو، فعلى الرّغم من أنه لا يمكن تجاهل القّوة العددية التي رجّحت الكّفة لصالح فلاديسلاف وفيتولد، وفشل التّنظيم في عملية تجنيد المرتزقة قد أضحى معضلة حقيقيّة كما أشار إليه كريستيانس[2]. فإنّ هناك أسباب وعوامل أخرى طغت على المشهد لا يجب إغفالها، فإذا استعرضنا الأحوال الدّاخليّة في بروسيا، نجد أنّه سادت حالة من السّخط الشّديد على سياسية التّنظيم حيث أضحى البروسيّون يتمنون زوال حكمه، وفي هذا السياق علّق مؤرّخ من لوبك بقوله: "**إنّ هزيمة فرسان اليتوتون هي إرادة الرّب بسبب غطرستهم وقسوتهم المفرطة تجاه شعوبهم الخاضعة الفقيرة**"[3].

ب ـ سلام ثورن الأوّل"Thorn I"(1411م) وانعكاساته على نفوذ التّنظيم في المنطقة.

الحقيقة إنّ معركة تاننبورغ قد قوّضت القوّة العسكريّة للفرسان التيوتون، غير أنّ هزيمتهم في كرونوفو على يد القوّات البولنديّة كانت حاسمة بالنسبة لهم وأجبرتهم في أعقاب تهاوي منظومتهم الدّفاعيّة على الرّضوخ لمطالب الملك جاجيلو وتقديم تنازلات إقليميّة لهذا الأخير بموجب سلام ثورن الأوّل المبرم بين الطّرفين.

نصّت مواد هذه المعاهدة على تنازل المقدّم الأوّل الجديد هنري بلون وتخليه عن مطالب الفرسان في إقليم ساموجيتيا، وعلى الرّغم من الاعتراف به كسيّد على أراضي ساموجيتيا، إلاّ أنّ الملك جاجيلو لم يكن راضيا تماما عن هذا البند باعتبار أنّ دوق ليتوانيا فيتوتاس سيكون الحاكم الفعلي والمستفيد الأوّل منه، خاصّة وأنّه الإقليم الوحيد الذي افتكّته بولندا من بلون، فضلا عن كون هذا البند مرهون بمدّة محدّدة حيث يلغى هذا الالتزام مباشرة بعد وفاة جاجيلو وفيتوتاس ويؤول مجدّدا للتّنظيم؛ كان على هذا الأخير

---

(1) انظر: Turnbull, Op.Cit., P.77.

(2) انظر: Christiansen, Op.Cit., P.221.

(3) انظر: Loc.cit.

أيضا الانسحاب وإزالة الحواجز الدّفاعية من على التّخوم البروسيّة البولندية، التي رأت فيها هذه الأخيرة تهديدا لها بصرف النّظر عن أراضي دوبرين التي كانت قد استولت عليها قبل المعركة الكبرى في تاننبورغ، وتمّ الاتّفاق على إسناد مسألة الحدود بينهما إلى لجنة أوربيّة محايدة[1].

مقابل التّنازلات التي قدّمتها قيادة التّنظيم، فإنّ جاجيلو من جهته قد تبرّأ من قسم الولاء والتّبعيّة الذي قدّم له من بعض فرسان التيوتون والمدن البروسية تحت طائلة الجزع والذّعر، كما استفاد من شرط الإفراج عن أسراه بمقابل مالي ضخم جدّا، علاوة على ذلك، توصّل الطّرفان إلى تسوية تقضي بفتح الحدود المشتركة أمام الحركة التّجاريّة، والحقيقة أنّ هذه النقطة تعتبر مكسبا للمدن في بروسيا أكثر من نظيرتها البولنديّة؛ ومما لاشكّ فيه أنّ رفض التّنظيم إقحام المسألة البوميراليّة في مسار المفاوضات مع بولندا وبذلك هو انتصارا سياسيا هامّ على جاجيلو فلاديسلاف[2].

يبدو بناء على بنود الاتّفاقيّة المبرمة بين بلون وجاجيلو أنّ بولندا وليتوانيا فشلتا فشلا دبلوماسيّا ذريعا وبدتا في ثوب المنهزم لعجزهما عن ترجمة نصرهما العسكري إلى مكاسب إقليميّة، ذلك أنّ مساعيهما السّياسيّة كانت دون مستوى الانتصارات العسكريّة التي حقّقتاها على التّنظيم في موقعتي تاننبورغ وكرونوفو، وكان باستطاعة جاجيلو الإجهاز على الفرسان وانتزاع ما هو أثمن وأهمّ من ساموجيتيا ودوبرين، وعلى الرّغم من كون التّنظيم الطّرف المنهزم إلاّ أنّه بدا في ثوب المنتصر بالنّظر إلى أنّه لم يخسر الكثير وقدّم تنازلات بسيطة، بما أنّ الحدود بين دولة الفرسان وكل من بولندا غربا وليتوانيا شرقا عادت إلى ما كانت عليه قبل سنة 1409م.

(1) انظر: Urban, The last years, P.134.

(2) انظر: Loc.cit.

III ـ مرحلة ما بعد هزيمة تاننبورغ وبداية انهيار تنظيم فرسان التيوتون.

رغم النصر المعنوي الذي حققه فرسان التيوتون في سلام ثورن، الواضح أنّ العصر الذّهبي لما كان يطلق عليه بـ"دولة التنظيم" في فضاء حوض البلطيق قد أفل نجمها وولّت إلى غير رجعة، وذلك بالنّظر إلى أنّ كارثة تاننبورغ أطاحت ببنية الهيئة وانهارت قوّتها العسكريّة، حيث لم يلبث الانشقاق أن طفا على السّطح بين أعضاءها على غرار التّمرّد الذي أعلنه الماريشال ميشال كوتشميستر فون شتيرنبورغ "Michael Kuchmeister von Sternberg"(1414ـ1422م) في وجه المقدّم الأوّل بلاون، علاوة على الصراعات والمؤامرات التي بدأت تحاك من الدّاخل والخارج ضدّ رؤوس التّنظيم ساهمت في تقويض أركانه(1).

فضلا عن هذا، فإنّ سلام ثورن فرض عبئا ماليا على فرسان التيوتون بعد مطالب بولندا التعويضيّة* التي ترتّبت عنها أزمة مالية خانقة لن يتعافى منها بتاتا، فقد اضطرّ بلاون في السّنة التي أعقبت المعركة إلى فرض ضرائب باهضة ومجحفة جدا على الأهالي ليتمكّن من دفع ما عليه من تعويضات ولتحرير أسراه، وتظهر السّجلات الضريبيّة لسنة 1412م، أنّ عدّة تجمّعات بروسيّة كانت في الأصل متأخرة عن دفع الضرائب بثلاث سنوات؛ وكان من الطّبيعي في ظّل ما آلت إليه الأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة وكذا السياسيّة أن تزايد سخط واستياء البروسيين ضدّ حكم التّنظيم زاد من اتّساع الفجوة بينه وبين رعاياه البروسيين أو حتى الألمان الذين وطّنهم هناك، رغم هذا فإنّ مطالبهم لم تتعدى الجوانب الاقتصاديّة(2).

وإذ أنّه من الخطأ اعتبار هزيمة تاننبورغ والهزائم التي تلتها السّبب الرئيسي والمباشر في انهيار التنظيم الألماني، كونها كانت نتيجة حتميّة لما آلت إليه البنية الدّاخليّة للفرسان التيوتون منذ أواخر القرن

---

(1) انظر: Urban, The last years, PP.138-140, 145.

(2) حول تردّي الوضع الاقتصادي للتنظيم ارجع إلى: محمد السيد صديق رشوان، المرجع السابق، ص ص 207-212، انظر أيضا: Urban, The last years, P.143.

*: على سبيل التعويض لبولندا، كان تنظيم الفرسان التيوتون مطالبا بدفع مبلغ خيالي، وقد قدّره كريستيانس بحوالي ثمانمائة وخمسون ألف(850.000) جنيه استرليني لجاجيلو وهي عشرة أضعاف متوسّط الدّخل السنوي لانجلترا أنذاك، أي ما توازي حسب وليام أوربان عشرون ألف(20.000) كلغ من الفضة تسدّد على أربعة أقساط سنويا. ارجع إلى: Christiansen, Op.Cit., PP.220 , 84-85 ; Urban, The last years , P.134.

الرّابع عشر الميلادي والتي أخذت منحى تصاعديا وخطيرا مع مطلع القرن الخامس العاشر الميلادي، ويعزى السبب الأساسي في الأصل إلى انسلاخ الفرسان التيوتون عن جملة المبادئ والقوانين الدينيّة والأخلاقيّة التي تأسّى بها تنظيمهم وانغماسهم في ملذّات الحياة حيث بلغت مرحلة من الفساد والتّجاوزات الأخلاقيّة لم تبلغها أيّة منظمة دينيّة، وبات نمط حياتهم الرهبانية مشينا بعدما انتهكوا عهد الطّاعة الذي أدى إلى إضعاف روح الجماعة، وكان هذا دون شكّ أحدّ أهمّ العوامل التي تسببت في تراجع سمعتهم وانهيار التأييد الأوربي لهم ومن هنا نستنتج أنّ تداعي التّنظيم كان بالدّرجة الأولى وليد عوامل داخليّة [1].

ومهما يكن من أمر هذه العوامل كلّها، فإنّ هذا الوضع الكارثي الذي كان التنظيم يتخبّط فيه بعد وقعة تاننبورغ الكبرى عقّد موقفه أمام خصومه الإقليميين الذين مارسوا ضغوطات متواصلة عليه وتنامت التهديدات الخارجية أكثر فأكثر خاصّة من لدن بولندا وليتوانيا، ولم تضع الحرب بين الأطراف أوزارها بعد انهيار الفرسان التيوتون في هزيمتي تاننبورغ وكرونوفو، ذلك أنّ سلام ثورن لم يحل المسائل الحدوديّة التي كانت لا تزال عالقة بينهم وبين التّحالف إذ استمر النّزاع الإقليمي على أشدّه وسرعان ما تجددت الحرب.

في سنة 1413م بدأت بوادر حرب جديدة تلوح في الأفق، بسبب قضيّة الحدود بين بروسيا وساموجيتيا حينما طالب فيتولد بالضّفة اليمنى من نهر نيمن وبعض الأراضي المجاورة، وجاء قرار الوسطاء في المسألة لصالح ليتواينا ليعمّق الخلاف ويصعّد من حدّة التوتّر، لكنّ ما فجّر الصّدام العسكري كان رفض المقدّم الجديد كوتشميستر* تنفيذ بنود سلام ثورن وعلى رأسها استكمال دفع التعويضات[2] وتسليم بعض القرى الواقعة غربي بروسيا. وبالنّظر إلى أنّ التّنظيم كان لا يزال يتعافى من محنة تاننبورغ وغير قادر تماما على الدّخول في مواجهة أخرى مع أي طرف، فإنّ تحديّ كوتشميستر الصّريح لبولندا يوحي لا شكّ بأنّ الإمبراطوريّة الجرمانية المقدسة كانت تساند موقفه وتدعمه.

---

(1) فضلا عن أنّ اعتماد التنظيم على المرتزقة بشكل مبالغ فيه أفقده الدّافع الروحي الذي كان سبب تواجده. والحقيقة أنّ الضعف كان بدأ يستشري في أوصاله منذ ولاية المقدّم الأوّل وينريش فون كنيبرود(1351-1382م). لمزيد من التّفاصيل ارجع إلى: Stefan Samerski, Cura animarum Seelsorge im Deutschordensland Preußen, Bohlau Verlag Koln Wien, 2013, P.57, 157.

(2) محمد السيّد صديق رشوان، المرجع السابق، ص 223.

*: في سنة 1414م تمّ عزل المقدّم الأوّل هنري بلاون من طرف الماريشال ميشال كوتشميستر.

بالعودة إلى مجريات هذه الحرب، الأكيد أنّ كوتشمستر قد أساء التّقدير كثيرا، ذلك أنّ جيوش التّحالف لم تلبث أن زحفت على بروسيا في موسم الحصاد في جويلية/تموز سنة 1414م وكان التّنظيم أضعف من أن يواجهها، وقد انتهج الطّرفان في هذه الحرب سياسة الأرض المحروقة، فبينما نهبت قوّات فيتولد وجوجيلا القرى وأحرقت المحاصيل لتأزيم وضع بروسيا الاقتصادي أكثر، فإنّ كوتشميستر أمر فرسانه بانتهاج ذات السبيل على أمل حرمان العدو من الطّعام والإمدادات والحيلولة دون حصارهم طويلا، لكن كوتشميستر أساء التقدير مرّة أخرى ولم يكن مدركا تماما لخطورة قراره، إذ سرعان ما انسحبت قوّات التحالف وضربت بروسيا جرّاء تهوّره مجاعة كبرى كما حاق بأهمّ مدنها الطّاعون وسميّت هذه الحرب بحرب الجوع[1].

وفيما كانت الحاجة ملحة للم شمل العالم المسيحي الكاثوليكي، خاصّة وأنّ ذلك تزامن مع أطوار حرب المائة سنة بين فرنسا وبريطانيا، فإنّ البابا جون الثّالث والعشرون"John XXIII"** سعى للتّوصل إلى السلام، وتمّ إيفاد المندوب البابوي وليام لوسان"Willian of Lausanne" الذي نجح في التّوصل إلى هدنة لمدة عامين والتّوقيع على اتّفاقيّة ستراسبورغ"Strasburg"* في أكتوبر/تشرين الأوّل[2].

وقد تزامن عقد اتفاقيّة ستراسبورغ مع التّحضير لانطلاق أشغال مجمع كونستانس "Constance" (1414.1418م) الذي استغله كوتشميستر وجاجيلو بعد انتهاء مدّة الهدنة لبدء حرب دبلوماسيّة، حيث شرع كلّ منهما في تمرير خطابات سياسيّة غرضها تبرئة ذمّتهما والظهور في صورة المعتدى عليه؛ ورغم حالة الاستنكار الشديدة التي سادت أروقة المجمع من توجّه التّنظيم وسياسته العدائيّة إلاّ أنّه وباختتام

---

(1) انظر: Urban, The last years, PP.154-157.

(2) انظر: Ibid., P.157.

**: (1410.1415م) اسمه الحقيقي بلثازار كوزا من بولونا"Balthasar Cossa of Pologna"، كان من بين باباوات أفينيون خلال الانقسام الكنسي الغربي، خلف البابا ألكسندر الخامس"Alexander V" وتمّ ترشيمه حبرا أعظم في 25 ماي/ أيار 1410م، والاعتراف به من طرف فرنسا، إنجلترا، بوهيميا، البرتغال، وأجزاء من الإمبراطورية الرومانية المقدّسة. تمّ عزل جون الثالث والعشرون في أعقاب مجمع كونستانس سنة 1415م ومحاكمته بتهمة الهرطقة الانشقاق والفجور وخلفه على كرسي البابوية مارتين الخامس"Martin V" بعد إنهاء الانقسام سنة 1417م. ارجع إلى: Kelly, Op.Cit., PP.237-240 ; Rollo-Koster, Op.Cit.

**: هي مدينة برودنيكا"Brodnica" اليوم، سمّيت المعاهد نسبة لمدينة ستراسبورغ التي احتضنت المفاوضات.

أعمال المجمع فإنّه لم يصدر أيّ بيان رسمي يندد فيه بذلك[1].

يبدو أنّ قرارات مجمع كوستانس كانت بشكل غير مباشر انتصارا للتّحالف البولندي ـ الليتواني بعد إصدار قرار يجعل من أراضي ساموجيتيا أسقفيّة وتعيين ماثياس أوف تاراكاي"Matthias of Trakai" على رأسها، وهو لا شكّ بمثابة انتصار سياسي كبير لليتوانيا واعتراف ضمني بجهود جاجيلو وفيتوتاس في تنصير المقاطعة[2].

رغم هذا، فإنّ إخفاق بولندا في افتكاك إدانة صريحة وتنديد رسمي بسياسة التّنظيم في مجمع كوستانس، وتعثّر مفاوضات التّسوية التي قادها المندوب البابوي بارثولوميو كاربي" Bartholomew Carpi"*، علاوة على وقوف الإمبراطور سيجسموند إلى جانب فرسان التيوتون حينما أعلن شرعيّة قرارات ثورن فيما تعلّق باستردادهم لأسقفيّة ساموجيتيا بعد وفاة فيتولد، كلّ هذه العوامل دفعت بجوجيلا لاستئناف هجماته على الأراضي البروسيّة في صيف سنة 1422م ووضعها تحت حصار مطبق مستغلا انشغال التّنظيم بحروب الإمبراطوريّة الجرمانية ضدّ الهراطقة الهسيين"The Hussite"* المدعومين من طرف فيتولد[3].

وبالنّظر إلى حالة الضعف والتّراجع التي حاقت بالتّنظيم مقابل تفوّق واضح للخصوم، فإنّ سياسة المقدّم الأوّل الجديد بول فون رسدروف"Paul von Rusdrof"(1422.1441م) اتّسمت بالحذر

---

(1) محمّد السيد صديق رشوان، المرجع السابق، ص 224؛ لمزيد من التّفاصيل ارجع إلى: Urban, The last years, PP.168-172.
الواقع أنّ السّلطة الرّوحيّة كانت بالفعل متذمّرة من تنظيم الفرسان التيوتون قبل هذا الوقت بفعل سياسة التّقارب التي انتهجها هذا الأخير مع السّلطات العلمانيّة على حسابها، فضلا عن الشكاوي المتكررة ضدّ التّنظيم وممارسات أعضاءه أبرزها القضية التي رفعها جوناس أوف والنرود"Johannes of Wallenrode" رئيس أساقفة ريغا ضدّ الفرع الليفوني في مطلع القرن الخامس عشر الميلادي. .ارجع إلى: Urban, The last years, P.160.

(2) حول قرار مجمع كونستانس بشأن ساموجيتيا ارجع إلى: Zugmantas Kiaupa and Others, The history of Lithuania befor 1795, Trans By Irena Zujiné and others, Lithuanian institute of history, Vilinius, 2000, PP.143-144.

(3) انظر: Zigmantas, Op.Cit., P.144 ; Christiansen, Op.Cit., P. 233.

*: رئيس أساقفة ميلان، شرع في سنة 1419م في جولة مفاوضات جديدة بين الخصوم للتّوصل إلى سلام.

**: هم أتباع حنا هس، أثار إعدامه غضبا عارما في مملكة بوهيميا، إذ حوصرت أسقفية براغ واضطر رئيس الأساقفة للفرار ما دفع بالإمبراطور سيجسموند إلى تجهيز حملات عسكرية بمباركة البابوية عرفت في التاريخ بالحروب الصليبية الهسية وقد واجه أتباع هس ثلاث حملات 1420م، 1425، 1427.

والميل إلى المهادنة، ولهذا فإنّ الحرب لم تدم طويلا بعد موافقة فرسان التيوتون على مطالب بولندا وليتوانيا؛ ولم يلبث الطّرفان أن وقعا في 27 سبتمبر/أيلول على اتّفاقيّة سلام بحيرة ميلنو"Melno"* قرب موقع تاننبورغ التي أنهت الصّراع بين ليتوانيا والتّنظيم، وهذا بعد اعتراف الفرسان وبشكل نهائي بتبعيّة ساموجيتيا إلى ليتوانيا وتنازلهم عن شريط ساحلي يضمن للدّوقيّة ولوج بحر البلطيق وهو ما يتيح للدوقية تركيز أنظارها على جيرانها الرّوس، أمّا بولندا فقد سمحت لها المعاهدة بتحصين بعض القرى الحدوديّة المجاورة[2].

حقيقة أنّ بنود معاهدة بحيرة ميلنو كانت أخطر على تنظيم فرسان التيوتون من معاهدة ثورن، وشكّلت نصرا للتّحالف البولندي ـ الليتواني وأوقفت فعليا الحرب بين الدّوقيّة والتّنظيم، ليس هذا فحسب بل إنّها فكّكت علاقة التّعاون البولندي ـ الليتواني ضدّ الفرسان التيوتون التي أقرّها اتّفاق كريفو سنة 1386م، وانتهج فون رسدروف عقب هذا سياسة تقارب واضحة تجاه فيتولد، غير أنّ هذا لا ينطبق على العلاقات التيوتونيّة ـ البولنديّة التي استمرّت متوتّرة وعدائية[3].

على أيّة حال، فإنّ فرسان التيوتون، وعلى الرّغم من أنّهم نفضوا أيديهم من اتّفاقية ميلنو بإيعاز من الإمبراطور سيجسموند بسبب الدّعم الكبير من بولندا وليتوانيا للهراطقة الهسيين في بوهيميا، إلاّ أنّ التّحالف أحجم عن إبداء أي رد فعل إدراكا منه أنّ القيام باعتداء ضدّ التّنظيم سيترتب عنه عواقب وخيمة بالنّظر إلى أنّ جوجيلا وفيتولد ظهرا بمظهر حلفاء الهراطقة، فيما لمع التّنظيم صورته مؤقتّا واكتسب تعاطف دول غرب أوربا، فضلا عن توثيق صلاته بالإمبراطور سيجسموند ملك بوهيميا وهنجاريا[4].

ولأنّ الظّروف كانت مواتية، فقد استغلّ المقدّم الأوّل بول فون رسدروف الفرصة لإعادة إحكام قبضته على بروسيا، واستهل حملة قمع ضدّ الأهالي الذين كانوا قد اعترضوا على سياسات التّنظيم كما

---

(1) انظر: Zigmantas, Op.Cit., P.144 ; Frost, Op.Cit., P.126 ; Urban, The last years, P.215-218.

(2) انظر: Zigmantas, Op.Cit., P.144 ; Urban, The last years, P. 219.

(3) محمد السيد صديق رشوان، المرجع السّابق، ص ص 226-227.

*: لم تصبح المعاهدة ملزمة قانونا إلاّ في ماي/أيار من السنة الموالية (1423م) بفعل تأخر تبادل التّصديق، ويرجّح أنّ التنظيم ماطل في الأمر بهدف مناقشة بعض المسائل الشائكة التي واجهته داخليا وخارجيا، غير أنّ الضغوطات التي تلقاها من لدن مندوبي المقاطعات وممثلي مجالس البلديات الكبرى داخل بروسيا أجبرته على الجنوح للسلم. ارجع إلى: Klaus Neitmann, Zur Revindikationspolitik des Deutschen Ordens nach Tannenberg: Die Auseinandersetzungzwischen dem Deutschen Orden und Polen-Litauen um die Ratifizierung des Friedensvertragesvom Melno-See 1422/1423, In Jahrbücher für Geschichte Osteuropas, Vol. 31, 1983, PP.51-52.

شرع في القيام بحركة إصلاح داخلية شاملة له بهدف استرجاع هيبته وقوّته، غير أنّ مجهوداته باءت بالفشل لعدّة اعتبارات وكانت نتيجتها عكسيّة تماما[1].

لعلّ من بين أهمّ الأسباب التي أدّت إلى فشل سياسة فون رسدروف هو انشغال التّنظيم بقضية الصّراع على سدّة حكم ليتوانيا في أعقاب وفاة الدّوق الأكبر فيتولد في سنة 1430م فقد أدى تدخّل الفرع الليفوني وإسناده للدّوق المخلوع سفيتريغايلا"Svitrigaila"(1430-1432م)* ضدّ العدّو اللدود للألمان، سيجسموند كوريبوت"Korybut Sigismund" شقيق فيتولد المدعّم من لدن الملك جاجيلو إلى توتّر العلاقات مجددا بين فرسان التيوتون وبولندا وقد بلغت ذروتها بحلول سنة 1435م[2].

وفي سبتمبر/ أيلول سنة 1435م، اشتعلت الحرب بين الطّرفين حينما انضمّ الفرع الليفوني إلى جيوش سفيتريغايلا ضدّ القوّات الليتوانيّة البولندية**، ومرّة أخرى، تلقّى الفرسان التيوتون هزيمة منكرة في معركة فيلكوميرز"Wilkomierz" قتل فيها معظم قادة الفرع الليفوني وعلى رأسهم رئيس الفرع فرانك فون كورسدورف"Frank von Kersdorf"(1433-1435م) وانتهت بالتّوقيع على معاهدة برزسك "Brzese" في مطلع ديسمبر/كانون الأوّل[3].

كان من أهم نتائج معركة فيلكوميرز "إنقاذ ليتوانيا من الوقوع في قبضة فرسان التيوتون"، وذلك في ظلّ حصولهم على وعد من سفيتريغايلا باقتطاع بعض الأرضي الليتوانيّة ومنحها له على غرار ساموجيتيا، كما نصّت المعاهدة على وجوب تعهّد التّنظيم بالتّخلي عن سياسته العدائية ضدّ مملكة بولندا وعدم التّدخل في سياسة ليتوانيا الدّاخلية، بالإضافة إلى عدم إقحام الإمبراطوريّة الجرمانية المقدسة في شؤون

---

(1) محمد السيد صديق رشوان، المرجع السّابق، ص 227.

(2) انظر: Oscar Halecki, Borderlands of western civilization A history of East Central Europe, Ed. By Andrew L. Simon, 2nd, Library of Congress, 1980, PP.148-149; Frost, Op.Cit., P.137.

(3) انظر: Christiansen, Op.Cit., P.240 ; Frost, Op.Cit., PP.173-174.

*: شقيق الملك البولندي جاجيلو، حاول الاستئثار بحكم ليتوانيا بعيدا عن إملاءات بولندا. كان سفيترغايلا من ألد أعداء التّحالف البولندي الليتواني وعمل على كسره بعقد تحالف مع فرانك فون كورسدورف"Frank von Kersdorf"(1433-1435م) رئيس الفرع الليفوني لدعمه في الاستيلاء على الأراضي الليتوانية. ارجع إلى: Christiansen, Op.Cit., P.240 ; Frost, Op.Cit., PP.173-174.

**: كان التّحالف البولندي الليتواني قد انهار بحلول هذا الوقت أي بعد وفاة الملك جاجيلو فلاديسلاف في سنة 1434م.

الفرسان التيوتون وعلاقتهم بالبلدين وهو الأمر الذي كان ينذر بعواقب وخيمة على مستقبل التنظيم التيوتوني في المنطقة(1).

من ناحية أخرى، لم تكن الضغوطات الخارجية هي التي هدّدت وجود التنظيم بقدر ما كان التهديد الأعظم يكمن داخل بروسيا*، ذلك أنّ أصحاب الأرض سرعان ما انتهزوا فرصة تراجع التّنظيم وضعفه وهدّدوه بإعلان ولاءهم لملك بولندا إذ لم يعدّل عن سياسته تجاههم، وقد جاء ذلك بعدما بلغت مرحلة التّذمر منتهاها، خاصّة في ظلّ الظرائب الباهضة التي فرضها بول فون روسدروف عليهم لمواجهة الأعباء المالية نتيجة حروب التنظيم، علاوة على احتكار العنصر الألماني للسلطة وإقصاء البروسيين من المشاركة في حكم بلادهم(2).

1 . حرب الثلاث عشرة سنة (1454–1466م).

الواضح بناء على ما تقدم، أنّ عجلة المقاومة البروسيّة بدأت تتخذ شكلا مباشرا خلال هذه الفترة، ولئن اتّسمت جهود البروسيين بالسلمية في تغيير سياسة التّنظيم، إلاّ أنّ هذا الأخير تمادى جدا في طغيانه وعمد إلى استعمال القّوة المفرطة تجاههم، ما دفعهم إلى اتّخاذ شكل آخر من أشكال المقاومة وهو تأسيس العصبة البروسيّة"Prussian League"** في سنة 1440م بزعامة دانزيغ، ثورن وكولم التي سعت إلى الحدّ من استئثار الفرسان التوتون بحكم بروسيا ورفع القيود عن الحريات المدنيّة وتحقيق المساواة الاجتماعية والاقتصادية مع العناصر الأخرى(3).

نجحت العصبة البروسية في غضون أشهر قليلة من تأسيسها في حشد الدّعم اللازم داخل بروسيا وأضحت الخطوة المقبلة تتمثّل في طرح قضيتهم أمام القوى الخارجية الأوربيّة، بيد أنّ فشل مساعيهم في

---

(1) محمد السيد صديق رشوان، المرجع السّابق، ص 229. انظر أيضا: Halecki, Op.Cit., P.150.

(2) انظر: Urban, The last years, P. 261.

(3) انظر: Striegler, Op.Cit.,P.59 ; Edgar N. Johnson, The German crusade on the Baltic, In A history of the crusade , Ed. By Kenneth M. Setton, Vol.3, The university of Wisconsin press, 1975, P.583.

*: كانت الأوضاع بين العناصر الوافدة الوستفالية وأهالي منطقة الراين متوترة جدّا وسرعان ما تفجر الخلاف على عهد بول فون روسدروف في سنة 1438–1439م. ارجع إلى: Samerski, Op.Cit., PP.55-56 .

**: تأسست بموجب اجتماع في إلينغ 14 مارس/آذار سنة 1440م حظره حوالي 53 من النبلاء يمثّلون 18 مدينة وبلدة من بروسيا الغربيّة. ارجع إلى: Johnson, Op.Cit.,P.583.

استمالة البابوية ووعيد إمبراطور ألمانيا فريديرك الثّالث"Frederick III" بحلّ الرابطة بعد هجمة الدّعاية التي خاضها فرسان التيوتون وضع البروسيّون أمام خيارين حاسمين، أوّلهما إعلان الحرب ضدّ التّنظيم، وثانيهما الاستعانة بمملكة بولندا خصم الفرسان العتيد(1).

في النهاية استقرّ قرار العصبة على إشعال فتيل الحرب الأهلية كأوّل خطوة، ثمّ اللجوء إلى متوّج بولندا الجديد، الملك كازيمير الرابع"Casimier IV"(1447ـ1492م)*، مستغلين بذلك الانقسامات الكبرى داخل التنظيم، وبالفعل فإنّ شرارة الحرب انطلقت مع أواخر سنة 1453م، وشرع البروسيون في الاستيلاء على قلاع التّنظيم الحيوية ومدنها بسهولة على غرار دانزيغ، إلبينغ وثورن(2)، كما أوفدت الرابطة البروسيّة ممثّلين عنها إلى العاصمة البولندية في مطلع 1454م بزعامة هانس فون بايزن" Hanse von Baysen" لإقناع الملك بالوقوف إلى جانب البروسيين في حرب الاستقلال مقابل ولاءهم له(3).

ولأنّ الملك كازيمير كان يتحيّن الفرص للانقضاض على أعداءه لعدّة أسباب، أهمّها استرجاع إقليم بوميرانيا والأقاليم البولندية التي استولى عليها الفرسان التيوتون، فضلا عن تسيّد حكم بولندا، فإنّ كازيمير لم يلبث أن أعلن الحرب على التّنظيم في فبراير/شباط سنة 1454م، وفي مارس/ آذار أعلن بروسيا مقاطعة تابعة للتّاج البولندي(4).

في نفس السنة، بلغ كازيمير أراضي دولة فرسان التيوتون وشرع في الاستيلاء على مدنها، أوّل محطّة هامة استهدفتها الجيوش البولندية كانت سوانزي الاستراتيجيّة في بوميراليا التي شكلت حلقة الوصل بين

---

(1) محمد السيّد صديق رشوان، المرجع السابق ، ص 232.

(2) انظر: Urban, The last years, P. 272.

(3) انظر: Gdansk and East Prussia, Polish commission of work preparation of the conference of peace, Paris, 1919, P.14.

(4) محمد السيّد صديق رشوان، المرجع السابق، ص 233.

*: الابن الثّاني للملك فلاديسلاف جاجيلو من زوجته الرابعة، تولى شقيقه الأكبر فلاديسلاف الثّالث سدّة العرش بعد وفاة والده في سنة 1434م، في سنة 1440م عيّن كازيمير حاكما على فلنيوس، إلاّ أنّ الليتوانيون تمرّدوا على حكم شقيقه وأعلنوه دوقا أكبر وتمّ قطع العلاقات مع بولندا، لكن وفاة الملك فلاديسلاف الثالث في معركة فيرنا"Verna" 1444م وضعت شقيقه على عرش مملكة بولندا، ورغم عودة العلاقات بين بولندا وليتوانيا إلاّ أنّ هذه الأخيرة حافظت على استقلاليتها. ارجع إلى: Lerski, Op.Cit., PP.250-251.

أراضي"Ordenstaat" وألمانيا، وحدث ما لم يكن متوقعا، حيث تلقّت قوّات الملك هزيمة منكرة على يد قوّات الفرسان. ومن الجلي أنّ كازيمير أساء تقدير قوّة التّنظيم الذي كان لا يزال ـ رغم تخبّطه في مشاكل داخلية عويصة ـ صامدا ومدعّما من طرف بعض العناصر البروسية التي عارضت بشدّة دمج بروسيا في بولندا[1].

من جهة أخرى، فقد وجد كازيمير نفسه عقب هذه الهزيمة في أزمة مالية خانقة نتيجة استنجاده بالمرتزقة مما فرض عليه رفع الأعباء الضرائبية على البولنديين؛ وممّا لا شكّ فيه أنّ هذه الأوضاع قد أطالت أمد المواجهة المتقطّعة بين فرسان التيوتون من جهة والثّوار البروسيين وبولندا من جهة أخرى، واللافت للانتباه هو تولي مدينة دانزيغ العبء الأكبر مقارنة ببقيّة المدن، وتكريس كل طاقاتها البشرية والمادية خدمة للتّاج البولندي[2]، مما يوحي بأنّ المدينة حافظت على انتمائها وولائها لبولندا رغم بقائها تحت سلطة التّنظيم قرابة القرن ونصف.

وفي سنة جوان/ حزيران سنة 1457م حلّت بالتّنظيم كارثة كبرى وتعرض المقدّم الأوّل لويس فون إيرلكسهاوزن"Ludwig von Erlichshausen"(1449-1467م) لخيانة عظمى من طرف المرتزقة الذين باعوها لتجّار مدينة دانزيغ مقابل مائة وتسعون ألف دوكيّة بعد عجز التنظيم عن تسديد مستحقاتهم العالقة بسبب الأزمة المالية، كان هذا بمثابة نقطة تحوّل أولى في سير أحداث الصراع حيث شحذ هذا الانتصار همم الجيوش البولندية لمواصلة الضّغط على الفرسان التيوتون الذين لم يحققوا منذئذ وعلى مدى عقد تقريبا نصرا يذكر[3]، إلاّ أنّهم حافظوا على شيء من ثباتهم وعزيمتهم بدليل أنّ معظم المدن التي سقطت في يد القوات المتحالفة البروسية ـ البولندية جاءت بفعل الخيانة.

نقطة التّحول الثانية التي شكّلت منعرجا حاسما في الصّراع، تمثّلت في هزيمة معركة بوك"Puck" على الأراضي البوميرانيّة في سبتمبر/ أيلول سنة 1463م، فعلاوة على الهزيمة القاسية التي تلقاها التّنظيم، تمكّن الثّوار البروسيون بمساعدة كازيمير مجدّدا من شراء ذمة قائد المرتزقة في صفوف فرسان التيوتون مقابل

(1) محمد السيّد صديق رشوان، المرجع السابق، ص ص 234-235..

(2) انظر: Gdansk and East Prussia, Op.Cit., PP.14-15.

(3) انظر: Striegler, Op.Cit.,P.59; Urban, The last years, P. 274.

مبلغ طائل، وتوالت انتصارات الثّوار، ففي خريف السنة الموالية دمّرت بحرية الثّوار أسطول التّنظيم كليّا[1].

ومما لا شكّ فيه أنّ عام 1466م كان حاسما في تاريخ هيئة فرسان التيوتون وفيه تحدّد مصيرها في منطقة حوض البلطيق، حيث نجحت القوّات البولنديّة في تطهير ربوع بوميراليا من قوّات التّنظيم، وبهذا فإنّ زوال نفوذه وسقوطه بات أمرا محتوما ومسالة وقت فقط في ظلّ الهزائم والانتكاسات المتتالية، ولم يجد المقدّم الأوّل بدّا من الاستسلام بعدما أُنهك التّنظيم واستنفذت كلّ طاقاته وحلوله، خاصّة في ظلّ غياب دعم الأمراء الألمان والإمبراطور فريدريك الثّالث الذي بقي بعيدا عن مجريات الأحداث[2].

2 . سلام ثورن الثّاني (1466م) ونتائجه.

في خضمّ هذه الظّروف، شرع المندوب البابوي رودلف رودشايم"Rudolf of Rudescheim" (1402.1482م) بإيعاز من البابا بول الثّاني"Paul II"(1464.1471م) في الترتيب لعقد الصّلح بين تنظيم فرسان اليتوتون وبولندا وحسم مسألة الصّراع الذي امتدّ لعقود؛ وفي 19 أكتوبر/ تشرين الأوّل 1466م تمّ عقد سلام في مدينة ثورن سمي بسلام ثورن الثاني[3].

لقد نصّ صلح ثورن على إعادة التّنظيم مقاطعة بوميراليا بما في ذلك مدينة دانزيغ الاستراتيجيّة إلى بولندا والتّنازل عن كلّ أراضي غربي بروسيا* مع الحفاظ على شرقها وقاعدتها كونجيسبورغ، زيادة على إعلان وارميا مقاطعة مستقلة، وتكمن أهميّة هذه المنطقة في كونها تقع في وسط بروسيا وتمثّل حدّا فاصلا بين غربي بروسيا وشرقها وقاعدة انطلاق التّنظيم صوب مختلف جهات بروسيا[4]. كما تضمّنت المعاهدة تجريد الفرسان التيوتون من معظم قلاعهم وعلى رأسها مارينبورغ، إلبينغ، وكريستبورغ [5].

---

(1) انظر: Urban, The last years, P.276.

(2) محمد السيّد صديق رشوان، المرجع السابق، ص237.

(3) انظر: Urban, The last years, P. 276; Johnson, Op.Cit.,P.583.

(4) محمد السيّد صديق رشوان، المرجع السابق، ص237.

(5) لمزيد من التّفاصيل حول تقسيم الأراضي البروسيّة ارجع إلى: Johnson, Op.Cit.,P.583-584.

*: عرف الجزء الخاضع للسيادة البولندية فيما بعد ببروسيا الملكية"Royal Pruusia" فيما عرفت بروسيا الشّرقيّة بدوقيّة بروسيا التي تمّ "علمنة" أركانها بعد سنة 1525م على عهد آخر مقدّم ألبرت فون براندنبورغ أنسباخ. شكّلت بروسيا الشرقية النواة التي تم من خلالها إعادة بعث إمارة قوية أرعبت أوربا في القرن ال18م على عهد فريدريك العظيم Frederick(1740-1786م). أمّا الفرع الليفوني فلم يتأثر كثيرا بهذه الأحداث بيد أنّه لم يستطع الصمود أمام هجمات الدوق موسكو إيفان الرابع"Ivan IV" وحلّ الفرع في 1561م. ارجع إلى: Striegler, Op.Cit.,PP.59-60.

ولعلّ من بين أهمّ الشّروط التي فرضتها معاهدة ثورن الثّانية على المقدّم الأوّل لويس فون إيرلكسهاوزن هو قطع أية رابطة للتّنظيم بالإمبراطورية الرومانية المقدّسة، وبهذا فإنّ الفرسان التيوتون أصبحوا يدينون بالولاء للتّاج البولندي وحده وأصبحت بروسيا الشّرقية إقطاعا خاضعا اسميا لملك بولندا كازيمير الرّابع[1].

نستنتج بناء على ما سبق، أنّ صلح ثورن الثّاني أحدث تغييرا كبيرا في ميزان القوى لصالح بولندا التي برزت كأقوى دولة كاثوليكية وتعاظم نفوذها في منطقة حوض البلطيق، كما أعاد سلام ثورن رسم خريطة أوربا الوسطى وأنهى بذلك الوجود الفعلي لتنظيم الفرسان التيوتون بعد قرنين ونيّف تمكّنوا فيه من تسيّد المشهد العسكري والسياسي.

(1) انظر: Urban, The last years, P. 276.

EASTERN EUROPE AFTER THE SECOND TREATY OF THORN, c.1466
0
200 miles
0
200 km
N
BALTIC SEA
TEUTONIC STATE (LIVONIA)
Riga
RUSSIA
Toropiec
Moscow
Potock
Dzwina
Vyazma
Kaluga
Oka
Smolensk
Vorolynsk
Vilnius
DUCAL PRUSSIA
Danzig (Gdansk)
Bryansk
Tula
Starodub
Orel
THE GREAT HORDE
MAZOVIA
Vistula
Warta
Warsaw
GRAND DUCHY OF LITHUANIA
Prypet
Novogrod Sieversk
Kursk
Oder
Desna
KINGDOM OF POLAND
KINGDOM OF BOHEMIA
SILESIA
Prague
Kiev
1399
Kaniow
Worksla
Dnieper
Krakow
Lwów
Brno
MORAVIA
Dniester
Braclaw
Budapest
KINGDOM OF HUNGARY
MOLDAVIA
Oczaków
Jassy
TRANSYLVANIA
KHANATE OF THE CRIMEA
Bakhchisaroi
CROATIA
Belgrade
WALLACHIA
BLACK SEA
ADRIATIC SEA
Danube

الفصل الرّابع

الفصل الرابع.

I- الأثر الحضاري لهيئة فرسان اليتوتون في منطقة حوض البلطيق.

1- تنصير إقليمي بروسيا وليفونيا وبروز دولة ثيوقراطية-عسكرية.

2- من القبليّة المتبربرة إلى معالم المدنيّة.

3- جرمنة أقاليم ما وراء نهر الأودر.

I. الأثر الحضاري لهيئة فرسان التيوتون في منطقة حوض البلطيق.

لا شكّ في أنّ مهمّة التّنظيمات الرّهبانيّة العسكريّة في حوض البلطيق وعلى رأسها هيئة الفرسان التيوتون اقترنت منذ بدايتها بكونها حربا صليبيّة استهدفت في المقام الأوّل تنصير الشعوب الوثنيّة في المنطقة بحدّ السيف، غير أنّ هذا لم يكن سوى الهدف المعلن من مأموريّة متعدّدة الجوانب على حد تعبير المؤرّخ جريجوري لايتون"Gregory Leighton"[1]، ذلك أنّ الحركة الصّليبيّة قد رافقتها عمليّة تحوير وتحويل كبرى لتلك الأمم شملت مختلف الميادين وخلّفت وراءها إرثا حضاريا هائلا كان نتيجة تفاعلات عميقة بين المسيحيّة والوثنية والحضارة والبربريّة وبين العالمين الجرماني من جهة والبلطي السلافي من جهة أخرى. ويفهم من هذا، بأنّ مطلع القرن الثّالث عشر الميلادي كان بالنّسبة لشعوب حوض البلطيق الوثنيّة خاصّة، حقبة تحولات حضارية جرت تحت طائلة الحركة الصّليبيّة، مسّت الجوانب الاقتصاديّة الاجتماعيّة والسياسيّة[2].

الواقع إنّ أولى ملامح هذه التّحوّلات ظهرت مع ميلاد حركة التّوسع الألمانيّة صوب شرق أوربا، وأنّ عمليّة التّحوّل الفعليّ قد تمّ توطيد أركانها عقب مباشرة فرسان التيوتون مهمتهم في تلك الرّبوع منذ ثلاثينّيات القرن الثالث عشر الميلادي والتي أشّرت جليا على أنّها امتداد لمشروع ألماني يبحث عن مجال حيوي يرضي طموحاتهم التّوسّعيّة الجامحة[3].

ومن الواضح أنّ الحرب الدّينيّة الشّعواء التي شنّها التّنظيم قد ألقت بظلالها على نمط حياة شعوب البلطيق تاركة فيها بصمة واضحة لا تزال آثارها ماثلة حتّى يومنا هذا في شمالي أوربا برمّتها، حيث جعلت

---

(1) انظر: Gregory Leighton, Did the Teutonic order creat a sacred landscape in thirteenth century Prussia?, In **J. M. H**. , Vol.44, Iss. 4, 2018, P.465.

(2) انظر: Alex Brown and Aleks Pluskowski, The impact of the Teutonic order on the landscape of the Eastern Baltic preliminary results of investigations on mire and lake sendiments in Latvia, In Bog and lake research in Latvia, G. E . By Maris Klavins and Laimdota Kalnina, University of Latvia, 2013,P.63.

(3) انظر: John France, The Crusades and the expansion of the Catholic Christendom 1000-1714, Rutledge, 1st Pub., 2005, P.168. على

على الرغم من أنّ الوجود الألماني في الشّرق الأوربي قبل فترة الحملات الصليبية كان نتيجة هجرة سلمية إلى حدّ ما.

المسيحيّة فضلا عن كونها عقيدة، ظاهرة حضاريّة كونها جرّت شعوب المنطقة إلى رحاب الثّقافة الأوربيّة، وفي هذا الصّدد يقرّ الباحث البولندي موسياكا"Musiaka" بالفضل الكبير لتنظيم فرسان التيوتون فيما ورثته أوربا المعاصرة من مواريث حضارية تعود إلى هذه الفترة(1).

وبناء على ما تقدم، وفي ظلّ هذه الخلفيّة التّاريخيّة، فإنّ الإشكاليّة المطروحة في هذا الشّق من البحث تتمحور حول الأثر الحضاري الذي ساهمت بيه هذه الهيئة في بناء وتشكيل أوربا الحديثة والمعاصرة، أو بالأحرى حول إسهامها في نقل وترسيخ جملة مفاهيم وتقاليد غربي أوربا وألمانيا خاصّة في عمق مجتمعات ما وراء نهر الأودر، ويبقى السّؤال مطروحا أيضا حول أبرز سمات هذا التأثير، ومدى استعداد هذه المجتمعات على لقبولها بهدف بناء ذاكرة تاريخيّة مشتركة؟.

1. تنصير إقليمي بروسيا وليفونيا وبروز دولة ثيوقراطيّة ـ عسكريّة.

الواقع أنّ تنظيم فرسان التيوتون لم يحمل معه في مهمته إلى البلطيق قيما والتزامات دينية فقط، بل اقترن حضوره في المنطقة بشكل وثيق بحركة استيطانية كبرى، غير أنّ هذا المشروع معقّد المعالم أفرز في النّهاية عن تركة سياسية وثقافيّة ثقيلة وعميقة على المديين القريب والبعيد؛ وعليه يجوز القول، بأنّ وراء تلك الصّبغة المسيحية للهيئة نوايا لتغييرات جذرية هامة اعتبرتها التزامات إستراتيجية لا بدّ من تحقيقها.

ويبدو أنّ مساعي التّنظيم لإحاطة مهمتّه بهالة من القدسيّة بغية إضفاء الشّرعيّة عليها(2) قد أسهم إلى حدّ بعيد في تحقيقه لمآثر عظيمة بدءً بتطـويـق الفــكر الوثــني ونشر العقيدة الكاثوليكيّة في أوساط

---

(1) انظر: Lukasz Musiaka, The Teutonic order's cultural Heritage in towns of Warmia-Masuria in Poland, In Geografické informacie, Slovakia , N°2 , 2014, P.139.

(2) انظر: Leighton, Op.Cit., P.457-483.

يتناول جريجوري لايتون بالدّراسة قضية بلورة تنظيم الفرسان التيوتون لمفهوم "أراضي مقدّسة بروسيّة" ويشير في معرض حديثه إلى أنّ أوّل عقبة اعترضت الجماعة الألمانية تمثّلت في إضفاء طابع القداسة على مهمّتهم الجديدة؛ ويبدو من خلال الفكرة التي طرحها أنّ مساعي الجماعة الألمانية في هذا الجانب قد أثمرت في ظلّ التّأييد والدعم والتعاطف الذي اكتسبته، ويضيف سامرسكي "Samerski" في هذا الشّأن أنّ مهمة الفرسان التيوتون في بروسيا هي استنساخ لمهمتهم في الأراضي المقدسة حتى أنّ اسمهم اقترن بالمكابيين. عن هذا الموضوع ارجع إلى: Leighton, Op.Cit., P.457-483 ; Samerski, Op.Cit., PP.47-49.

الشعوب البلطيّة. فمنذ بدايات نشاط الفرسان التيوتون في بروسيا، كانت دعوتهم إلى المسيحيّة في أوساط البروسيّين تعتمد على مبدأ القوّة والإكراه. وفي هذا الصّدد، يمكن القول بأنّ الحرب الدّينيّة في البلطيق اعتبرت واحدة من الحالات القليلة في تاريخ الكنيسة باستثناء إسبانيا، والتي تمّ فيها نشر العقيدة بحدّ السيف، على الرّغم من تعارضها مع القيم والمثل التي تدعو إليها كنيسة بطرس.

على أنّ أولى الإرساليّات التّبشيريّة التي وجّهت إلى الأراضي البروسيّة تعود إلى أواخر القرن العاشر الميلادي، وتحديدا في سنة 997م، حينما أرسل الرّاهب البوهيمي أدلبرت أسقف براغ " Adalbert of Prague"* في مهمة تبشيرية إلى هذه الرّبوع(1)، وبعد سنوات قليلة أوفد البابا سلفستر الثّاني"Sylvester II"** إرساليّة أخرى بزعامة المبشّر الألماني برونو من كورفورت" Bruno of Querfurt"***، كما كان لجماعة السيسترسيان أيضا نصيبها في هذه الحركة التّبشيريّة في أقاليم شرقي نهر الفيستولا(2). وأمّا سكان منطقة البلطيق، فكانوا على غرار الشّعوب الوثنيّة، بعبدون قوى الطّبيعة وظواهرها المختلفة ويقدّسون الحيوانات، كما تعدّدت آلهتهم وأبرزها الإله باركوناس"Perkunas"، إله الرّعد والمطر والخصوبة، وديفاس"Dievas" أفضل الدّروع وهو الحامي ضدّ الشّرور(3).

---

(1) انظر: Ian Wood, The missionary life Saints and the evangelization of Europe 400-1050, 1st Pub., G.B., 2001, PP.207-212.

(2) انظر: Baronas, Op.Cit., PP.21-53; Urban, The Baltic crusade, P.34.

(3) انظر: Bojtr, Op.Cit., PP.279-289; Kevin O'Connor, Culture and customs of the Baltic states, 1ST Pub., Greenwood press, PP.39-40;

*: (997.939م) اسمه الحقيقي فويتيش"Vojtìch" ينحدر من عائلة سلافيّة عريقة، تتلمذ على يد أدلبرت" Adalbert" رئيس أساقفة ماغدبورغ"Magdeburg" الذي أخذ اسمه فيما بعد. عيّن كأسقف ثان لبراغ"Prague" في سنة 983م. تزعّم أدلبرت عدّة إرساليات تبشيرية إلى روسيا والمجر، واتّسمت علاقته بدوق بوهيميا بوليسلاس الثّاني"Duke Boleslaus II"(999.920م) بالعداء الشّديد في ظل محاولات أدلبرت المتكررة مطاردة وتنصير وثنيي بوهيميا. استدعاه ملك بولندا من منفاه في المجر وكلّفه بتنصير القبائل البروسيّة لكنّه اغتيل على يد هؤلاء بالقرب من دانزيغ في سنة 997م. لارجع إلى: Ian Wood, Op.Cit., PP. 193-194, 207-212.

*: أو جربرت أوريلاك"Gerbert d'Aurillac" ولد بفرنسا لأسرة فقيرة، تلقى تعليمه الدّيني بمسقط رأسه ثمّ انتقل إلى اسبانيا لإكمال تعليمه فأتقن اللغة العربية والرياضيات ومختلف العلوم عند العرب وأدخلها إلى أروبا. تدرّج في السلك الكنسي ورشّم حبرا أعظم في سنة 999م ليكون بذلك أوّل فرنسي يشغل منصب بابا، توفي في سنة 1003م. لمزيد من التفاصيل ارجع إلى: – William Kitchin, A pope philosopher of tenth century : Sylvester II Gerbert Aurillac, **In C. H. R**., Vol.8, N°1, (1992, PP.42-54.

***: (974–1009م) عرف كذلك باسم رسول البروسيين الثاني، أرسل في سنة 1003م إلى شرقي أوربا في مهمّة تنصير القبائل الوثنية بدء بقبائل البشناق وروسيا ثمّ بروسيا التي بلغها في حوالي سنة 1008م وقد جوبه برونو بمقاومة شديدة من طرف البروسيين وأعدم في السّنة الموالية. ارجع إلى: Wood, Op.Cit., PP.231–233.

الواقع، إنّ المادة العلمّية الخاصة بحركة التّبشير في الأراضي الخاضعة لسلطة فرسان التيوتون في منطقة البلطيق محدودة جدا، وهي في معظمها مستقاة من التّشريعات والوثائق القانونيّة[1]، ومن ذلك يلاحظ أنّ جهود التنظيم لتنصير القبائل البروسيّة والليفونيّة قد قوبلت بتحدّيات كبرى، ودلّ ذلك ما بذله التّنظيم طيلة عقود لترويضها وإحلال العقيدة المسيحيّة محلّ العبادات الوثنيّة، كما أنّ مأموريته العقدّية لم تمض بمثل سلاسة مهمّته العسكريّة، ففيما قيّض لفرسان التيوتون في ظرف قرن ونيّف السّيطرة على أجزاء واسعة من سواحل البلطيق وإنشاء دولتهم الثيوقراطية . العسكريّة، فإنّ مهمّة القضاء على تلك الممارسات الـوثنيّة واجتثاثها كليّا من المجتمع البروسيّ حديث التّنصير خاصّة كان أمرا عصيّا، إذ أنّها حافظت على مكانتها وظلت منتشرة حتّى القرن الخامس عشر الميلادي، مثلما جاء في ذكره للموضوع أسقف مقاطعة سامبيا ميشال جونج"Michael Jung"(1425-1442م) [2]. وربما يعزّى ذلك إلى عدم فهم البروسيّين الصحيح لبعض تعاليم المسيحية على غرار أسرار المعمودية والزّواج المقدّس.

ولا شكّ أنّ مهمّة تنصير بروسيا وتوطيد دعائم المسيحيّة داخل أراضيها كانت تتطلّب إيجاد هيكل إداري كنسي متناغم يضمن تسهيل العمليّة ونجاحها، خاصّة وأنّ ربوع شرق نهر الأودر على عكس بلاد الشام أو شبه الجزيرة الأيبيرية، افتقرت إلى هياكل إكليركيّة تكون بمثابة الأساس لتنظيمات كنسية جديدة[3]. وفي هذا الصّدد، عمد فرسان التيوتون بأمر من البابويّة في منتصف 1243م إلى تأسيس نظام محلي من خلال تقسيم بروسيا إلى أربعة أسقـفيّات* اعتمادا على الشبكة الهيدروغـرافيّة** والتّضاريسـيّة

---

(1) انظر: Andrzej Radziminski, Christianisation the condition and course of the evangelization of the Prussians in the state of the Teutonic order in Prussia, P.6-7.

(2) انظر: Pluskowski, Op.Cit., P.287.

وتعدّ معاهدة كريستبورغ التي أنهت الانتفاضة البروسيّة الأولى سنة 1249م، أول وثيقة تؤكّد ارتداد بعض القبائل عن المسيحية وتشبّثها بالشعائر الوثنيّة على غرار وارميا ناتانجيا وبوميزانيا، كما تعكس بجلاء مساعي الفرسان التيوتون الجادة ومن ورائهم البابويّة إلى تقديم تنازلات هامّة مقابل التّخلي عن جميع معالم ديانة أسلافهم وعاداتها المتعلقة بشعائر الدّفن والزواج وضمان تحولّهم التّام إلى المسيحيّة لمزيد من التّفاصيل ارجع إلى: Urban, The Prussian crusade, P.231-233

(2) انظر: Nicholas Jaspert, The crusades, Trans. By Phyllis G. Jestice, Taylor Francis, 2006, P.129.

في الفترة المبكرة أبرشيات كانت بريمن هامبورغ ولوند القوى المسيطرة في الخلق تنظيمات جديدة.

*: "Episcoptae" أو "Bishopric" هي منطقة خاضعة لسلطة الأسقف.

*: التوزيع الجغرافي للمجاري المائية من أنهار، أودية، مستنقعات وبحيرات.

للمنطقة، وهي أسقفيّة كولمرلاند، بوميسانيا، إمرلاند، سامبيا على رأس كلّ منها أسقف يدير شؤونها[1]. وحرصا من التنظيم على التّعريف بتعاليم الإنجيل وتطبيقها في أوساط المسيحيّين الجدد وإلزامهم بها، فإنّ تشييد منشآت دينيّة تسهر على ذلك كان عاملا ضروريا وحتميا ليرافق عمليّة التّنصير، إنّها الأبرشيّات"Parchia"* التي انتشرت في ربوع الأسقفيات حيث بات دورها بارزا في هذه الحركة التّنصيرية[2].

في ذات السياق يورد راندزيمينسكي"Radziminski" تفاصيل دقيقة حول عدد هذه المؤسّسات ومناطق انتشارها، ويذكر في معرض معالجته لمسألة تنصير بروسيا، أنّه مع مطلع القرن الخامس عشر الميلادي، كانت الأسقفيات الأربع التي تغطّي أراضي فرسان التيوتون تشتمل على حوالي سبعمائة وتسع عشرة أبرشيّة موزّعة على ستمائة وثلاث وأربعين أبرشيّة قرويّة، والبقيّة تقع في المناطق الحضريّة[3].

وبناء على العرض، يتبيّن أنّ شبكة الأبرشيات المحليّة داخل الأسقفيّات أضحت منذ مطلع القرن الرّابع عشر الميلادي أكثر انتشارا وتنظيما، وأنّ معالم التّنظيم الأبرشي أضحت ظاهرة مجسّدة في ربوع بروسيا، وصار من الواضح في ظلّ هذه المعطيات أيضا أنّ تنظيم فرسان التيوتون قد ركّز جهوده على القرى النائية أين انحسرت الجماعات البروسيّة وبقيت احتماليّة الحفاظ على "وثنيّتها النّاعمة" أكبر مقارنة بما هو جار في المدن[4].

---

(1) انظر: Samerski, Op.Cit., P.61; Czaja and Radziminski, Op.Cit., PP.111-124.

(2) انظر: Andrzej Radziminski, The contribution of the Teutonic order to the evangelization of Prussia some remarks based on Synod legislation, In Lithuanian Historical studies, Vol.11, 2006, P.70.

(3) انظر: Radziminski, Christianization, P.6.

(4) انظر: Rafal Kubicki, The schools and studies of the dominicans in the prussian contrata to the begining of the sixteenth century, In medieval studies, Vol.22, 2018, p.118.

*: تعني كلمة أبرشيّة" Parchia" هي وحدات إدارية للكنائس الأسقفية المحلية . ومنذ القرن السادس بدأ استخدام كلمة "Parchia" بمعناها الحديث، وفي القرن السابع صارت كلمة " Diocesis" تعني أبرشية الأسقف. وتغير المفاهيم هذا يشير إلى تغير الحياة الدينية في الأبرشيات، حيث لم يعد الأسقف يمثل سلطة مباشرة على المجتمعات المستقلة. لمزيد من التّفاصيل ارجع إلى: جورج شايلريتر، بنية الكنيسة وتنظيمها، في الدّين والثقافة في العصور الوسطى الباكرة دراسات مختارة من موسوعة كامبريدج الجديدة لتاريخ العصور الوسطى، ترجمة عبد العزيز رمضان، ج.1، جامعة عين شمس، ص 108.

وفي سياق متصل، لا يجب إغفال دور وجهود الجماعات الديرية الأخرى في تأطير هذه العملية على غرار جماعات الدومينيكان"Dominicans"* والفرانسيسكان"Franciscans"**[1] التي لبّت الاحتياجات الرّوحية للمسيحيين ونشطت بين السّكان الأصليين لتلقينهم تعاليم دينهم الجديد وتصحح الانحرافات العالقة به، وقد كان الدومينيكان أوّلى الجماعات الرهبانية الدّاعمة للتنظيم والعاملة في ربوع بروسيا حيث رافقوا عملية الغزو منذ بداياتها[2].

لقد توزعت هذه الجماعات الرهبانية مع انتشار أديرتها بتمويل من مقدّمي التنظيم في أرجاء بروسيا، حيث نشط الدومينيكان في أهمّ المراكز حضارية الثلاث، وهي كولم وإلبلاغ وثورن تضاف إليها دانزيغ[3]، أمّا الفرانسيسكان فإنّهم كّزوا عمليات الوعظ والإرشاد في براونسبورغ"Braunsberg" بارتنشتاين، بالإضافة أيضا إلى ثورن، كولم ودانزيغ [4].

---

(1) سمح التنظيم لهذه الأخيرة بممارسة نشاطها داخل أراضيه، لكنّه رفض منح اعتمادات للبعض الآخر على غرار جماعة البريمونستراتيه "Premonstraitensions" والسيسترسيانية"Cistercians" التي تمّ تعويضها بجماعة الدومينيكان لاحقا نظرا لمطالبهم المادية، لمزيد من التّفاصيل ارجع إلى: Rafal Kubicki,Op.Cit., P.118.

(2) يرجع ذلك إلى تواجدهم المبكر على الأراضي البولندية. وتجدر الإشارة إلى أنّ جماعة الدومينيكان كانت قد استهلت نشاطها في فترة مبكرة سبقت وصول الفرسان التيوتون لمنطقة البلطيق وتحديدا في ريغا. ارجع إلى: John B. Freed, The Friars and the German society in the thirteenth century, The Medieval Academy of America, Cambridge-Massachusetts, 1977, .p.57.

(3) انظر: Kubicki, Op.Cit., P.118.

(4) على الرغم من هذا فإنّ مساعي الدومينيكان لتأطير عملية التبشير لم تشفع لهم، ذلك أنّه سرعان ما ساءت العلاقة بين الطّرفين وانفرط عقد الودّ منذ سنة 1239م وفضّل الفرسان التيوتون منذاك الاعتماد بدرجة أكبر على خدمات جماعة الفرانسيسكان. ارجع إلى: Samerski, Op.Cit., PP.74-79.

*: أطلق عليهم كذلك هيئة الإخوة المتسولون أو هيئة الإخوة الوعّاظ، تأسست في سنة 1217م على يد رجل دين إسباني يدعى دومنيك غوزمان"Dominic Guzman "(1170-1221م) الذي بات يعرف فيما بعد بالقديس دومينيك. وكان عماد هذه الهيئة الفقر والطّاعة المطلقة لباباوات روما. نذر أتباع القديس دومنيك حياتهم للوعظ والإرشاد والتعليم وبرزت جهودهم في محاربة الهرطقة في جنوبي فرنسا ولم تلبث البابوية أن كلفتهم بمهمّة تجنيد وتنظيم الحملات الصليبية دعما لفرسان التيوتون في حوض البلطيق. ارجع إلى: Murray, The crusades, P.362.

**: نسبة إلى أتباع القديس فرانسيس برناردون الأسيزي"Saint Francis Bernardone of Assisi "(1181/1182-1226م)، الذي كان يدعو إلى الزّهد والتّقشّف وإنكار ملذات الدنيا.

في ليفونيا، وبالنّظر إلى أنّ المسيحية كانت قد اكتسحت ربوعها قبل عقود، فإنّ تاريخ إنشاء الأسقفيات يسبق تاريخ بلوغ فرسان التيوتون للمنطقة، بيد أنّ التّنظيم عزّز وجودها واستهل مباشرة عقب ضمّه لرابطة فرسان السيف خطوة إنشاء أسقفيّات جديدة على غرار أسقفيّة دوربات"Dorpat"، أوسيل ويك"Osel-Wiek"، وكورلاند "Kurland"[1].

لكن ورغم الجهود الجبارة التي بذلها تنظيم فرسان التيوتون طيلة قرن تقريبا لتنصير بروسيا وترسيخ المسيحية في ليفونيا، إلاّ أنّ ميشال بورلاي "Michael Burleigh" يشدّد في أطروحته بأنّ النّتائج التي بلغها فرسان التيوتون لم تكن مبهرة إذا ما قورنت بمدّة نشاطه التي قاربت القرنين ونصف[2].

الواقع أنّ التّنظيم نجح في مهمته إلى حدّ بعيد، حيث وفّق أوّلا في احتواء هذا المجال والحيلولة دون سيطرة الرّوس على هذه الأراضي ومن ثمّ الانتصار للكنسية الكاثوليكية ومنع تغلغل العقيدة الأرثوذكسية[3]، ثانيا أنّه تمكن من ترسيخ العقيدة المسيحية أو على الأقل من إخضاع البروسيين وضمّ أراضيهم إلى حظيرة الكنيسة الكاثوليكيّة مع حرصه على مدى تطبيق تعاليم الإنجيل في أوساط المنصّرين الجدد، وإنّ إقرار عكس ذلك، يعدّ تنكّرا صارخا لجهود الفرسان التيوتون في المنطقة، خاصة في ظلّ مقارنتها مع محاولات البولنديين الحثيثة والفاشلة في تنصير هذه القبائل قبل هذا الوقت.

ومن النّاحية السياسية، فإنّ إرساء دعائم إدارة مركزيّة شبه مستقلة كان أبرز إنجاز حضاري حقّقه فرسان التيوتون في المنطقة. وقبله، بني النّظام السياسي للبروسيّين والليفونيين القدامى على أساس قبلي،

---

(1) انظر: Jaspert, Op.Cit., P.129.

(2) انظر: Michel Christopher Bennet Burleigh, Prussian society and the German order An aristocratic corporation in crisis 1410-1466, Doctoral thesis (Pub.), University of London, 1982, P.57.

(3): وقد تناول بار بيسكوف"Per Beskow" بالتّفصيل أثر العقيدتين الأرثوذكسيّة والكاثوليكيّة وتأثير الحضارة البيزنطيّة خاصة على منطقة البلطيق، وللإشارة فإنّ هذه المسألة نوقشت في مؤتمر كيل"Kiel" سنة 1994م، ونشرت أعمال الملتقى في مجلّدين باللغة الألمانيّة تحت عنوان روما وبيزنطة في الشّمال"Rum und Byzanz im Norden". ارجع إلى: Per Beskow, Byzantine infuence in the conversion of the Baltic region, In The cross goes north processes of conversion in northern Europe 300-1300, Ed. By Martin Carver, The university of York, York medieval press, 1st Pub., 2003, PP.561-562

تشكّله قبائل مشتتة على رأس كلّ منها زعيم[1]، لكن هذه القبائل لم تلبث أن تطوّرت فنبذت العشائريّة واجتمعت لتكوّن أمة واحدة خاضعة لقيادة موّحدة ضمن دولة يحكمها التّنظيم الألماني هذا بغض النّظر عن مدى قابلية العناصر البروسيّة لتقبّل واستيعاب هذا الواقع السّياسي الجديد[2]. ويبدو أنّ بروز هذه الكيانات السّياسيّة التي وضع التّنظيم أسسها في هذه الأراضي ومن ثمّة ميلاد الدّويلات الإقطاعية الثلاث، ليفونيا، إستونيا وبروسيا كانت أحد أبرز سمات التّحول التي فرضها الفرسان التيوتون في جنوبي شرق حوض البلطيق وجنوبه.

لا شكّ أنّ فرسان التيوتون قد جسّدوا أطماعهم فيما وراء نهر الأودر، حيث نجح هذا التّنظيم في ممارسة كافّة أشكال سيادته على الأراضي البروسية، فضربوا بها سكّتهم منذ أواخر سنة 1250م بعد أن استتبت لهم الأوضاع نسبيا، وتميّز تصميمها بالبساطة مع حملها شارة الصليب على وجه واحد، ويرجّح أنّها كانت خلال هذه الفترة متداولة في أراضي كولمرلاند فقط[3].

---

(1) انظر: Adem of Bremen , Op.Cit., PP.55, 199 ; Nichaus von Jeroschin, Op.Cit., P.69.

(2) انظر: Jaspert, Op.Cit., P.129-130 ; Nils Blomkvist, Culture clash or compromise? The medieval Europeanization process of the Baltic region (1100-1400 AD) Problems for an international study, A papers of the XI th Visby Symposium at Gotland centre for Baltic studies, 1996, P.13.

(3) انظر: Pluskowski,Op.Cit., P.109-110.

2. من القبلية المتبربرة إلى معالم المدنية.

كان لعمليّة تنصير الأجزاء الجنوبيّة الشّرقيّة من حوض البلطيق على يد الفرسان التيوتون أبعاد حضاريّة عميقة كونها ارتبطت بشكل وثيق في مفهومها الشامل بحركة استعماريّة استيطانيّة؛ وعلى ضوء هذا الواقع، فإنّ اعتناق تلك المناطق للعقيدة المسيحّية ودخولها ضمن فلك العالم الكاثوليكي كان يعني زحف وانتقال التّأثيرات الغربيّة الأوربيّة إلى هذه الدّويلات النّاشئة التي انفتحت على مصراعيها لتلقّف الثّقافات الغربيّة، وتأتي هذه العمليّة في إطار ما يعرف تاريخيا ب"**أوربة منطقة البلطيق**"، ولا شكّ أنّ الفضل الكبير في هذه التّحوّلات يعود لجهود التّنظيم الألمانيّ باعتباره حمل بذور هذه الثّقافات إلى مجتمعات أوربا الوسطى التي تهذّبت طباعها وانتقلت بسلوكاتها إلى مستوى أعلى من الأداء الحضاري.

لقد كان تاريخ تنظيم فرسان التيوتون على السّواحل الجنوبيّة لبحر البلطيق الممتدّ من سنة 1230م إلى سنة 1525م حافلا بالإنجازات والمآثر الماديّة واللامادية لا تزال ماثلة حتّى اليوم في فضائها الجنوبيّ الشّرقيّ والتي تمّ دمجه في منظومة أوربيّة كاثوليكيّة، ومن مظاهرها الأنظمة الزراعيّة الغربيّة، وكذا تقاليد الفروسية التي يزخر بها النّظام الإقطاعي*، فضلا عن المدن ذاتيّة الحكم ونمط العمارة القوطيّة المبهرة[1].

. تعمير الأراضي البروسية.

لا شكّ في أنّ الحركة الاستيطانيّة التي تبنّاها فرسان التيوتون في منطقة البلطيق كانت تشكّل الوجه الآخر للجهود الصّليبيّة للتّنظيم، ويلمس هذا التّوجّه من خلال مساعي هؤلاء الفرسان بغية ربط هذه الكيانات البلطية ـ السلافيّة بأراضي الإمبراطوريّة الرّومانيّة الجرمانية وجعلها امتدادا لها على كافّة الأصعدة، سياسيا، اقتصاديّا، اجتماعيا وثقافيا؛ وكان هذا المشروع يعتمد بالدّرجة الأولى على خلق مناخ ملائم

---

(1) انظر: Blomkvist, Op.Cit., P.9.

*: هو نظام ظهر في ربوع الإمبراطوريّة الكارولنجيّة إبان القرنين التّاسع والعاشر الميلاديّين. أفرزته ظروف سياسيّة واقتصاديّة وأمنيّة. نظّم العلاقات بين الأشخاص على أسس جديدة تقوم على أساس تبعيّة الأفصال"Vassals" للسّادة الكبار الذين أخذوا على عاتقهم مسؤوليّة ضمان الأمن والحماية لهؤلاء الأتباع. لمزيد من التّفاصيل عن النّظام الجديد الذي طبع واقع غرب أروبّا في معظمه بطابعه الخاص، إرجع إلى: Marc Bloch, Feudal society (2 Vol.).

ومتجانس لاستقدام أبناء جلدتهم وغيرهم من الأوربيّين لتعمير مستوطناتهم الجديدة.

إنّ أوّل خطوة ضمن هذا المسعى، اقتضت تأمين قواعدهم العسكريّة التي انطلق منها الفرسان في غزواتهم ضدّ الوثنيّين، حيث شكّلت تلك القواعد العسكريّة والحاميات النّواة الأولى التي قامت عليها جلّ المستوطنات والمدن التّابعة لدولة التّنظيم وازدهرت، كما اعتبرت الأراضي المأهولة بالسّكان الأصليّين والخاضعة للفرسان التيوتون هي الأخرى، دعامة قويّة في تأكيد هذا الجانب. وينبغي القول من جهة أخرى أنّ تطوّر شبكة المدن في بروسيا خصوصا وأوربا الوسطى عموما، يعود كذلك إلى تغيّرات اقتصاديّة واجتماعيّة كان يشهدها الغرب الأوربيّ والتي تركت بصمة واضحة في الجزء الشّمالي الشرقي من القارة.

وتعدّ شبكة المدن المتمركزة عند مصبّات الأنهار وروافدها وعند سواحل حوض البلطيق المشيّدة وفق نمط مدن العصور الوسطى في أوربا، إرثا حضاريا ملحوظا لا تزال معالمه قائمة حتّى اليوم في شمالي بولندا، روسيا وليتوانيا، وقد ترك فرسان التيوتون منذ أولى سنوات تواجدهم على الأراضي البروسيّة بصمتهم على الجانب المعماري خاصّة ما تعلق منه ببناء المدن التي حافظت على طابعها الأصلي ودون تعرّضها لتغيّرات كبرى إلى غاية الثّورة الصّناعيّة[1].

وقد أخذ الاهتمام بتشييد شبكة المدن والقرى حيّزا مهمّا في سياسة تنظيم فرسان التيوتون بغية تثبيت هذا الأخير أقدامه وإضفاء الطّابع الألماني على بروسيا والمناطق الخاضعة لنفوذه، وعليه، فإنّ تقدّم التيوتون داخل الأراضي البروسيّة ارتبط بتشييد عشرات المستوطنات والقرى بلغت ذروتها في الفترة الممتدّة بين سنتي 1310م و 1360م ومردّ ذلك إلى القوّة والرّفاهية اللتين تمتّعت بهما دولة التّنظيم "Ordensstaat" [2].

---

(1) انظر: Roman Czaja and Andrzeij Radziminski, p.79.

(2) انظر: Ibid., P.82.

وتشير الإحصائيّات إلى أنّ التّنظيم "أوجد داخل دولته حوالي ألف قرية ومائة مدينة، كان نصيب مقاطعة كولمرلاند وحدها ما يقارب خمس عشرة مدينة، احتوت بروسيا وحدها على ستّين مدينة[1]؛ والواقع أنّ بعض هذه المدن، خضعت لسلطة أساقفة بروسيا وسمّيت بالمدن الأسقفيّة وقدّر عددها أربع وعشرين، فيما سيطر فرسان التيوتون على حوالي اثنتين وسبعين مدينة[2].

والجدير بالذّكر، أنّ المدن داخل دولة التنظيم، انقسمت إلى صنفين، الأوّل ويضمّ المدن الكبرى التي اعتمدها الفرسان كقواعد تجاريّة واقتصاديّة أو مراكز تجمعات بشريّة هامّة، وتعتبر أغنى وأكبر المدن وأقدمها، تتمثّل في المدن الستّ الأعضاء في العصبة الهانزيّة"Hanseatic league"* : دانزيغ، إلبلاغ، ثورن،كولم، مدينة برانيفو"Braniewo" وكونغيسبورغ "Königsberg". أمّا الصنف الثّاني فإنّه يضم المدن الأقل نفوذا وتأثيرا على غرار إلاوا"Iława"، أوستروودا"Ostróda" في مقاطعة وارميا، على الرّغم من أنّ بعضها فاق تعداده السكاني العشرين ألفا[2].

وتعدّ ثورن** أوّل مدينة رفع التّنظيم قواعدها على أراضيه الجديدة، لكن يرجّح أنّ عمليّة تعميرها بالمستوطنين الألمان، لم تتم إلاّ بعد سنتين على قيامها مثلما تشير إليه ماري فيشر"Fischer"، أي

---

(1) انظر: Roman Czaja and Andrzeij Radziminski, Op.Cit., P.88 ; Lukasz Musiaka, Medieval heritage of small towns in the state of the Regional Teutonic order in the register of monuments, Department of Political Geography and Studies, University of Łódź, Poland, 2015, P.221.

(2) انظر: Roman Czaja and Andrzeij Radziminski, p.88.

*: اتحاد تجاري ضم العديد من المدن في شمالي أوربا تأسّس بهدف احتكار التجارة وحماية الأساطيل التجارية على امتداد سواحل بحر الشّمال والبلطيق. ضمّت في بداية تأسيسها ثلاث مدن رئيسية هي لوبك، هامبورغ وكولونيا ولم تلبث أن اتّسع عددها خلال القرن الرابع عشر لتضم حوالي ثمانين مدينة من شمالي أوربا تنتمي إلى دولة تنظيم فرسان التيوتون، ألمانيا، انجلترا، بولندا روسيا وشبه جزيرة اسكندنافيا. شهدت العصبة الهانزية عصرها الذّهبي إبّان القرنين الثالث والرابع عشر الميلاديين ودخلت مرحلة الانهيار في أعقاب الهزائم المريرة التي تلقتها مدينة لوبك من قبل مملكة الدانمارك في القرن السادس عشر الميلادي وتحديدا في سنة 1535م و 1543م. ارجع إلى: Philippe Dollinger, The German Hansa, Trans. By D. S. Ault and S. H. Steinburg, Stanford University Press, Stanford-California, 1970.

**: يعتقد أنّ فرسان سموها تيمّنا بقلعة تبنين في جنوب لبنان أو طورون"Toron" أو طور كما يسميها الفرنج التي حازوها بين سنتي 1220.1239م ولا علاقة للاسم بكونه مأخوذ من مستوطنة سلافيّة قديمة، والحقيقة أنّ هذا الطّرح منطقي إلى حدّ بعيد وهذا يوحي بمساعيهم إضفاء صبغة القداسة على نشاطهم في بروسيا والتأكيد على استمراريّة ارتباط التّنظيم بالأراضي المقدّسة. ارجع إلى: Herrmann, Thorn Stadtfuhrer, P.4.

سنة 1233م[1]؛ وذلك في أعقاب تعزيز الفرسان لسلطتهم في أراضي كولمرلاند واستتباب الأوضاع بها، حيث تجنّد الفرسان لتعمير المناطق التي استولوا عليها، ووجّهوا نداء في أنحاء ألمانيا وبولندا والمناطق المجاورة لاستقطاب المهاجرين من فلاحين وحرفيين قصد توطينهم بها وبهذا الخصوص، فإنّ التنظيم أصدر خلال المرحلة الأولى ما يقارب حوالي الخمسمائة مرسوم يتضمّن هبات وامتيازات للمستوطنين[2].

ولتحقيق هذا المخطّط، عمد التّنظيم إلى تقديم تنازلات هامّة صيغت في ميثاق كولم* الصادر في 28 ديسمبر/كانون الأوّل سنة 1233م والذي وضع اللبنات الأولى لقيام المستوطنات ضمن أطر قانونيّة ومبادئ اجتماعيّة تضبط حياة المستوطنين[3]. ويرتكز ميثاق كولم أو"Handfest" على مجموعة من تشريعات مستمدّة من أحكام ماغدبورغ "Magdeburg Law"**. والهاندفاست"Handfest" هو بمثابة دستور ليبرالي يضبط شؤون المدينة، القضائيّة والتجاريّة والأحوال المدنيّة، كما مثّل مخطط حكم ذاتي للمدن التي أنشأت في بروسيا لاحقا، وجلّ المدن الكبرى التزمت به وعملت بنصوصه[4].

---

(1) ارجع إلى تعليق فيشر: Nicholas Von Jeroschin, Op.Cit., P. 67.

(2) انظر: Paul W. Knoll, The Most Unique Crusader State: The Teutonic Order in the Development of the Political Culture of Northeastern Europe during the Middle Ages, In The Germans and the East, Ed. By Charles Ingrao and Franz A. J. Szabo, Purdue University Press, 2008, P. 39; Christofer Herrmann, Thorn Stadtfuhrer, 2009, P.4.

(3) انظر: Jaspert, Op.Cit., P.133; Plume, Op.Cit., PP.20-21.

(4) انظر: Herrmann, Thorn Stadtfuhrer, P.4 ; Plume, Op.Cit., P.31; Roman Czaja and Andrzeij Radziminski, p.88.

*: كانت كولم أوّل مدينة طبّق عليها الدستور المعدّل وعليه سمي الميثاق نسبة لها.

**: أو حقوق ماغدبورغ"The Magdeburger laws" نسبة إلى مدينة ماغدبورغ الألمانية على نهر الألب، يعدّ أحد أهم القوانين التي تنظّم سير المدينة في العصور الوسطى، طوّر قانون ماغدبورغ على أساس القانون الفلمنكي في القرن العاشر الميلادي، وتمّ تكييفه من طرف معظم مدن شمالي أوربا ووسطها، عكس المدن الأعضاء في العصبة الهانزية التي تأسّت بقانون لوبك كونه يضمن حرية أكبر تناسب طبيعة هذه المراكز التجارية. ارجع إلى: Harold J. Berman,Urban Law I, In History of European Ideas, Vol.4, N°3, 1983, PP.291-295; Jean W. Sedlar, East Central European the middle ages 1000-1500, University of Washington Press, 1994, P.328.

وبما أنّ سياسة فرسان التيوتون هي في الحقيقة امتداد لحركة التّوسع الألمانيّة صوب الشّرق كما سبق ذكره، فإنّ الغاية الأساسيّة من استحداث هذا الدستور هو غرس نواة كيان ألماني من خلال إقامة مستوطنات مدنية تعمّرها العناصر الجرمانيّة بالدّرجة الأولى، إذ ضمن ميثاق كولم للوافدين الجدد امتيازات هامة أبرزها إلغاء معظم الضرائب والرّسوم المفروضة على المستوطنين باستثناء تلك التي تقرّها المجالس الانتخابية[1].

وفي هذا الصدد، لابدّ من الإشارة إلى أنّ معظم القيود رفعت كذلك على كبار ملاك الأراضي دون أصحاب مناجم الملح والمعادن، فضلا عن منحهم صلاحيّات موسّعة فيما يتعلّق بشؤون الميراث، وهي التّحفيزات التي كانت لها آثار عميقة على المدى القريب، حيث لم تلبث الجماعات والعناصر الألمانيّة أن انثالت على الأراضي البروسيّة وأسفرت عن ظهور شبكة مدن لا تزال بعضها قائمة حتّى اليوم في شرقي أوربا الوسطى[2].

الواضح في ظلّ هذا الواقع الجديد، أنّ ميثاق كولم شجّع على قيام وتطوّر عدّة مدن في جنوبي شرق بحر البلطيق، أبرزها ثورن التي شيّدت داخل كومرلاند، وقد منحها سالزا مقدّم التّنظيم دستور وجودها في سنة 1233م، وفي خمسينيّات القرن الثّالث عشر الميلادي، خضعت المدينة لتوسعة عمرانها صوب الشّمال وتمّ في سنة 1264م تأسيس المدينة الجديدة التي بنيت على أنقاضها مدينة ثورن البولنديّة الحديثة، ويتّضح جليا أنّ هذه العمليّة، جاءت نتيجة توافد أعداد هائلة من المستوطنين من بولندا وألمانيا تحديدا وشجّع هذه الديناميكيّة أيضا موقعها الجديد الذي أكسب الحركة التّجارية حيويّة قويّة وملحوظة[3].

شكّلت مدينة ثورن بالنّظر إلى موقعها الاستراتيجي، همزة وصل بين الطّرق التّجاريّة الرّئيسيّة حيث شهدت نموّا سريعا وتبوأت الرّيادة في مجال التّجارة الدّاخليّة وحتّى الخارجيّة انطلاقا من نهر الفيستولا مرورا

---

(1) انظر: Plume, Op.Cit., P.21

(2) انظر: Loc.cit.

(3) انظر: Herrmann, Thorn Stadtfuhrer, P.5

بسواحل بحر البلطيق وصولا إلى سواحل أوربا الغربيّة، حتّى إنّها صنّفت كثاني أهمّ مدينة في دولة التّنظيم بعد مدينة دانزيغ إبّان القرن الرابع عشر الميلادي، وقد خوّلها هذا الوضع المتميّز لأن تكـــون إحدى المدن البارزة ضمن العصبة الهانزية[1].

بالإضافة إلى ثورن، شيّدت في مقاطعة كولمرلاند مدينة كولم في سنة 1232م وشكّلت محور اهتمام قادّة التّنظيم غير أنّها فقدت مكانتها وتراجع صيتها، ولعلّ ذلك يرجع إلى تعاظم مدينة ثورن الواقعة في ذات المقاطعة[2]. والحقيقة أنّ مكانة ثورن لم تلبث أن تنامت لتصبح بحلول منتصف القرن الخامس عشر الميلادي رأس حربة المدن الثّائرة التي هدّدت سلطة فرسان التيوتون ولعبت الدّور الأبرز في تقويض نفوذهم داخل الأراضي البروسيّة والحدّ من صلاحياتهم[3].

وفي أعقاب بلوغهم مشارف السّواحل البلطيّة، شيّد الفرسان التيوتون عددا من القرى والمدن الساحليّة في طليعتها إلبينغ أو إلبلاغ الواقعة اليوم في شمالي بولندا والتي اعتبرت من أهم المدن الإقليميّة خلال أواخر العصر الوسيط، أسّست المدينة في سنة 1237م على ضفاف نهر إلبلاغ وعلى عكس مدينة ثورن التي سارت وفق دستور كولم فإنّ إلبلاغ التزمت بقانون لوبك[4].

لعبت إلبينغ دورا محوريّا في سيطرة التّنظيم على حركة الملاحة وتجارة مصبّ نهر الفيستولا[5]. كما منح مرسوم عام 1326م الذي أصدره المقدّم الأوّل وارنر فون أورسلن" von OrselnWerner " للمدينة صلاحيات تجارية موسّعة سمحت بربطها بالمراكز التّجاريّة الكبرى في الشّمال على غرار لوبك، دانزيغ، وأمستردام [6].

---

(1) انظر: Herrmann, Thorn Stadtfuhrer, P.5

(2) انظر: Dollinger,Op.Cit. , P.34.

(3) انظر: Herrmann, Thorn Stadtfuhrer, P.5

(4) انظر: Czaja and Radziminski, p.90.

(5) انظر: Ibid, p.80.

(6) انظر: Lords and Towns in Medieval Europe: The European Historic Towns Atlas Project , Ed. By Howard B. Clark and Anngret Simms, Routledge, 2nd Ed., 2016, P.252.

ولعلّ أهمّ المدن التّاريخيّة التي يعود الفضل في تأسيسها إلى جماعة التيوتون هي مدينة كونغيسبورغ "Konigsberg" أو كالينينغراد الروسيّة"Kaliningrad Oblast"* في مقاطعة سامبيا التي أنشئت سنة 1255م[1]. شكّلت كالينينغراد بالإضافة إلى كونها رأس الحربة في مواجهة ليتوانيا الوثنيّة العاصمة الإداريّة الثّانية لدولة الفرسان التيوتون بعد مارينبورغ[2].

في بوميراليا، كان واضحا أنّ بقاء هذه الأخيرة تحت سلطة التّنظيم زهاء قرن ونصف، سيترك بصمة ألمانيّة واضحة على أرجائها ربوعها حيث نمت المقاطعة وتطوّرت ضمن المجال الألماني، وقد سعى الفرسان التيوتون إلى بناء حوالي عشرين مدينة، فضلا عن أعمال توسعة مدينة دانزيغ. ولعلّ ازدهار هذه المدن على عهد التّنظيم قد شكّل أبرز مظاهر ذاك التأثير الذي كان سببا في إشعال فتيل الصّراع العرقي الطويل المدى بين البولنديين والألمان لم تخمد جذوته حتّى اليوم.

من الجليّ أنّ دانزيغ ومنذ الاستيلاء عليها من طرف التّنظيم في سنة 1308م، قد حظيت بحكم موقعها الاستراتيجي ودورها التّجاري الفاعل باهتمام الفرسان التيوتون وأوليت عناية خاصّة حتى باتت على عهدهم أكبر مدينة في شرق أوربا الوسطى، فبين سنتي 1340 و1348م انغمس الفرسان في العمل على توسعة المدينة القديمة وتطويرها، وأصدروا حوالي الخمسمائة امتياز استيطاني مما زاد عدد سكانها أنذاك ليبلغ حوالي عشرين ألفا معظمهم من أهالي وستفاليا الألمانية وربوع نهر الراين[3].

وفي سنة 1346م نالت دانزيغ صلاحيّات موسعة وتمتّعت بالاستقلاليّة أكبر، ولم تلبث أن أصبحت أهمّ مدينة في دولة تنظيم فرسان التيوتون "Ordansaatat"، حيث اعتمدها هذا الأخير

---

(1) انظر: Nicholas Von Jeroschin, Op.Cit., PP. 129-127.

(2) انظر: Arnved Nedkvitne, The German Hansa and Bergen 1100-1600, Böhlau Verlag koln & Cie, 2014, P.130.

(3) انظر: Paul W. Knoll, The Most Unique Crusader State, P.39.

بين سنتي 1321 و1410م أصدر التنظيم 508 امتياز لصالح مستوطني مدينة دانزيغ فقط، منها 258 امتياز على عهد حاكم المدينة(1338.1341م) والمقدّم الأوّل هنريش فون كيرود (1351.1382م).

*: ومعناها تلّة الملك"King's mount". ارجع إلى: Nicholas Von Jeroschin, Op.Cit., P. 127.

كقاعدة ملاحية ومركـز تجاريّ، ويستشفّ من خلال ذلك، أنّ مدينة دانـزيغ شكّلت المموّل الرئيسي لخزينة الهيئة[1].

أمّا ليفونيا، وبحكم ارتباطها الوثيق والمباشر بالأراضي البروسيّة والبوميراليّة، وفي ظلّ سيادة أساقفة ريغا على معظم أراضيها، فإنّ اهتمام الفرسان التيوتون بعمليّة تشييد المدن في ليفونيا لم تنل حظّها من الاهتمام مقارنة ببروسيا وبوميراليا، والواقع أنّ معظم المدن المركزيّة في ليفونيا شيّدت من قبل رابطة السيف الليفونيّة ومملكة الدّانمارك منذ مطلع القرن الثّالث عشر الميلادي[2].

وبالنّظر إلى أنّ رابطة فرسان السيف انضوت تحت جناح الهيئة التيوتونيّة فإنّ المنشآت التي شيّدت في ليفونيا بعد تاريخ 1236م ارتبط تاريخها في الأساس بالتّنظيم، ومن بين المدن التي نمت وتطوّرت في ظلّ سيادة هذا الأخير هي مدينة "فلين"Fellin" وبيرنو "Pernau" اللتان استهدفتا حماية الممرات المائية الممتدّة عبر خليج ريغا إلى نهر أومباخ"Embach" وصولا إلى بحيرة بيبوس"Peipus" وروثينيا بالإضافة إلى مدينتي جولدينجن"Goldingen" وفيندو"Windau" على نهر فانتسبيل"Ventspils"، وبفضل مينائها سجّلت هذه الأخيرة تطوّرا سريعا وملحوظا[3]. وقد ساهمت كلتا المدينتين، جولدينجن و وفيندو في ربط المدن الدّاخليّة فضلا عن كونهما منفذين إلى سواحل البلطيق. الواقع أيضا أنّ مدينة ريفال"Reval" التي شيّدتها رابطة فرسان السيف ازدهرت هي الأخرى على نفقة هيئة الفرسان التيوتون واعتبرت إحدى أهمّ المدن السّاحليّة البلطيّة[4].

---

(4) انظر: Clark and Simms, Op.Cit., P.252.

(2) انظر: Czaja and Radziminski, PP.225-227.

كان الجزء الشّمالي من ليفونيا وتحديد أراضي شمالي إستونيا تابعة لمملكة الدانمارك منذ سنة 1219م حتّى سنة 1346م حينما اشتراها فرسان التيوتون من الدانمارك

(3) انظر: Ibid., PP.226-227.

(4) انظر: Roman Czaja and Andrzeij Radziminski, PP.225-227.

وكان من الطبيعي في ظلّ التأثيرات الغربية التي حملها فرسان التيوتون إلى أقاليم جنوبي شرق بحر البلطيق أن يُستوحى طراز المدن التي شيّدوها هناك من طابع مدن غرب أوربا شطرنجيّة التّصميم التي تحاكي شكل رقعة الشّطرنج، إلاّ أنّها وباعتراف المعماريين وأهل الاختصاص فإنّ المدن داخل دائرة دولة التّنظيم تميّزت بكونها فريدة من نوعها وفاقتها من ناحيّة التّنظيم والتّخطيط، حيث اشتملت المدينة في بروسيا على ساحة واسعة في الوسط مع مبنى مجلس البلدية وهي ملحقة بسوق مستطيلة في أحد جوانبها[1]. ومواكبة لتطوّر المدينة الأوربيّة، فقد سعى فرسان التّنظيم إلى تجهيز مدنه في بروسيا بأهمّ المرافق والمستلزمات كربطها بشبكات المجاري وبناء الطّرق[2].

كما نقل الغزاة الألمان إلى أراضي بروسيا تقنية جديدة تماما في مجال البناء والتعمير المتمثّلة في المباني الحجرية واستعمال الطوب الأحمر الذي أضحى مستخدما على نطاق واسع جدّا تعويضا للمباني الخشبية. والواضح أنّ هذه تقنية، لم يعهدها البروسيّون الذين اعتمدوا بدرجة أكبر على الخشب كمادة أوليّة لبناء بيوتهم خاصّة في ظلّ ما اشتهرت به المنطقة من غابات كثيفة توفّر أجود أنواع الخشب[3].

أمّا أسلوب العمارة في مارينبورغ وكولم وثورن وكونيغسبورغ وحتّى في دانزيغ، فقد تميّز بكونه فنّا راقيا بامتياز، حيث عرفت بروسيا إبّان القرن الثّالث عشر الميلادي ولأوّل مرّة، فن العمارة القوطية الذي كان سائدا في ربوع غرب أوربا، وأخذ منذ هذا الوقت يبرز ويزدهر بشكل جلي. ويمكن لمس التّأثيرات الفنيّة التي حملتها العناصر الألمانيّة الوافدة كذلك في الأعمال الفنيّة التي تزيّنت بها ساحات المدن الرئيسيّة على غرار تماثيل رولان"Roland" رمز الحرّيّة في ريغا، والمطابق لتمثال بريمن رولان" The Bremen Roland" بوسط مدينة بريمن[4].

---

(1) انظر: Marek Koter and Marius Kulesza, The plans of medieval Polish towns, In Urban morphology, N°.3, Vol.2, 1999, P.65.

(2) انظر: Murray, The North-Eastern frontiers, P.240.

(3) انظر: Ibid , P.361.

(4) انظر: Ibid, PP.361-362 .

والملفت للانتباه، أنّ انتشار قلاع التّنظيم الكبرى، التي فاقت المائتين وأربعين قلعة، بهدف تأمين مكاسبه وتوسيع مستوطناته . على ضفاف الأنهار الكبرى وملتقى الطرق التّجارية، ينمّ عن نظرة فرسان التيوتون الثّاقبة وحنكتهم منقطعة النّظير إذ يكشف بجلاء عن إدراكهم لأهميّة الجانب التّجاري وسرّه الحضاري، لأنّ نمو المدن مرتبط في الأصل بوظيفة السوق، وعزّز هذا العامل طبيعة الموقع الاستراتيجي الممتاز الذي أهّلها للعب أدوار تجارية رائدة في المنطقة برمّتها، كما أنّ تشجيع الهيئة للتّجارة المحليّة التي ارتكزت على الصّناعات الحرفيّة وتحسين طرق الإنتاج والسعي وراء جذب الأطراف المجاورة، ساهم في تطوّرها ونموها لتصبح مدنها في ظرف قصير من بين أهمّ المراكز التّجاريّة وأنشطها في شمالي أوربا[1].

ويستشفّ من خلال ما أورده بلوم"Plum" أنّ المدن المركزية داخل دولة التّنظيم، كانت شريكا تجاريا فاعلا ومنافسا قويّا في بحر البلطيق[2] إذ يذكر أنّه بحلول منتصف القرن الرابع عشر الميلادي وبعدما تمّ في بروسيا التّأسيس الفعلي لقطاع النّشاط التّجاري الخارجي، شكّلت تلك المدن حلفا فيما بينها تزعّمته مدينة دانزيغ أبرز قاعدة ملاحيّة في دولة التنظيم وفي شمالي شرق أوربا برمّته، ومن ذاك تولّت تأمين العلاقات والمعاهدات مع القوى الأجنبيّة كما لعبت دورا أساسيّا في انتعاش العلاقات التّجارية بين كلّ الأطراف الأوربيّة، الشّرقيّة والغربيّة والشّماليّة والجنوبيّة[3].

ويثني معظم المؤرخين الغربيين على عظمة وروعة إدارة الفرسان اليتوتون للنّظام الاقتصادي . المالي الصارم الذي استمدّوه من دول غرب أوربا الإقطاعية، الأمر الذي مكّنهم من بناء اقتصاد قوي الأسس ومحكم التّوجيه؛ وما ساعدهم على ذلك، هو اهتمامهم بإنشاء الهياكل القاعدية كإقامة الجسور وبناء الطّرق لتسهيل ربط القرى والمدن البروسية فيما بينها[4]، فضلا عن استقدام ابتكارات وتقنيات لم يعهدها البروسيون من قبل على غرار الطواحين الهوائية التي اعتبرت أحد أبرز موارد دخل الجماعة الألمانية كطاحونة

---

(1) انظر: Plum,Op.Cit., P.31.

(2) انظر: Loc.Cit.

(3) انظر: Ibid., P.33.

(4) انظر: Patrice M. Dabrowski, Poland the first thousand years, Northern Illinois university press, 2014, P.29.

الهواء العظيمة في دانزيغ بالإضافة إلى جلب أفضل أنواع المحاريث لخدمة الأرض[1].

ولعلّ العامل الأبرز الذي ساعد على تكديس التّنظيم لثروة الهائلة هو سيطرته التّامة على مختلف مجالات الاقتصاد خاصة التّجارة التي شكّلت مصدر دخلهم الرّئيسي حتى أنّهم نافسوا رعاياهم ومنعوهم من ممارسة المضاربة؛ وفي ظلّ سطوة اليهود على تجارة أوربا الغربيّة ورؤوس أموالها، فإنّ التّنظيم حرّم على اليهود العيش والاشتغال داخل أراضيه على الأقل حتّى منتصف القرن الخامس عشر الميلادي[2].

لكن على الرّغم مما شاع عن اضطهاد الفرسان التيوتون للطّائفة اليهودية ومطاردتهم داخل دولتهم في بروسيا، إلاّ أنّ احتماليّة سماح بعض المدن لهم بالنّشاط تحت قيود قاسية جدا يبقى أمرا ممكنا جدا، ويتجلّى ذلك من خلال رسالة مؤرّخة بتاريخ 18 ماي/أيار سنة 1422م وجهها الحاكم العام لمدينة ثورن للمقدّم الأوّل كونراد فون إيرلكسهاوزن، تطرّق فيها إلى التماس البولنديين خلال سلسلة محادثات ثورن ونوا نيزافا Thorn – Nowa- Nieszawa رفع القيود عن نشاط اليهود داخل دولة التّنظيم[3].

---

(1) انظر: Murray, The North-Eastern frontiers, PP.240-241.

(2) انظر: Jaroslav Miller, Urban societies in East Central Europe 1500-1700, Ashgate Pub., 2008, P.93.

إلاّ أنّ جماعات معتبرة من اليهود كانت تعيش في النيومارك التي اشتراها الفرسان اليتوتون من الإمبراطور سيجسموند (ملك المجر) في سنة 1402م ونشطت بصفة عادية هناك.

(3) انظر: Michalina Duda, Jewish Physicians in the Teutonic Order's Prussian State in the Late Middle Ages, In Fear and Loathing in the North Jews and Muslims in Medieval Scandinavia and the Baltic Region, Ed. By Cordelia Heß and Jonathan Adams, 2015, P.127.

3. جرمنة أقاليم ما وراء نهر الأودر.

أدى التّدفّق الممنهج للأجانب من العنصرين الألماني والبولندي على أراضي دولة الفرسان التيوتون في بروسيا إلى ظهور فسيفساء عرقيّة متباينة التركيبة السّكانية منها العناصر البلطيّة، السلافيّة والجرمانيّة، لقد قدّر عدد سكان بروسيا من الأهالي في سنة 1400م بحوالي مائة وأربعين ألف تمركز أغلبهم في المناطق الوسطى والشرقيّة من بروسيا وسكنوا القرى والأرياف وقارب عدد البولنديين هذا الحجم، فيما قدّر عدد الألمان حوالي مائتي ألف[1].

والحقيقة أنّ حركة هجرة الألمان واستقرارهم عند الحدود الشّرقيّة للإمبراطوريّة الجرمانية لم يقتصر الأصقاع الواقعة تحت سيادتهم غير المباشرة، بل على ربوع شمالي أوربا وخاصّة بولندا التي شهدت عملية انثيال كبرى للعناصر الألمانيّة على أراضيها. فخلال القرن الثّالث عشر والرابع عشر الميلاديين، بلغ عددهم حوالي مائتين وخمسين ألف ألماني[2]. وبناء على هذه المعطيات يخلص إلى أنّ الأقاليم الشّماليّة الشّرقية لأوربا عموما، أضحت مناطق جذب إستراتيجيّة وامتدادا للمجتمع الألماني الذي أضحت جزءً منه ممّا جعل عمليّة امتزاج هذه العناصر المختلفة مع مرور الزّمن حتميّة تاريخيّة مؤكّدة.

كان من الطّبيعي في ظلّ هذا الواقع، أن تتأثر البنيّة الاجتماعية المحليّة للمجتمعين الليفونيّ والبروسيّ خاصّة، نتيجة تغلغل العرق الألمانيّ بكثافة إليهما. وكأيّة عمليّة استعماريّة، أفرز هذا الاستيطان فقدان طبقة من النّخبة المحليّة مكانتها لصالح المستوطنين الجدد، وذلك على غرار ما حدث إبّان الغزو النّورماندي لإنجلترا في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي. ومن ناحية أخرى انجرّ عن تسلّط الألمان هجرة الأهالي الأصليين من شرقي بروسيا إلى مناطق متفرّقة مجاورة خاصّة إلى ليتوانيا[3].

---

(1) انظر: Radziminski, Op.Cit., P.1.

(2) انظر: Dabrowski, Op.Cit., , P.29.

(3) انظر: Carver, Op.Cit., P.571.

. تأثير الثّقافة الألمانيّة في مجتمعات شرقي نهر الأودر والفيستولا.

. اللسان الألماني:

أضحت منطقة البلطيق منذ مطلع القرن الثاني عشر الميلادي بؤرة صراع حاد بين الثّقافتين الألمانيّة والسلافيّة، فمنذ تجسيد مشروع التّوسع الألماني صوب الشّرق"Drang Nach Osten"، تركت هذه الحركة بصمتها على اللغة السلافيّة والبلطيّة على غرار ما تركته اللغتان الفرنسيّة في انجلترا والبولندية في ليتوانيا، حيث انتقلت اللغة الألمانيّة من مجرّد كونها لغة تخاطب وتواصل إلى لغة مشتركة في أوربا الوسطى والشّرقيّة على حدّ قول عالمة اللسانيّات سيلفيا يافورسكا"Sylvia Jaworska" وكان من الطّبيعي بحكم هذه العمليّة أن تتسرّب مقوّمات الثّقافة الألمانيّة(1).

وعلى ضوء التّحوّل الثّقافي المفروض، فإنّ اللغة كانت المعيار الأساسي الذي يحدّد الانتماء الاجتماعي للفرد، وذلك في ظلّ هيمنة العناصر النّاطقة باللغة الألمانيّة. إنّ هذا الواقع الذي أملى تفوّق اللغة الألمانيّة في شتى المجالات، علاوة على كونها لسان الطّبقة الحاكمة والمالكة، قد فرض على النّبلاء البروسيّون استنكاف لغتهم وتعلّم لغة الغزاة، وسرعان ما أصبحوا "ألمانا لغويا" مع مطلع القرن الرّابع عشر الميلاديّ على حدّ تعبير المتخصص في شؤون الأقليّة البروسيّة كلوزيس"Klussis"(2).

هذا ولم تقتصر عمليّة تعزيز اللّسان التيوتوني في أوساط الطّبقة النّبيلة البروسيّة، بل شملت الطّبقة المتوسطّة أيضا، ويمكن القول بأنّ هذه الظّاهرة اعتبرت إحدى تبعات نكبة تاننبورغ، ذلك أنّ هزيمة سنة 1410م أسفرت عن نزوح جماعي للفلاحين الأحرار"Peasant" وملاك الأراضي البروسيّين إلى المدن الألمانيّة داخل بروسيا التي أضحت تستقطب الجماعات البروسيّة الفارّة من احتمال وقوعهم في الأسر

---

(1) انظر: Sylvia Jaworska, The German Language in Poland: the Eternal Foe and the Wars on Words, In Language discourse and identity in Central Europe The German language in a multilingual space, Ed. By Jenny Carl and Patrick Stevenson, 1ST Pub., Palgrave Macmillan, 2009, P.53.

(2) انظر: Mikkels Klussis, Linguistic principles of the recovery of old Prussian,: http://donelaitis.vdu.lt/prussian/princip.htm

وبيعهم كأقنان "Serf" مع أراضيهم لسداد ديون دولة الفرسان التيوتون[1].

الواقع أنّ تسلّط اللغة الألمانية على السّاحة الثّقافيّة في بروسيا لم تفض إلى أفول نظيرتها البروسيّة القديمة* بل بقيت حيّة خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين واستمرّ استخدامها كوسيلة تواصل ـ على الأقل ـ بين فئات الطّبقة الدّنيا ممثّلة في الأقنان إلى غاية مطلع القرن الثّامن عشر الميلادي[2]، وهو ما تفسّره ترجمة مارتن لوثر"Martin Luthir"** لتعاليمه"Enchiridion" إلى البروسية في النّصف الثّاني من القــرن السادس عشر الميلادي (1561م)[3]. ومن هذا المنطلق فإنّ احتمال الحفاظ على اللغة البروسية القديمة في القرى النائية على الأقل إبّان القرن السّابع عشر الميلادي يبقى أمرا واردا جدا، خاصّة في بروسيا الغربية حيث كان لا يزال السّكان الأصليون يضمرون عداءً شديدا لكلّ ما هو ألماني.

وثمّة اعتقاد آخر يفيد بأنّ اللغة البروسية القديمة قد اندثرت إثر فناء طبقة الأقنان بسبب جائحة الطّاعون والمجاعات التي خيّمت على وسط أوربا الشّرقيّة بين سنتي 1709م و1711م، وعن ذلك يجمع علماء اللسانيّات على أنّ اللغة البروسيّة القديمة فقدت حضورها في أوساط السّكان الأصليين تماما خلال القرن الثامن عشر الميلادي[4].

---

(1) انظر: Mikkels Klussis, Linguistic principles of the recovery of old Prussian,: http://donelaitis.vdu.lt/prussian/princip.htm

(2) انظر: Gimbutas, Op.Cit., P.21 ; Mikkels Klussis, Linguistic principles of the recovery of old Prussian,: http://donelaitis.vdu.lt/prussian/princip.htm

(3) انظر: Mikkels Klussis, Linguistic principles of the recovery of old Prussian,: http://donelaitis.vdu.lt/prussian/princip.htm

(3) انظر: Loc.cit.

*: تنتمي اللغة البروسية القديمة إلى فرع اللغات البلطية ـ السلافية المنحدرة من اللغات الهندو ـ أوربية على غرار اليتوانية واللاتفية، أطلق عليها تسمية البروسية القديمة تمييزا لها على اللغة البروسية التي تعرّضت لتأثيرات اللغات السلافية والجرمانية بعد مرحلة الغزو الجرماني وجرمنة ما وراء نهر الأودر. وفيما بقيت اللغات اللاتفية واليتوانية حيّة، فإنّ الكورونية والسميغالية اندثرتا بين القرنين 14 و16م ، أمّا البروسية فقد اندثرت في القرن 18م. لمزيد من التّفاصيل ارجع إلى: Gimbutas, Op.Cit., P.21.

**: (10 نوفمبر/تشرين الثّاني1483. 18 فبراير/شباط 1546م) راهب ألماني، أستاذ لاهوت وزعيم حركة الإصلاح الديني (البروتستانتية) التي بزغت خلال القرن السادس عشر الميلادي في ألمانيا واستهدفت إصلاح الكنيسة الكاثوليكية. ولد لوثر بأيسلبن"Eisleben" في سكسونيا تتلمذ وتعلم في ماغدبورغ وإيزناخ، تلقى تعليمه الجامعي في جامعة إيرفورت ليتركها وينزوي في أحد الأديرة الألمانية. أصبح راهبا أوغسطينيا ومدرسا، ترجم الكتاب المقدّس إلى اللغة الألمانية والإنجليزية. ارجع إلى: Biographical Dictionary of Christian Theologian, Ed. By Patrick W. Carey and Joseph T. Lienhard, Greenwood press, 2000, PP.336-340.

وبالعودة إلى تأثير اللسان الألماني في منطقة البلطيق، من الضّروري القول بأنّ هذا التّأثير لم يتوقّف عند بروسيا أو ليفونيا بل شمل لغات دول حوض البلطيق كالبولندية والليتوانية واللغات الأخرى لكن بدرجات متفاوتة، وفي هذا الشّأن يتّفق المؤرخون على أنّ اللغة الألمانية انتقلت من مجرّد لغة تخاطب واتّصال في فضاء البلطيق إلى كونها لغة معتمدة و"مشتركة في ربوع أوربا الوسطى والشّرقيّة"[1]. يتجلّى هذا الواقع من خلال سجلات بعض البلديات البولندية ذات الأغلبية الألمانية التي وردت مدوّنة باللغة الألمانية[2].

ومن المؤّكد أيضا، أن اللغة اللاتينيّة قد نالت حظّها من الدّراسة والاهتمام في أوساط الشّعوب البلطية عن طريق الأديرة والمدارس اللاهوتيّة التي مارست فضلا عن مهمّتها الروحيّة، نشاطا ثقافيّا ملحوظا من خلال تربية وتعليم السّكان الأصليين بالإضافة إلى هذا كلّه فقد جرى تعميم الكتابة باللغة اللاتينيّة والألمانية حتّى يتسنّى للأهالي الإطّلاع على تعاليم المسيحيّة[3].

وليس هناك من شكّ أنّ هذه الحركيّة اللغوية والثّقافيّة التي طبعت مجال شرقي أوربا الوسطى كلّه، لم تكن بمعزل عمّا باتت تعيشه ممالك غربي أوربا من نشاط ثقافي وحضاريّ كانت قد أفرزته نهضة القرن الثّاني عشر وبلغت أوجّها إبّان القرون اللاحقة. كما ألقت الحركة الإنسانية* بضلالها على أوربا الوسطى حيث تسرّبت مختلف المظاهر الفكريّة والأدبيّة والفنّيّة إلى شعوب ما وراء نهر الألب على الرّغم من الفوارق العميقة السّائدة حيث كان مجال حوض البلطيق يعرف تطوّرا بطيئا نوعا ما[4].

---

(1) انظر: Jaworska, Op.Cit., P.53.

(2) انظر: Slocombe, Op.Cit., P.50.

(3) انظر: Kevin O'Connor, Op.Cit., P.43.

(4) انظر: William Urban, Renaissance Humanism in Prussia, In Journal of Baltic Studies, Vol.22, Iss 1, 1991, PP.33-34.

*: هي حركة فكرية ثقافية شهدتها أوربا تعود جذورها إلى القرنين الثاني عشر الميلادي ظهرت بفلورنسا الإيطالية تحديدا، جاءت لتمجيد العقل والإنسان باعتباره محور الوجود وأرقى الكائنات، كما استهدفت الاهتمام بمختلف العلوم والمعارف والفنون فضلا عن إحياء التراث الإغريقي والروماني القديم. تزعم هذه الحركة المفكر والفيلسوف الهولندي الشهير إيراسموس"Erasmus"(1467.1536م).

ولم يحل الطابع العسكري والديني للتنظيم، ولا أزمته المالية الخانقة دون تشجيعه للحياة الفكرية والثّقافية وتحديدا خلال الفترة الممتدة بين سنة 1309 و1410م نظرا لما تمتّع به الفرسان إبّانها من قوّة وثراء وشهرة، حتّى إنّهم تمكّنوا من خلق ما سمّاه المؤرّخ وليام أوربان، نهضة محلية في الشّمال وإن كانت محدودة [1]. ومما لا شكّ فيه أنّ الرّهبان قد لعبوا دورا كبيرا في هذه الحركة وشاركوا بقوّة في الحياة الثقافية داخل دولة التنظيم، حيث كانت المدارس الديرية الفرانسيسكانية والدومينيكانية خصوصا، تستقبل الشباب المبتدئين وتلقّنهم اللغة اللاتينية والطّقوس الدينية الكاثوليكيّة، ثم يتدرّج الطالب في المدارس الديرية ويمر على ثلاث مراحل* قبل استكمال تعليمه العالي في جامعتي براغ"Prague"** ولايبزغ "Leipzig" خارج ربوع بروسيا[2].

الواضح أنّ المدارس الديرية في المدن البروسية، شكّلت في أحيان كثيرة ميدانا لنهل العلوم والمعارف ولم تكن أقل قيمة من الجامعات، فقد احتوت بين جدرانها مكتبات كبيرة حيث ضمّت مكتبة الدومنيكان في دانزيغ مع نهاية القرن الخامس عشر الميلادي ما يقارب سبعمائة مجلّد، فيما احتوت مكتبة الفرانسيسكان في ثورن ألف مجلد منها ما يفوق سبعمائة مخطوطة أتلفتها النيران[3].

---

(1) انظر: William Urban, Renaissance Humanism in Prussia, P.42.

(2) انظر: Ibid, P.34 ; Samerski, Op.Cit., PP.87-88.

(3) انظر: Ibid, P.89-90.

*: المرحلة الأولى هي دراسة الفنون"Studium Artium" الثانية دراسة الفلسفة"Studium Philosophiae" أما المرحلة الثالثة داخل المدارس الديرية وهي أهم مرحلة فكانت تتم فيها دراسة اللاهوت"Studium Theologiae". على أنّ هذه المدارس الديرية انتشرت حصرا في المدن الكبرى على غرار دانزيغ، ثورن، إلبلاغ. لمزيد من التّفاصيل حول المدارس الديرية ارجع إلى: Samerski, Op.Cit., PP.87-88.

**: تأسست كأوّل جامعة في أراضي شرقي نهر الراين في سنة 1346م، أطلق عليها كذلك اسم مؤسسها شارل الرابع"Charles IV" (1316.1376م).احتضنت الجامعة بين عشرينيات القرن الخامس عشر الميلادي والسادس عشر الميلادي الحركة الهسية البروتستانتية. لمزيد من التّفاصيل ارجع إلى: Howard Kaminsky, Chiliasm and the Hussite Revolution, In Church History, Vol.26, N°1(March 1957), Pub. By Cambridge university press, P.43-64; Walter Ruegg, A History of the University in Europe, Vol.1, Cambridge university press, 1ST Pub., 1992, P.13, 111.

وقد ضمت مكتبة الفرانسيسكان في ثورن كتب اللاهوت والكتب المقدّسة وأعمال توماس أكيناس "Thomas Aquinas"(1224/1225-1274م)*، وكتابات بيتر اللومباردي" Peter Lombardus"(1095/1100-1160م)** وأعمال الفنان الإيطالي بنيفينتورا "Bonaventura" (ت.1244م)، بالإضافة إلى أعمال الراهب الاسكتلندي الفرانسيسكاني جوناس دون سكوت" John Dun Scotus"*** وملحمة رئيس أساقفة جنوة جاكوب دو فوراجين "Jacobus de Voragine" (ت.1298م)[1].

هذا ويبدو أنّ التّنافس العسكري والسياسي بين التّنظيم ومملكة بولندا اتّسع ليشمل ميدان الدّراسات الإنسانية حيث أضحت مارينبورغ أكبر منافس لكراكوف في مجال الثّقافة، وعلى الرغم من افتقار الـ"Ordenstaat" لجامعة ومركز تعليم هام، إلاّ أنّ قلعة مارينبورغ شكّلت صرحا معماريا مهيبا في المنطقة برمّتها ومفخرة للتّنظيم، ومن غير المستبعد أنّ أسياد فرسان التيوتون ساورتهم فكرة إنشاء جامعة في مدينة كولم[2].

لقد دعم أسياد التنظيم والأساقفة وبعض النّبلاء ممّن اهتموا بهذا الجانب، العلماء والفنانين والمفكرين البروسيين وموّلوا تعليمهم عبر إرسالهم إلى حواضر أوربا الغربية التي كانت تشهد نهضة إنسانية لامعة خاصّة إلى إيطاليا لنهل العلوم والمعارف والاستفادة من خبرات هؤلاء في مختلف المجالات، وفي هذا

---

(1) انظر: Samerski, Op.Cit., P.89.

(2) انظر: Urban, Renaissance Humanism, P.43.

*: ولد القديس توماس في قصر روكاسكا"Roccasecca" بأكينو"Aquino" بالقرب من حدود الولايات البابوية وأراضي إمبراطورية الجرمانية، قرر بعد وفاة والده في عام 1243م الانضمام إلى رابطة الإخوة الوعاظ التي أسسها القديس دومينيك، ثم أكمل تعليمه في كلية اللاهوت بجامعة باريس وتخرج منها برتبة أستاذ عام 1256م. يعد أكيناس أحد أشهر المفكرين والفلاسفة المسيحيين. ارجع إلى: نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط أوغسطين أنسلم توما الأكويني، تر. حسن حبشي، ط.2، 1978، مكتبة الأنجلو المصرية، ص 209.

: عالم لاهوت إيطالي ولد بنوفارا في إقليم لومبارديا، وأسقف مدينة باريس، اعتبر مؤلّفه ***الأحكام* الذي يتضمن أربعة أجزاء مرجعا غاية في الأهميّة لدراسة اللاهوت حتّى القرن السادس عشر الميلادي. **ارجع إلى:** Philipp W. Rosemann, Peter Lombard, Oxford university press, 2004, PP.3-7.

***: ولد جون سكوت عالم اللاهوت والفيلسوف الفرنسيسكاني في اسكتلندا ، يعدّ من رموز الفلسفة الغربية وإليه تنسب الفلسفة السكوتية. اشتهر بمعارضته وانتقاده لأفكار توماس أكيناس.

الصّدد يذكر أوربان أنّ أديرة التّنظيم في بادوا"Padua" وبولونا"Bologna" بشمال إيطاليا احتضنت عددا من الطّلاب البروسيين الوافدين من مدن ثورن وإلبينغ وكونيغسبورغ ودوربات وحتّى من دانزيغ، وقد توافد بعض منهم أيضا إلى أديرة البندقيّة وروما بإيطاليا وأفينيون بفرنسا(1).

ومن بين رواد الحركة الثقافية الأوائل الذين اشتهروا كمحاضرين داخل بروسيا، بيتر"Peter" في ثورن (1301م)، ووليام"Wilhelm" في إلبينغ(1327م)(2)، أمّا الفطاحل الذين برزوا في بروسيا أثناء عصر النهضة ومهّدوا لإضفاء الصّبغة العلمانيّة على دولة التّنظيم فيأتي على رأسهم لورانتيوس بلومينو "Laurentius Blumenau"(1484.1415م)*، الذي تلقّى دراسته في مسقط رأسه بدانزيغ ثمّ التحق بجامعات ألمانيا لإكمال تعليمه بدعم من المقدّم الأوّل للتّنظيم وأصبح فيما بعد مستشارا ومحاميا له(3).

يضاف إليه العالم الإيطالي أنييس سيليفيوس بيكولوميني"Aeneas Silvius Piccolomini" رئيس أساقفة إمرلاند"Emerland" (1457م) الذي قدّر له اعتلاء عرش البابويّة باسم بيو الثّاني" Pius II"(1458-1484م)** ، وكان بيكولوميني أحد أبرز الإنسانيين الذين حملوا معهم أفكار حركة النّهضة إلى بروسيا وتلقوا التشجيع من التنظيم(4).

---

(1) انظر: Urban, Renaissance Humanism, P.44.

(2) انظر: Samerski, Op.Cit., PP.87.

(3) انظر: Urban, Renaissance Humanism, P.44.

(4) انظر: Ibid., P.54-55.

*: (1415-1484م)، يعدّ أوّل إنساني في بروسيا، درس المنطق، والبلاغة والقواعد، وقرأ لكبار الفلاسفة وعلماء المنطق منهم دوناتوس"Donatus"(355م) وبيتروس هيسبانوس"Petrus Hispanus"(ت.1277م). التحق بجامعة لايزيغ في سنة 1437م ثمّ بولونا سنة 1444م وحصل على دكتوراه في القانون سنة 1447م. ارجع إلى: Urban, Renaissance, PP.44-47.

**: ولد في أكتوبر سنة 1405م ببلدة كورسينانو"Corsignano" في سيينا الإيطالية، انغمس لمدة ثماني سنوات في الدراسات الإنسانية وهو طالب في سيينا وفلورنسا. تولى بين سنتي 1432 و1435 منصب كاتب الكاردينال دومينكو كابرانيكا"Domenico Capranica" في مجلس بازل"Basle"(1431-1449م). وفي سنة 1436م تولى رئاسة مجلس بازل وأظهر معارضة شديدة للبابا يوجين الرابع" Eugine IV"، انتخب بابا خلفا لكاليستوس الثالث "Callistus III " في أوت/أغسطس سنة 1458م وفي السنة الموالية دعا إلى شنّ حملة صليبية ضدّ العثمانيين كان أشدّ المتحمسين لها أمير والاشيا"Wallachia " فلاد الثالث دراكولا"Vlad III Dracula"(1431-1476م). ارجع إلى: Kelly, Op.Cit., PP.247-248.

ويجدر القول كذلك، أنّ سّادة فرسان التيوتون اهتموا بحركة التّأليف وخاصة تدوين تاريخهم، وكان من أبرزهم أحد رهبان التنظيم وهو بيتر دوسبورغ"Peter of Dusburg". وبناء على طلب المقدّم الأوّل وارنر أوف أورسلن (1324-1330م) دوّن بيتر دوسبورغ حوليات الأراضي البروسية"Chronicon terrae Prussiae"، تناول خلالها في أربعة أجزاء، تاريخ التّنظيم منذ تأسيسه كمشفى في عكّا وقوفا عند نشاط الفرسان بالأراضي البروسية منتهيا عند فترة حكم المقدم الأوّل فون أورسلن وأهم ما تضمّنته من أعماله. ولإنجازها فإنّ بيتر دوسبورغ استقى معلوماته من وثائق التنظيم وتشريعات البابوية وكذا الأديرة المجاورة في بروسيا وبروميرانيا، وبعض روايات شهود العيان[1].

كما يعدّ نيكولاس فون جيروشين من أهم مؤرخي التنظيم، على الرّغم من أنّ عمله لا يعدو أن يكون ترجمة لحوليات بيتر دوسبورغ المذكورة من اللغة اللاتينية إلى الألمانية، إلاّ أنّ أهميته تكمن في أنّه تضمن إضافات هامة جدا لعدة جوانب تجاهلها دوسبورغ فضلا عن احتوائه لروايات تفصيلية حول أحداث غزو بروسيا وليفونيا من قبل فرسان التّنظيم[2].

---

(1) انظر: Nicolaus Von Jeroschin, PP.4-5.

(2) انظر: Ibid., PP.4-15.

خاتـــمـــة

خاتمـــــة.

لا شكّ أنّ ميلاد هيئة فرسان التيوتون كثالث تنظيم عسكري في بلاد الشّام في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي يعدّ إحدى أبرز أحداث الحملة الصليبية الثالثة، ففي ظلّ تطلّعات الإمبراطورية الجرمانية المقدّسة إلى ضرورة تكثيف دورها في الشرق الأدنى الإسلامي وحاجة الصّليبيين الماسة إلى تعزيزات عسكرية، فإنّ المشفى الألماني الذي تأسس بالقرب من عكّا في عام 1190م بهدف تحقيق غايات إنسانية موجهة للألمان حصرا قد تمّ تحويله إلى تنظيم عسكري بموجب اجتماع سنة 1198م.

وعلى الرّغم من أنّ تأسيس هذه الهيئة العسكرية ارتبط بالأراضي المقدّسة، إلاّ أنّ طابعها العسكري برز لأوّل مرّة في ربوع أوربا، وتحديدا على الأراضي الهنجارية حيث شكّلت مقاطعة ترانسلفانيا في الجنوب الشرقي مسرح أولى عملياتها، وجدير القول أنّه على الرّغم من النّكسة التي مني بها فرسان التيـوتون وخـروجهم خاليي الوفاض من ترانسلفانيا بعد طردهم منها، إلاّ أنّ تلك المهمة قد أكسبت رجال المقدّم الأوّل هرمان سالـزا خبرة عسكرية وحنكة دبلوماسيّة، واعتبرت بحق محطّة حاسمة في مستقبل الهيئة وبوابةً نحو ارتباطها الوثيق بشمالي شرق القارة منذئذ.

ويبدو أنّ استنجاد كونراد الأوّل، دوق ماسوفيا بقيادة الهيئة لدحر خطر القبائل الوثنيّة البروسيّة وتنصيرها مباشرة بعد خروجها من الأراضي الهنجارية شكّل فرصة لا تعوّض لفرسان التيوتون في سبيل تعويض ما فقدوه، وكان عليهم قبل ذلك تدارك أخطائهم من خلال انتزاع ضمانات كتابية من الدّوق نفسه. تلك الضّمانات التي صيغت في ميثاقين هامين هما تشريع ريـميني الذّهـبي"Golden Bull of Rimini" ومعاهدة جسر كـروزفيك"Kruszwica" اللذين اعتبرا بمثابة أرضية رفعت عليها الهيئة قواعد دولتها في فضاء حوض البلطيق.

وقبيل انتقال هيئة فرسان التيوتون إلى شمالي شرق أوربا، كانت المنطقة تشهد هي الأخرى حربا صليبيّة مستعرة ضدّ الجيوب الوثنية في ليفونيا وبروسيا، قادتها تنظيمات محليّة على غرار تنظيمي فرسان السيف الليفونيّون وفرسان دوبرين، ومهما يكن من أمر، فإنّ تنظيم فرسان التيوتون انتقل إلى منطقة حوض البلطيق

في ثلاثينيّات القرن الثالث عشر الميلادي واستهلّ مهمته القاضية أوّلا بتنصير القبائل البروسيّة الوثنيّة ودرأ خطرها عن العالم الكاثوليكي وثانيا تجسيد مشروع الإمبراطوريّة الجرمانية المقدّسة التّوسعي الاستيطاني صوب الشرق.

ومما لا شكّ فيه أن التزامات هيئة التيوتون بتطويع وثنيي بروسيا وكفّ شرّهم عن مملكة بولندا كانت مهمة فائقة الصعوبة نظرا لشراسة البروسيين وتمسّكهم بعقيدة أسلافهم، فعلى الرّغم من الدّعم العسكري الكبير الذي حصل عليه التّنظيم من الممالك المسيحية المجاورة، إلاّ أنّ فرسان سالزا واجهوا سلسلة من التمرّدات والانتفاضات العنيفة كان أخطرها الانتفاضة البروسية الثانية بين عامي 1260 و1274م التي كادت تعصف بوجودهم وتقتلع كيانهم من المنطقة، لكن وبحلول ثمانينيات القرن الثّالث عشر الميلاد قيّض للتّنظيم إخضاع القبائل البروسيّة وضمّها إلى فضاء غرب أوربا الكاثوليكيّة؛ وبهذا فإنّه وضع أسس دولة عظمى اصطلح عليها تاريخيا باسم دولة التنظيم"**Ordenstaat**"، امتدّت أراضيها من شمالي شرق ليفونيا إلى تخوم بوميرانيا الشّرقيّة(بوميراليا).

الواضح أنّ القوّة المتنامية لدولة فرسان اليتوتون في فضاء البلطيق شكّلت مصدر قلق القوى المجاورة وعلى رأسها دوقيّة ليتوانيا الكبرى ومملكة بولندا، حيث شكّلت الدوقيّة المستهدف الأوّل في سياسة التّنظيم الخارجيّة، فبعد فراغه من مهمّته في بروسيا ولّى الفرسان وجههم صوب ليتوانيا، آخر الجيوب الوثنيّة في البلطيق، وشنوا عليها عدّة حملات صليبية لإجبارها على اعتناق العقيدة الكاثوليكية، بيد أنّ جهودهم لم تأت بثمارها.

أمّا مملكة بولندا، التي لها فضل عظيم في وضع الفرسان التيوتون لأسس دولتهم، فإنّ العلاقات بين الطّرفين لم تلبث أن ساءت، وذلك بسبب الأطماع التّوسعيّة للتّنظيم في إقليم بوميرانيا، تلك الأطماع التي كانت تندرج ضمن مشروع كبير هدفه ربط الأراضي البروسية بأراضي الإمبراطورية الجرمانية المقدّسة وجعلها امتدادا لها، وهو المشروع التي نجحت الهيئة في تجسيده من خلال اقتطاعها لشرقي الإقليم المسمى بوميراليا وقاعدته مدينة دانزيغ من بولندا في عام 1309م.

إنّ هذا الخطر المشترك الذي هدد وجود دوقيّة ليتوانيا الكبرى ووحدة مملكة بولندا، كان يستوجب ضرورة تضافر جهود الطّرفين لاحتواء تهديد فرسان التيوتون وكسر شوكتهم؛ وفي ظلّ هذه الظّروف، فإنّ تحالفا

بين ليتوانيا وبولندا تمّ عقده في أوت/أغسطس عام 1385م سمي باتّفاق كريفو"Krewo"، وبموجبه أجبرت ليتوانيا على نبذ وثنيتها واعتناق المسيحية الكاثوليكيّة وتتويج دوقها جوجيلا ملكا على عرش بولندا الشّاغر تحت اسم فلاديسلاف الثّاني جاجيلو"Władysław II Jagiełło"(1386-1434م) في السنة الموالية.

الواقع أنّ مهمّة التنظيم في فضاء حوض البلطيق، والتي لطالما ارتبطت باسم الدّين، فقدت شرعيتها بعد اعتناق دوقيّة ليتوانيا العقيدة الكاثوليكية، وبات ميلاد اتّفاق كريفو يتعارض مع طموحات الفرسان التّوسعية الإقليمية التي تكشّفت بجلاء لأوربا، على أنّ هذا لم يثن الفرسان التيوتون عن السعي وراء مشروعهم الذي بدؤوه، وفي ذات الشّأن، فإنّ محاولة التّنظيم إخضاع أراضي ساموجيتيا"Samogitia" الثائرة على سلطته كان لها انعكاسات وخيمة، حيث شكّلت هذه الخطوة فرصة مناسبة للتّحالف البولندي - الليتواني لجرّ فرسان التيوتون إلى ساحات الحرب ومحاولة إضعافهم، وذلك من خلال دعم الثّورة الساموجيتية التي اشتدّ أوارها في عام 1409م.

ويبدو أن حالة الاحتقان الشّديدة التي طبعت العلاقات، لم تلبث أن تفجّرت في العام الموالي، وذلك حينما انخرط الطرفان في مرحلة التّحضير لتصفية الحسابات في إحدى أهم معارك العصور الوسطى في أوربا، وهي معركة تاننبورغ"Tannenberg" التي دارت رحاها في 15 جويلية/يوليو 1410م، وكانت بحق نكبة كبرى على هيئة فرسان التيوتون ذلك أنّ التّنظيم خسر أهمّ رجاله ، وجاءت هزيمة كرونوفو في نفس السنة لتعمّق جراح الفرسان وتجبرهم على الجنوح للسلم وتوقيع سلام ثورن الأوّل في عام 1411م الذي يجوز القول أنّ حنكة الهيئة الدبلوماسية تجلّت فيه وخرجت منه بأقلّ الخسائر.

ولم تكن الهزائم التي مني بها فرسان التيوتون في عام 1410م لتضع حدّا لأطماعهم في المنطقة، إذ سرعان ما انخرطوا في سلسلة حروب استنزاف خاصّة مع مملكة بولندا بسبب رفضهم تنفيذ بنود سلام ثورن الأوّل، وفي عام 1422م تلقّى التنظيم ضربة قاسمة أجبر إثرها على التّنازل على إقليم ساموجيتيا نهائيا بموجب معاهدة بحيرة ميلنو"Melno" التي كانت بنودها أخطر على مستقبل الفرسان.

في ظلّ حالة الوهن والتقهقر الذي حاق بدولة فرسان التيوتون منذ مطلع القرن الخامس عشر الميلادي لأسباب ذكرناها، فإنّ أهالي بروسيا الغربيّة خاصّة وجدوا فيها فرصة سانحة للانتفاض عن سلطة التّنظيم

وإعلان العصيان، وعمدوا إلى تشكيل قوّة سياسية تمثلهم سميت بالعصبة البروسية"Prussian League"، وقد تولّت هذه العصبة إشعال فتيل حرب الثلاث عشرة سنة في عام 1453م، ويبدو أنّ بولندا رأت في هذه الحرب فرصة سانحة لاسترداد إقليم بوميراليا والقضاء على دولة فرسان التيوتون واستئصال شأفتهم، وفي مطلع العام الموالي أعلن ملكها كازيمير الرابع"Casimier IV" الحرب على الفرسان كما أعلن بروسيا مقاطعة تابعة للتّاج البولندي.

كانت المحطة الحاسمة خلال هذه الحرب هي سقوط قلعة مارينبورغ التي تعدّ القاعدة المركزيّة لهيئة فرسان التيوتون في جوان/حزيران 1457م بفعل تواطؤ قوّات المرتزقة في صفوف الفرسان، وعلى الرّغم من أنّ هؤلاء تمكّنوا من الصّمود، إلاّ أنّ مسألة استسلامهم باتت شكليّة، فبعد سلسلة من الانتكاسات استنزفت فيها الهيئة كلّ طاقاتها وخسرت فيها الكثير فإنّها أذعنت أخيرا لسلطة بولندا وأجبرت على توقيع سلام ثورن الثّاني في 19 أكتوبر/ تشرين الأوّل عام 1466م الذي جرّدت بموجبه من معظم أراضيها في بروسيا الغربيّة وبوميراليا لصالح المملكة وأصبح يعرف فيما بعد ببروسيا الملكية مع حفاظها على شرقي بروسيا الذي بات يعرف بدوقيّة بروسيا مع تبعيّة التّنظيم المطلقة للتاج البولندي.

وهكذا فإنّ سلام ثورن الثّاني قد حسم صراعا امتدّ عقودا، خرجت منه مملكة بولندا سيّدةً على حوض البلطيق لا ينافسها في هذا الفضاء أحد، كما تعدّ بنوده بمثابة شهادة وفاة لنشاط هيئة فرسان اليتوتون العسكري في منطقة البلطيق.

في ختام هذه الدّراسة المتواضعة، وبعد استعراض تاريخ هيئة فرسان التيوتون ونشاطها في منطقة حوض البلطيق يمكن القول بأنّ الجماعة الألمانيّة قد تركت بصمات راسخة في تاريخ الصّراع المسيحيّ والوثنيّ في البرّ الأوربي وهذا على غرار ما تركته تنظيمات الدّاوية والاسبتارية في تاريخ الصّراع المسيحي الإسلامي بالشّرق الأدنى، وعلى ضوء هذه الدّراسة انتهيت إلى استنباط مجموعة من النتائج والحقائق قد تضفي مزيدا من الوضوح للموضوع ومنها ما يلي:

. أنّ وجود علاقة بين المشفى الألماني الذي أنشئ بعكّا والمشفى الذي شيّد في القدس في أواخر عشرينيات القرن الثاني عشر الميلادي مستبعدة تماما وأنّ احتمالية استقلالية مشفى عكا يبقى أمرا واردا جدّا ومنطقيا أكثر خاصة في ظلّ صمت المصادر وغياب حجج تاريخية حول هذه المسألة.

. ترجّح الدّراسة أنّ الهدف من إنشاء المشفى الألماني بعكّا جاء لاعتبارات خيرية وأنّ الجماعة الألمانية لم تشرئب إلى الشّؤون الحربية قبل سنة 1198م حين تمّ إضفاء الصبغة العسكرية عليها وتكليفها بحمل السّلاح، أمّا الطّابع العسكري للتّنظيم فقد برز فعليا في الشرق الأدنى الإسلامي منذ الحلمة الصّليبية الخامسة على مصر أثناء أعمال حصار مدينة دمياط، وفي هذا الصّدد يبقى السّؤال مطروحا حول مدى إسهام تنظيم الفرسان اليتوتون في الدّفاع عن المدن والمعاقل الصّليبية في الأراضي المقدّسة ببلاد الشّام.

. في الحقيقة، لا يوجد مجال للمقارنة بين نشاط تنظيمي الداوية والاسبتارية ونشاط الجماعة الألمانية في الأراضي المقدّسة، فعلى الرغم من الوتيرة السريعة التي ذاعت بها سمعة الفرسان اليتوتون، إلاّ أنّ ذلك لم يكن كافيا ليمكّنهم من مزاحمة ومنافسة تنظيمي الداوية والاسبتارية في بلاد الشّام، الأمر الذي دفعهم لتغيير مجال نشاطهم حين أتيحت لهم الفرصة.

. من المؤكّد أنّ قبول هرمان فون سالزا للعرض المجري الذي قدّم له من طرف الملك أندرو الثّاني في سنة 1211م كان قرارا حاسما في تاريخ الجماعة الألمانية لكونه سمح بوضع أولى أقدامها في ربوع أوربا من بوابة ترانسلفانيا ومهّد لمرحلة جديدة أضحى فيها الفرسان التيوتون أكثر ارتباطا بأوربا منها إلى بلاد الشّام خاصّة بعد سقـوط مملكة عكّا الصليبية.

. الواقع أنّ تجربة فرسان التيوتون في الأراضي الترانسلفانية لم تكن فاشلة بكل المقاييس لأنّها ساعدتهم كثيرا على اكتشاف جغرافية أوربا الوسطى وطبيعتها والاحتكاك بشعوبها وهو ما اكسبهم خبرة عسكرية وحنكة دبلوماسية أكبر تجلّت في مهمتهم المقبلة بمنطقة حوض البلطيق الجنوبية. ومما لا شكّ فيه أنّ نجاح التّنظيم في درء خطر عناصر الكومان الوثنيين وحماية تخوم مملكة هنغاريا كان له الفضل في ذياع صيت الفرسان في ربوع أوربا كلّها، حيث لم يكن طردهم من ترانسلفانيا ونفيهم من أراضي المملكة في سنة 1225م خاتمة نشاطهم في أوربا بل هو بداية توغّلهم أكثر فأكثر في شرقي أوربا الوسطى.

. في غضون ذلك، كانت شعوب حوض البلطيق الجنوبية تموج بتغيّرات وتطوّرات سياسية، عسكرية ودينية عميقة، حيث بات الصّراع بين الوثنية والمسيحية والبربرية والحضارة قائما على أشدّه هناك، ففي الوقت الذي أخذت ألمانيا ومملكة بولندا بدرجة أكبر على عاتقهما مهمة تنصير الشعوب البلطية المجاورة وفشلهما في تحقيق ذلك، شكّلت ليتوانيا رأس حربة الوثنية وسدّا منيعا في مواجهة المدّ المسيحي القائم على أساس العقيدة الكاثوليكيّة.

. إنّ هذا الواقع أملى على مملكة بولندا ضرورة الاستنجاد بالفرسان التيوتون نظرا للسمعة الطّيبة التي كانوا يتمتّعون بها، وقد شكّل هذا العرض بولندي الذي قدّمه كونراد الأوّل دوق ماسوفيا وكويافيا للمقدّم الأوّل هرمان سالزا في سنة 1226م فرصة ثمينة لا تعوض للتّنظيم للولوج إلى أوربا مجدّدا من بوابة بروسيا الوثنية هذه المرّة، لكن بطموحات فياضة وضمانات أكبر تمّ صياغتها في ميثاقين هامين، أوّلهما تشريع ريميني الذّهبي" The Golden Bull of Rimini"(1226م) قبل بدء مأموريتهم، وثانيهما وثيقة جسر كروشفيك "Kruszwica" (1230م) التي جاءت بعد حملات استطلاعيّة قادها التّنظيم التيوتوني.

. الواضح أنّ تشريع ريميني الذّهبي ووثيقة جسر كروشفيك تعدّان ميثاقين أساسيين بنى عليهما تنظيم الفرسان التيوتون "دولته الإقليمية الشّرعية" التي فشل في إرساء دعائمها في بلاد الشّام وترانسلفانيا، وذلك بفضل حنكة المقدّم هرمان فون سالزا الذي ضمن للجماعة الألمانية ممارسة سيادتها على أراضيها الجديدة دون مخاوف من إمكانية تكرار التّجربة الترانسلفانية أين خرج التّنظيم خالي الوفاض وشجّعه في ذلك الدّعم المطلق الذي ناله من طرف الإمبراطورية الجرمانية المقدسة والبابوية.

. وإذا غلغلنا النّظر في مهمة تنظيم الفرسان التيوتون في بروسيا التي استهلها منذ ثلاثينيات القرن الثّالث عشر الميلادي، فمما لا شكّ فيه أنّها لم تكن سوى إعادة بعث مشروع أسلافهم لإخضاع الشّعوب المجاورة وامتدادا لحركة التّـوسع الألمانية صـوب الشّرق"**Ostsiedlung** " على حساب الشّعوب السلافية والبلطية.

. الحقيقة أنّ الجماعة الألمانية بلغت نجاحا باهرا في تحقيق أطماعها حيث تمكنّت من غزو أجزاء واسعة من أراضي ما وراء نهر الفيستولا لا ينازعهم فيها أحد بعدما مارسوا خلال عقود من الزّمن في حقّ شعوبها كافّة

مظاهر القمع والإبادة، وفي ذات السياق، فإنّه لا يمكن بأي حال من الأحوال الفصل بين الحركتين الصّليبية والاستيطانية التي تزعّمها الفرسان التيوتون إذ جمعوا بين حدي السيف والصّليب والعنف والتّبشير.

. ولا يخفى للدّارس أيضا أنّ الفضل في انتصارات الجماعة الألمانية ضدّ القبائل الوثنية البروسية وتثبيت أقدامها في المنطقة يعود إلى الدّعم الكبير الذي حصلت عليه من الأمراء البولنديين والألمان وكذا من مساندة البابوية لها، وليس من المبالغة إذ قيل بأنّه لولا دعم مملكة بولندا للتّنظيم لما بلغ هذا الأخير من القوّة والعظمة ولما استطاع الصّمود أمام عناد وشراسة البروسيين.

. إنّ مساعي الفرسان اليتوتون تكرار تجربة تنصير القبائل البروسية على دوقيّة ليتوانيا الكبرى لم تكلل بالفشل الذريع فحسب، بل إنّها أخذت منحى آخر حيث أثّرت السياسة العدائية للتّنظيم تجاه ليتوانيا على سمعته في ربوع أوربا وكشفت بجلاء عن أطماعه التّوسعيّة في المنطقة، خاصّة بعد اعتناق الليتوانيين العقيدة الكاثوليكية إثر تحقيق الوحدة مع مملكة بولندا سنة 1386م، ضف إلى ما انجرّ عن اتّفاق كريفو من قلب موازين القوى الإقليمية لصالح خصوم الفرسان التيوتون.

. الذي يمعن النّظر في السياسة الإقليمية للجماعة الألمانية يدرك دون شكّ أنّ فراغ الفرسان من مهمتهم في بروسيا أنهى آخر سبب لوجودهم في المنطقة بأسرها وهذا معناه القضاء على مستقبلهم السياسي بعدما كانوا يستندون في وجودهم هناك على قتال وتنصير الوثنيين، وبالتّالي فإنّ اختلاق دواع لمواصلة حربهم على ليتوانيا كان مطلبا حتميا واستراتيجيا للحفاظ على كيانهم واستمراريتهم وهذا عوض التسليم بهزيمتهم.

. ومن أهمّ النتائج التي توصّل إليها البحث هي أنّ معركة تاننبورغ (1410م) وضعت حدّا لمشروع التّوسع صوب الشّرق المجسّد في شعارهم المألوف"Ostsiedlung" الذي كان قد استهله الألمان منذ ثلاثة قرون أي قبل وضع الفرسان التيوتون أقدامهم في المنطقة. وإنّ تهاوي التّنظيم بعد تاننبورغ راجع بدرجة أكبر إلى انهيار قوّته العسكرية وشغور المناصب القيادية التي كان من الصّعب تعويضها، فضلا عن الأزمات المالية الكبرى التي سببها البولنديّون، بيد أنّ مكمن الضّعف والوهن يكمن فيما برز من توتر حاد بين التّنظيم ورعاياه بلغ طريقا مسدودا بفعل سياسة القمع التي انتهجها قادته.

. لاشكّ أنّ سياسة جرمنة بروسيا من طرف الفرسان التيوتون نجحت إلى حدّ بعيد حيث قطعت كلّ صلّة للبروسيين بهويتهم نتيجة استيعابهم واحتوائهم في وعاء الثقافة الجرمانية، فاندثرت لغتهم وعاداتهم وتقاليدهم وطمست هوّيتهم تماما، فيما شذّ عنهم جيرانهم اللاتفيون الذين قدّر لهم الإفلات من تأثير الإشعاع الثقافي الألماني نتيجة ضعفه ونجحوا في الحفاظ على مقوّمات هويتهم.

ومهما يكن من أمر هذه الحقائق التّاريخيّة، فإنّ الإنجازات الحضارية التي حقّقها فرسان التيوتون، تدفع إلى الإقرار بأنّ فترة تواجد هذا التّنظيم في منطقة حوض البلطيق، يعدّ صفحة مشرقة في تاريخ هذه المنطقة ما بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر الميلاديّين، هذا على الرّغم من الطّابع التّوسعي والاستيطاني الذي اتّسم به هذا التّواجد. وفي هذا الصّدد يجب التّنويه بالحيويّة الدّافقة وروح المغامرة الفيّاضة والقابليّة الملحوظة على المواجهة والإصرار والتّحدي التي تحلّى بها الفرسان التيوتون ممّا سمح لهم بالاندفاع نحو مجاهل حوض البلطيق وترك بصماتهم على أرجائها.

ومن باب الإنصاف، ينبغي الاعتراف بالدّور الحضاري الملموس الذي اقترن بحركة توسّع هؤلاء الألمان في منطقة البلطيق، حيث نجح تنظيم التيوتون في الانتقال بهذه الأخيرة من ظلمات الجهل والفوضى والانحطاط إلى أنوار المدنيّة والتّحضّر. وإذا كان هذا التّوسّع الجرماني فيما وراء نهر الأودر قد حوّل فضاء البلطيق إلى ميدان خصيب للصّراع العرقي والدّيني بين العنصرين السلافي والجرماني، وإذا كان هذا التّوسّع الجرماني أيضا، قد صاحبه دمار واسع ومآس مؤلمة ومعاناة مريرة تحمّل أوزارها الثّقيلة سكانها الأصليّون إلاّ أنّ هذه المنطقة سجّلت في عهد حكم التيوتون تحوّلات جيوسياسيّة بالغة الأهمّية وتطوّرات اقتصاديّة وثقافية وعمرانية ملحوظة مازالت بعض آثارها قائمة حتّى اليوم، إنّها حقيقة تاريخيّة يشهد لها المؤرّخون البولنديّون أعداء التيوتون الألدّاء. وعلى ضوء هذا الواقع السّاطع، هل ستشفع هذه الإنجازات التّاريخيّة لتنظيم فرسان التيوتون وتضمن لهم الثّناء والتّقدير في سجلّ حضارة عالم البلطق؟.

الملاحق

الملحق رقم(1):

قائمة بأسماء مسؤولي المشفى قبل تحوله إلى تنظيم عسكري 1198م.

1 . سيبراند"Sibrand"

2 . كونراد"Conrad" وبوركهارد"Burkhard"

3. جيرارد"Gerhard"

4 . أولرخ"Ulrich"

5 . هرمان والبوت"Heinrich Walpot".

الملحق رقم(2):

قائمة الحضور في اجتماع سنة 1198م.

كان من بين الحضور أيضا رؤساء أساقفة مدينة النّاصرة، صور وقيصارية، مطران بيت لحم وعكّا، المقدّم الأوّل لهيئة الدّاوية وكذا الإسبتاريّة، رودولف"Rudolph" لورد طبريّة وشقيقه هوغ"Hugh"، رينالد"Rainald" لورد صيدا، إيمار"Eymar" لورد مدينة قيصارية وجون أوف إيبلن "John of Ibelin". وأيضا كونراد Conrad رئيس أساقفة مدينة ماين"Mainz"، وكونراد"Conrad" أسقف فورزبورغ" Wurzburg "، وفولغروس"Wolgerus" مستشار الإمبراطور وأسقف باسو"Passau" الذي أضحى فيما بعد بطريرك مدينة أكيلي"Aquilea". أساقفة هالبرستادت"Halberstadt" وتزايتس "Zeitz"؛ والموظّفين الملكيّين لبلاط الرّاين"Rhine" وبرونسفيتش"Brunswick"، فريدريك دوق أوستريا "Frederick of Austria"، الدوق هنري أوف باربانت"Duke Henry of Brabant" قائد الجيش؛ هرمان الكونت الملكي"Herman" لسكسونيا"Saxony" والمأمور الإمبراطوري(القاضي الممثّل لسلطة الإمبراطور) في ثورينجيا"Landgrave of Thuringia". وكونراد"Conrad" حاكم لاندسبورغ العسكري"Margrave of Landsberg"، ثيودوريك "Theodoric" والحاكم العسكريّ لمايسين"Margrave of Meissen"، ألبرت"Albert" والحاكم العسكريّ لبراندنبورغ"Brandenburg Margrave of"، القائد الأكبر الإمبراطوري، المارشال هنري أوف كالدن"Henry of Kalden". كما حضرت فلول جيش هنري السّادس. ارجع إلى:

Narrcio de primordiis ordinis Theutonici, In Sterns, P. 24.

الملحق رقم (4)

قائمة بأسماء مقدّمي هيئة فرسان التيوتون في الأراضي المقدّسة بعد عسكرة التّنظيم(1198م).

- هنري والبوت"Heinrich Walpot von Bassenheim"(قبل 1208م)

. أوتو فون كاربن"Otto von Kerpen"(1208م)

. هنري فون تونا"Heinrich von Tunna"(1208.1209م)

. هرمان فون سالزا"Hermann von Salza"(1209.1239م)

. كونراد فون ثورنجن"Konrad von Thüringen"(1239.1240م)

. جيرارد فون مالبورغ"Gerhard von Malberg"(1240-1244م)

هنري فون هوهنلوه"Heinrich von Hohenlohe"(1244.1249م)

. غونثر فون فولر سلابن"Gunther von Wüllersleben"(1249.1252م)

. بوبو فون أوسترنا"Poppo von Osterna"(1252.1256م)

. آنو فون سانجر هاوزن"Anno von Sangershausen"(1256.1273م)

. هرمان فون هلدرونج"Hartmann von Heldrungen"(1273.1282م)

. بورشارد أوف شفاندن"Burchard von Schwanden"(1282.1290م)

. كونراد فون فويختفاجن"Konrad von Feuchtwangen"(1290.1297م).

الملحق رقم(5):

شعارات النبالة لدى تنظيم فرسان اليتوتون في أوربا.

(1) انظر: Urban, The last years, P.142.

الملحق رقم(6):

قائمة بأسماء مقدّمي جماعة الفرسان التيوتون في بروسيا بعد سقوط مملكة عكّا 1291م.

كونراد فون فوختفاجن"Konrad von Feuchtwangen"(1290-1297م).

جودفريد فون هوهنلوه"Gottfried von Hohenlohe"(1297-1303م)

سيجفريد فون فوختفاجن"Siegfried von Feuchtwangen"(1303-1311م)

كارل فون ثيري"Karl von Trier"(1311.1324م)

وارن رفون أورسلن"Werner von Orseln"(1324.1330م)

لوثر فون برونشفيج"Luther von Braunschweig"(1331.1335م)

ديتريش فون ألتنبورغ"Dietrich von Altenburg "(1335.1341م)

لودولف كونيغ"Ludolf König von Wattzau"(1342.1345م)

هنري دوسمر"Heinrich Dusemer"(1345.1351/1352م)

هنري فون كونيبرود"Winrich von Kniprode"(1352.1382م)

كونراد زولنر فون روتنشتاين"Konrad Zöllner von Rotenstein"(1382.1390م)

كونراد فون والنرود"Konrad von Wallenrode"(1391.1393م)

كونراد فون جونجينجن"Konrad von Jungingen"(1393.1407م)

أولريخ فون جونجينجن"Ulrich von Jungingen"(1407.1410م)

هنري فون بلاون"Heinrich von Plauen"(1410.1413م)

ميشال فون كوتشميستر"Michael Küchmeister von Sternberg"(1414-1422م)

بول فون روسدورف"Paul von Rusdorf"(1422-1441م)

كونراد فون إيرلكسهاوزن"Konrad von Erlichshausen"(1441-1449م)

لويس فون إيرلكسهاوزن"Ludwig von Erlichshause"(1449-1467م)

الملحق رقم(7):

قائمة بأسماء أسياد بروسيا.

هرمان بالك"hermann balk"(1230.1239م)

بوبو فون أوستيرنا"Poppo von Osterna"(1241.؟)

هنري فون ويدا"Heinrich von Weida"(1242.1244م)

بوبو فون أوستيرنا"Poppo von Osterna"(1244.1247م)

ديتريش فون غرونينجن"Dietrich von Gruningen"1247.1258م)

هرتموت فون جرونباخ"Hartmut von Grumbach"1259.1262م)

هلمريش فون روشنبورغ"Helmerich von Rechenberg"(1262.1263م)

لدويغ بالدرشايم"Ludwig von Beldershiem"(1264.1269م)

ديتريش فون غايترشلابن"Dietrich von Gatersleben"(1271.1273م)

كونراد فون ثيربورغ"Konrad von Thierberg"(1273.1277م)

كونراد فون فوختفاجن"Konrad von Feuchtwangen"(1279.1280م)

مانغولد فون شتيرنبورغ"Mangold von Sternberg"(1280.1282م)

كونراد فون ثيربورغ"Konrad von Thierberg"(1284.1287م)

ماينهارد فون كورفورت"Meihard von Querfurt"(1288؟-1299م)

كونراد فون بابمبورغ"Konrad von Babenberg"(1299-1299م).

لدويغ فون شيبن"Ludwig von Schippen"(1299-1301م).

لدويغ فون جولدباخ"Ludwig von Goldbach"(1301-1302م)

كونراد ساخ"Konrad Sack"(1302-1306م).

سيجارد فون شفارزبورغ"Siegahard von Schwarzburg"(1306-1306م).

هنري فون بلوتزك"Heinrich von Plotzkau"(1307-1309م).

الملحق رقم (8):

عملات تنظيم فرسان التيوتون.

قطع نقدية ترجع لعصر السيد الكبير لمنظمة الفرسان التيوتون وينريش فون كنيبيروده (١٣٥١-١٣٨٢)

قطعة نقود ترجع لمنظمة فرسان السيف في ليفونيا عام (١٢٢٥)

قطعة نقود ترجع لعصر كونراد دوق مازوفيا (١٢٢٣) وتصوره كمحارب صليبي متوجه إلى بروسيا

قطعة نقود خاصة بالفرع الليفونى لمنظمة الفرسان التيوتون ترجع لعام (١٢٥٤)

(1) محمد السيّد رشوان، المرجع السابق، ص262.

الملحق رقم(9):

تحذير يصل إلى أحد قادة الفرسان التيوتون في مقاطعة كولم باقتراب وصول جيش ليتواني كبير يجتاح بروسيا، في ٨ يونيو عام ١٢٩٤.

Religioso viro fratri Johanni commendatori provinciali terr Chulmensis frater *Gunther* vices suas gerens obedientiam voluntariam e devotam. Noveritis proxima feria tercia infra octavas pentecostes duo nuncios commendatoris de Schonense de solitudine venisse, qui dicun quod magnus et validus exercittus paganorum procedat versus terran Chulmensem et ob metum illorum omnes, qui sunt in terra Mazouie fugierunt(!) ad municiones. Asserunt etiam amicissimi commendatoris d Schonense, sicut retulit nobis suus nuncius Crimal, quod predictu exercitus terram Chulmensem modis omnibus velit devastare. Insupe viderunt nostri speculatores XX personas equites, quod convicimus, quo illi de predicto exercitu venerint ad capiendum nostros speculatores et ac vias et exitus viarum perlustrandum. Quapropter de consilio fratrum precepimus custodiam terre convenire et homimes ad municione confugere rogantes etiam obvius et devote, quatenus vestrum adventum, u cicius poteritis, ad nos velitis maturare scientes, quod illi, qui pecora homines et iumenta domini episcopi et canonicorum spoliarunt, duos melioies de nostris speculatoribus occiderunt, licet alii loco illorum sin conventi.Litera sine mora de domo ad domum mittatur. Insuper usque ac magistrum mittatur sine mora.

لمصدر:

Preussisches Urkundenbuch, Bd. I, Heft 2, Nr. 628.

لترجمة العربية:

إلى الأخ التقي يوحنا قائد مقاطعة كولم، من الأخ جونتر نائبه المخلص والمطيع. لقد جاء رسولان من منطقة المستنقعات[1]، إلى قائد شونينسي[2] وأخبراه بأن جيش كبير وقوي من الوثنيين يتقدم نحو أراضي كولم، وأن نصف شعب مازوفيا قد لاذ بالفرار. وعندما أخبر هؤلاء الأصدقاء قائد شونينسي، أرسل إلينا رسوله كريمال، لنحذركم بأن ذلك الجيش المذكور قد اعتزم تدمير أراضي كولم بأية طريقة. علاوة على ذلك، فإن كشافينا قد شاهدوا عشرين فارساً، نعتقد أنهم من هذا الجيش، قد تقدموا لفحص الطريق المؤدي إلى هدفهم. وعليه، وبناءً على نصيحة إخواننا، فقد قمنا باستدعاء الجيش، ونصحنا الناس بالاحتماء في الملاجئ. لذا نطلب منك أن تأتي بأسرع ما يمكن، لأن العدو يعمل كل ما في وسعه لتدمير الممتلكات وقتل الرجال. كما أنهم قتلوا اثنين من أفضل كشافينا، لذلك نرجو منك جلب مزيد من الرجال. عاجل مني إليك، ونقله إلى سيد بروسيا.

(1) نقلا عن محمد السيد رشوان، المرجع السابق، ص 248.

الملحق: رقم 10

Stephen Turnbull , Crusader castles of the Teutonic knights the stone castles of Lativia and Estonia 1185-1560, , P.48.

الفهارس

فهارس الأعلام

إبرهارد أوف ساين(مقدّم أوّل): 37.

ألبرت فون بوكسهوفدن(أسقف): 66-67.

ألجيرداس(دوق ليتوانيا): 118، 136، 137.

ألفونسو الاوّل(ملك): 20.

ألفونسو العاشر(ملك): 53.

أنابيس سيلفيوس بيكولوميني: 192.

أندرو الثاني(ملك): 44-46، 69- 72.

إنوسنت الثالث(بابا): 33-34، 36، 42، 44، 60، 66-67، 81.

أوتوكار الثاني (ملك): 96، 102.

أوربان الرابع: 94، 99.

أولرخ فون جونجينجن(مقدّم أوّل): 139، 141، 141، 142، 146،143-147.

أوليفر أوف بادر بورن(مؤرخ): 46، 51.

بارثولوميو كاربي(مبعوث بابوي): 156.

برونو من كوتفورت: 169.

بول الثاني(بابا): 162.

بول فون كوروسدروف(رئيس الفرع الليفوني): 158-159.

بوليسلاف الأوّل الرهيب(ملك): 59، 74 .

بوليسلاف الثالث ويرموث(ملك): 73.

بوليسلاف الثاني(ملك): 122.

بيتر أوف دوسبورغ(راهب ومؤرّخ): 38، 92، 124، 193.

بيلا الرابع(دوق):71-72، 96.

تراينديس(دوق): 112، 113 .

جادويغا(ملكة): 133-134.

جاك(يعقوب) الفيتري(أسقف ومؤرّخ): 22-47،23-48.

جان برين(ملك بيت المقدس): 45، 47.

جديميناس(دوق ليتوانيا): 111، 116، 127.

جريجوري التاسع: 33، 42، 44، 76-78، 83، 88، 89.

جريجوري السابع(بابا): 16

جريجوري العظيم الأوّل(بابا): 14.

جلبرت هورال(مقدّم الدّاوية): 33.

جوفري من شارني(فارس): 16.

جون الثالث والعشرون(بابا): 128، 155.

ديتريش فون بورنهايم(ماريشال): 83-84، 92، 99.

روبرت بطريرك بيت القديس: 38.

روجر أوف واندوفر(مؤرّخ): 49.

رودلف رودشايم(ممثل بابوي): 162.

سامبور: 92.

سكوماند(زعيم سودوفيا): 105.

سكيرغايلا: 136.

سلفستر الثاني(بابا): 169.

سوانتوبلك(دوق): 90، 92، 112، 123، 124.

سيبراند: 26،31.

سيجسموند كوريبوت: 158.

سيجسموند ملك هنجاريا: 140، 149، 150، 156، 157، 185.

سيجفريد فون فوتشفاجن(مقدّم أوّل): 126.

سيمون الثاني ساربروكن(كونت): 47.

شارل روبرت ملك هنجاريا: 129،127، 133.

صلاح الدّين الأيوبي: 25، 27.

عموري الثاني(ملك بيت المقدس): 32.

غاي من لوسينيان: 28، 31، 32 .

فانسيسلاف الرابع: 140.

فريدريك الثاني(الامبراطور): 52، 26، 28، 42، 52، 75، 76.

فريدريك بربروسة(إمبراطور): 25.

فريدريك دوق سوابيا: 26، 27، 28، 29.

فريدريك فون والنرود(ماريشال): 145، 147.

فلاديسلاف الأوّل لوكيتيك(ملك): 117، 120، 124، 125، 126، 127، 128،

فلاديسلاف الثاني جاجيلو: 132، 134، 136، 137، 139، 143، 144، 145، 148، 149، 150، 151، 152، 156، 158، 160.

فولديمار مارغراف براندنبورغ: 124، 126.

فولفجر أوف باسو(مطران): 33.

فيتولد(دوق ليتوانيا): 136، 137، 139، 143، 145، 154، 155، 156، 157، 158.

القديس توماس أكيناس: 191.

القديس توماس بيكيت: 19، 31، 36.

كازيمير الرابع(ملك): 160، 161، 163.

كريستيان أوف أوليفا(أسقف): 73، 81، 84، 85، 87.

كوزيمير الثالث(ملك): 117، 128، 129.

كونراد الأوّل دوق ماسوفيا: 67، 73-77، 81، 84، 119،

كونرادفون تيربورغ(ماريشال): 103-104.

كونرادفون لاندسبورغ: 82، 84.

كيستوتيس(دوق): 136-137.

لودويغ فون بالدرشايم: 100.

لويس الأوّل(مللك): 129، 132، 133.

لويس الرابع: 128.

لويس فون إيرلكسهاوزن: 161، 163.

لويس فون إيرلكسهاوزن: 161، 163.

ليوبولد السادس(دوق النمسا): 45، 47.

ماثياس أوف تراكاي: 156.

مارتن لوثر: 188.

مستوين(دوق): 100.

الملك الكامل: 49، 50، 51، 52.

ميزكو الأوّل: 73، 120، 121، 123.

ميزكو الثاني(ملك): 123.

ميشال جونج(أسقف): 170.

ميشال كوتشميستر فون شتيربورغ(مقدّم أوّل): 153، 154، 155.

نيكوس أوف جيروشين: 79، 87، 93، 97، 193.

هاكون الرّابع: 96.

هانس فون بايزن(ممثل العصبة البروسيّة): 160.

هرمان بالك: 84، 85، 87، 90.

هرمان سالزا: 28، 44، 45، 46، 47، 48، 51، 57، 69، 70، 71، 74، 75، 76، 81، 82، 83، 84، 85، 87، 88، 89، 90، 97، 179.

هرمان والبوت: 33.

هلمريش فون فورزبورغ: 99.

هنري الثالث كونت مايسن: 88.

هنري السادس: 25، 31، 33، 52.

هنري فون بلاون: 144، 153، 154.

هنري مونت: 104.

هنري مونت: 98-102،99.

هونوريوس الثالث(بابا): 42، 44، 47، 48، 71، 76، 83.

هيو دي باينز(مؤسس الداوية): 18-19.

وارنر فون أورسلن(مقدّم أوّل): 37.

وليام أوف مودينا(ممثل بابوي): 83، 88.

يوحنا المتصدق: 14-15.

يوحنا فورزبورغ: 18.

يوحنا ملك بوهيميا: 117.

فهرس الشّعوب والقبائل والجماعات

الإسبتارية: 15، 18، 19، 20، 22، 23، 24، 28، 32، 34، 35، 36، 37، 38، 44، 53، 57.

الألمان: 22، 23، 24، 27، 28، 29، 33، 34، 37، 40، 45، 61، 62، 66، 68، 72، 84، 88، 89، 101، 103، 104، 110، 118، 119، 120، 136، 145، 152، 162، 165، 168، 172، 175، 176، 179، 181، 183، 184، 186، 187، 188، 189، 193.

الأنجيفية: 129، 133.

البروسيون: 63، 65، 70، 73، 75، 79، 80، 81، 84، 86، 87، 88، 89، 90، 91، 92، 93، 94، 97، 98، 99، 100، 102، 103، 105، 112، 113، 151، 153، 159، 160، 161، 169، 170، 171، 173، 183، 184، 187، 191، 192.

البلط(قبائل): 57، 63، 64، 65، 81، 112، 113، 169، 175، 180، 182، 186، 187، 188، 189.

بياست: 67، 112، 117، 123، 128، 133.

التتار: 70، 112.

الدّاوية: 18، 19، 20، 22، 23، 24، 28، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 38، 40، 41، 42، 43، 46، 48، 51، 53، 56، 57، 59، 69، 70، 72، 83، 91.

دوبرزين: 21، 68، 73، 81، 84، 89.

السلاف: 57، 58، 59، 62، 63، 82، 113، 121، 123، 139، 167، 175، 186، 187، 188.

الكورونيون: 63.

الكومان: 70.

اللاتفيون: 63 .

الليتوانيون: 63، 64، 67، 81، 97، 100، 103، 111، 112، 113، 114، 117، 118، 130، 133، 134، 137، 143، 144، 145، 146، 147، 148، 149، 150، 160.

الليفونيون: 67.

المغول: 90، 112، 311.

الهسيين(طائفة): 157-156.

فهرس الأماكن

استونيا: 60، 97، 129، 174، 182.

أفينيون: 128، 155.

إكسكول: 64.

الألب(نهر): 59، 62، 63، 70، 178، 189.

إلبينغ: 88، 99، 103، 125، 150، 160، 162، 180، 192.

ألمانيا: 22، 24، 25، 26، 29، 71، 83، 86، 93، 97، 100، 114، 119، 120، 121، 128، 140، 160، 168، 177، 178، 179، 188، 192.

الأندلس: 20، 60.

أوثولوشيا: 104.

بارتنشتاين: 102، 172.

بارثيا: 89، 97، 102.

بالغا: 89، 90، 99، 100، 150.

براندنبورغ: 63، 82، 97، 102، 121، 124، 125، 126، 127، 133، 162.

بروخلاداني (نهر): 100.

بروسيا: 37، 53، 73، 78، 79، 81، 83، 84، 85، 86، 87، 88، 89، 92، 94، 95، 96، 97، 98، 99، 100، 102، 103، 104، 109، 112، 113، 114، 116، 117، 119، 142،

144، 148، 149، 150، 151، 152، 154، 155، 157، 159، 160، 160، 162، 163، 168، 169، 170، 171، 172، 173، 174، 176، 177، 178، 182، 183، 184، 185، 186، 187، 188، 189، 190، 192، 193.

بريمن: 26، 27، 29، 170، 183، .

بوجيسانيا: 87، 97، 102، 103.

بودوليا: 116.

بورزلاند: 70، 71، 72.

بوسكوفيا: 116 ، 140.

بولندا: 59، 61، 63، 67، 73، 74، 75، 79، 86، 88، 94، 97، 100، 103، 109، 111، 113، 116، 117، 119، 120، 121-128، 130-169، 176، 177، 180، 186، 191.

بوميراليا: 86، 87، 92، 93، 94، 97، 100، 102، 121، 123، 124، 125، 126، 127، 129، 130، 160، 162، 181.

بوميرانيا: 63، 79، 87، 97، 109، 120، 121، 123، 124، 126، 140، 141، 160.

بوميسانيا: 86، 88، 97، 98، 171.

بوهيميا: 26، 96، 109،97، 114، 117، 120، 123، 125، 127، 128، 139، 140، 143، 149، 155، 156، 157.

بيبوس (بحيرة): 90.

تاننبورغ: 136، 142، 144، 145، 147، 151، 152، 153، 154، 157، 187.

تراكاي: 118، 137.

ترانسلفانيا: 69، 71، 72، 73، 74، 83.

ثورن: 85، 90، 93، 99، 103، 150، 151، 153، 154، 156، 157، 159، 162، 163، 172، 177، 179، 180، 185، 190، 191، 192.

ثورينجيا: 26.

دانزيغ (غدانسك): 63، 120، 121، 124، 125، 126، 149، 159، 160، 161، 162، 172، 177، 180، 181، 182-185، 190، 192.

الدانمارك: 63، 121، 129، 140، 177، 182.

درويكا (نهر): 74، 144.

الدفينة(نهر): 64.

دمياط: 44، 45، 46، 47، 48، 49، 50، 51.

دوبرزين: 21، 68، 74، 83، 86، 91، 126، 128، 136، 151.

دوربات: 90، 173.

ديرشو: 126.

روثينيا: 113، 134.

روسيا: 64، 90، 97، 113، 116، 150.

ريدن: 87، 103.

سامبيا: 79، 97، 99، 102، 104، 170، 171، 181.

ساملاند: 96.

ساموجيتيا: 97، 104، 111، 113، 114، 116، 123، 136، 137، 139، 141، 151، 152، 156، 157، 158.

ستيتن: 121، 141.

سودوفيا: 75، 79، 102، 103، 104، 113.

السويد: 63، 140.

سويزي: 148.

سيرجون (نهر): 87، 93.

سيليزيا: 59، 128، 120، 139.

شتاركنبورغ: 41.

العادلية: 50.

عكّا: 19، 22، 23، 24، 26، 27، 28، 29، 30، 31، 33، 34، 36،41، 44، 45، 46، 47، 57، 98، 193.

غاليسيا: 45، 79، 90، 98.

غرونفالد: 142.

فلينيوس: 118، 134، 136، 147.

فوجلسانغ: 82، 83.

فولينيا: 79، 90، 116، 117.

الفيستولا: 63، 65، 74، 75، 79، 81، 82، 83، 85، 86، 88، 92، 94، 109، 120، 121، 126، 143، 169، 179، 180، 187.

كرابات (جبال): 69.

كراكوف: 67، 73، 74، 117، 120، 124، 125، 126، 128، 133، 143، 147، 191.

كروزبورغ: 99.

كروزفيك: 77، 78.

كروكن: 94.

كرونوفو: 150-151.

كريستبورغ: 93، 94، 99، 148، 170.

كولم(كولمرلاند): 67، 74، 75، 77، 78، 79، 81، 82، 84، 85، 86، 87، 92، 93، 100، 103، 125، 127، 159.

كوناس: 118.

كونيغسبورغ: 96، 99، 102، 149، 183، 192.

كويافيا: 86، 100، 127.

لوبك: 26، 117، 121، 151، 177، 178، 180.

ليتوانيا: 64، 79، 96، 97، 98، 102، 109-164، 181، 186-187.

ليفونيا: 57، 64، 66-68، 83، 86، 89، 97، 99، 109، 111، 114، 130، 140، 149، 150، 173، 174، 182، 189.

مارينووردر: 86، 90.

ماسوفيا: 67، 73، 74، 76، 79، 83، 84، 86، 100، 112، 119، 120، 127، 133.

هنغاريا: 44، 45، 69، 70، 71، 72، 73، 83، 109، 114، 116، 117، 128، 129، 132، 133، 140، 149، 150.

البيبليوغرافيا

. المصادر الأجنبيّة:

Adem of Bremen, History of the Archbishops of Hamburg-Bremen Trans. By Francis J. Tschan, Columbia University Press, 1959.

Albert of Aachen, History of the journey to Jerusalem, Ed and Trans. By Susan B. Edgington, Oxford university press, 1ST Pub., 2007.

Anonymus, The deeds of the Hungarians, Ed. and Trans. By Martyn Rady and Làszlo Veszprémy, Central Europe university press, 2010.

Ansbert, The Crusade of Frederick Barbarossa. The history of the expedition of the Emperor Frederick and related texts, Trans. By G. A. Loud, Ashgate Pub., 2010.

Arnold of Lubeck, The Chronicle, Trans. By Granham A. Loud, Routledge Pub., 1st Pub., 2019.

Gallus Anonymos, Gesta Principum Polonorum The deed of the princes of the Poles, Trans. By Paul W. Knoll and Others, C E U Press, Central Europe University, Budapest, 1st Ed., 2003.

Geoffrey of Vinsauf, Itinerarium Peregrinorum et Gesta Regis Ricardi or Chronicle of the third crusade, Trans. By Helen J. Nicholson, Routledge, London and NewYork, 1ST Pub., 1997, P.10.

Geoffroi De Charny, A knight's own book of chivalry, Intro. By Richard W. Kaeuper Trans. By Elspeth Kennedy, University of Pennsylvania Press, 2005.

Helmold of Bosau, The Chronicle of the Slavs, Trans. By Francis Joseph Tschan, Octagon books, NewYork, 1966.

Henricus Lettus, The chronicle of Henry of Livonia, Trans. By James A. Brubdage, Columbia university press, NewYork, 2003

John of Wurzburg, Description of the holy land, Trans. By Aubrey Stewart and others, In Palestine pilgrims' text society, London, 1890.

Narrcio de primordiis ordinis Theutonici, In Indrikis Sterns, The statutes of the Teutonic knights: A study of religious chivalry, Doctoral thesis (published), University of Pennsylvaia, 1969.

Nichaus von Jeroschin, Chronicle of Prussia A History of the Teutonic knights in Prussia 1190-1331, Trans. By Mary Fischer, 2nd Pub., Edinburg Napier University, Routledge London –NewYork, 2016.

Oliver of Paderborn, Historia Damiatina, Ed By H. Hoogeweg, Die Schriften der Kolner Domscholasters, Spayeren Bischofs von Paderborn, Tubingen, 1894.

Peter of Dusburg, Chronicon Terrae Prussie, In Morton, The Teutonic knights in the holy land 1190-1290, The Boydell Press, 1ST,Pub. 2009.

Roger of Wendover, Flowers of history, Trans. By J.A.Giles, Vol.2, London, 1849.

Tabulae ordinis Theutonici, Ed. By Ernestus Strehlke, Berolini, 1869.

The Chivalric biography of Boucicaut Jean II le Meingre, Trans. By Craig Taylor and Jane H. M. Taylor, The Boydell press, 1st Pub., 2016.

The life of Otto apostle of Pomerania 1060-1139, Latin texts, Trans. Of Christian literateute By Ebo and Herbordus,, Series II, The Macmillan company, New-York, 1920.

The Livonian rhymed chronicle, Trans. By Jerry C. Smith and William L. Urban, Indiana university, Bloomigton, 1977.

The Russian primary chronicle, Trans. By Samuel Hazzard Cross and Olgerd P. Sherbowitz-Wetzor, The medieval academic of Ameriac, Cambridge Massachusetts.

William of Tyre, A history of deeds done beyond the sea Trans. By Emily Atwater Babcock and A. C. Krey, Columbia university press, 1943.

. المصادر الأجنبيّة المعرّبة:

. تتممة كتاب وليام الصّوري(1229-1261م)، تر. أسامة زكي زيد، 1989.

. رسائل يعقوب الفيتري، دراسة وثائقيّة في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب 1200-1240م، ترجمة وتعليق عبد اللطيف عبد الهادي السيّد، ط.1، 2005.

. يعقوب الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ترجمة وتعليق سعيد البيشاوي، ط.1، دار الشّروق، 1998م.

. المصادر العربيّة:

. ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تح. جمال الدّين الشّيال.

. بهاء الدّين بن شداد، النّوادر السّلطانيّة والمحاسن اليوسفيّة، تح. جمال الدّين الشيّال، ط.2، مكتبة الخانجي، 1994م.

. المراجع الأجنبيّة:

Abulafia David, Frederick II A medieval emperor, Oxford university press, 1988.

Allen Smith Katherine, War and the making of medieval monastic culture, The Boydell press, 1st Pub., 2011.

Arszynski Marian and others, The Teutonic order in Prussia and Livonia the Political and Ecclesiastical structures 13th-16th, Trans. By Hazel Pearson and others, Edited by Roman Czaja and Andrzeij Radziminski, T.N.T and B.V., Torun, 2015.

Artaud de Montor, The lives and times of the Popes, Vol.3, the Catholic publication society of America, 1911

Askenasy Simon, Dantzig and Poland, Trans. By William J. Rose, George Allen and Unwin LTD. Publishers, 1st Pub., 1921.

Backman Clifford, The World of medieval Europe, Oxford, 2003.

Baigent Michael and Others, The Holy blood and the Holy grail, Arrow books.

Barber Malcolm, The new knighthood A history of the order of the Templar, Cambridge University Press, 1994.

Baronas Darius and Others, The formation of grand duchy of Lithuania In The Lithuanian millenium history art and culture edited By Marius Irsenas, Vilinius academy of arts press, 2015.

Baronas Darius and **S.C. Rowell**, The conversion of Lithuania from pagan barbarians to late medieval Christians, Institute of Lithuanian Literature and Folklore publisher, Vilinius.

Bartlett Robert, The making of Europe conquest colonization and cultural change 950-1350, Penguin Books Pub., 1994.

Benoit Martel, La Christianisation de la Prusse par L'order Teutonique (13^{e}-14^{e} siècle), Maitrise en Histoire(Pub.), Université du Québec, Montréal, Canada, 2007.

Berman Harold J.,Urban Law I, In History of European Ideas, Vol.4, N°3, 1983.

Beskow Per, Byzantine infuence in the conversion of the Baltic region, In The cross goes north processes of conversion in northern Europe 300-1300, Ed. By Martin Carver, The university of York, York medieval press, 1st Pub., 2003.

Biographical Dictionary of Christian Theologian, Ed. By Patrick W. Carey and Joseph T. Lienhard, Greenwood press, 2000.

Blomkvist Nils, Culture clash or compromise? The medieval Europeanisation process of the Baltic region (1100-1400 AD) Problems for an international study, A papers of the XI th Visby Symposium at Gotland centre for Baltic studies, 1996.

Bojtar Endre, Forward to the past A cultural history of the Baltic people,Trans. By Szilvia Rédey, CEU Press, 1999

Brodman James William, Charity and religion in medieval Europe, The Catholic university of America press, 2009.

Brown Alex and Pluskowski Aleks, The impact of the Teutonic order on the landscape of the Eastern Baltic preliminary results of investigations on mire and lake sendiments in Latvia, In Bog and lake research in Latvia, G. E . By Maris Klavins and Laimdota Kalnina, University of Latvia, 2013.

Bruce Ware Allen, The great siege of Malta : The epic battle between the Ottoman and the knights of St. John, ForeEdge, 2015.

Brungade James A., The thirteenth century Livonian crusade Henricus Lettis and the first legatine mission of bishop William of Modena, In Jahrbucher fur geschichte Osteuropas, Vol.2, 1972.

Burleigh Bennet Michel Christopher, Prussian society and the German order An aristocratic corporation in crisis 1410-1466, Doctoral thesis (Pub.), University of London, 1982.

Busk William, Medieval Popes Emperors Kings and Crusaders or Germany Italy and Palestine 1225-1268, Vol.1, London, 1854.

Chambers James, The Devil's Horsemen the Mongol invasion of Europe, Book Club, 1979.

Christiansen Eric, The northern crusades Baltic and the Catholic frontiers 1100-1525, The Macmillan press LTD, 1980.

Conedera Zeno Sam, Eccesiastical knights the military orders in Castile 1150-1330, Fordham university press, NewYork, 2015

Crawford Paul F., Gregory VII and the idea of a military religious order, In Deed done beyond the sea essay on William of tyre cyprus and the military orders presented to Peter Edbury, Ed. By Susan B. Edgington and Helen J. Nicholson, Routledge, 2016.

Crummey Robert O., The formation of Muscovy 1304-1613, Routledge, 2013.

Dabrowski Patrice M., Poland the first thousand years, Northern Illinois university press, 2014.

Derry T. K., A history of Scandinavia Norway Sweden Denmark Finland and Iceland,University of Minneapolis, 1ST Pub., 1979.

Dollinger Philippe, The German hansa, Trans. By D. S. Ault and S. H. Steinberg, Stanford university press, Stansford, Clifornia, 1970.

Duda Michalina, Jewish Physicians in the Teutonic Order's Prussian State in the Late Middle Ages, In Fear and Loathing in the North Jews and Muslims in Medieval Scandinavia and the Baltic Region, Ed. By Cordelia Heß and Jonathan Adams, 2015.

Duda Michalina, Jewish Physicians in the Teutonic Order's Prussian State in the Late Middle Ages, In Fear and Loathing in the North Jews and Muslims in Medieval Scandinavia and the Baltic Region, Ed. By Cordelia Heß and Jonathan Adams, 2015.

Dydo Marian, The German empire and the grand master of the Teutonic order in the light of the Golden Bull of Rimini, Acta Poloniae Historica, Vol.61, 1990.

Edward Henry and Lewinski Corwin, The Political history of Poland, The polish book importing company, 1917.

Ehlers Axel, The crusade of the Teutonic knights against Lithuania reconsider, In Crusade and conversion on the Baltic frontiers 1150-1500, edited By Alan Murrey, Routledge Taylor Francis Publishers, London-NewYork, 2017.

Eidintas Alfonsas and Others, The history of Lithuania, Trans. By Skirma Kondratas and Ramunas Kondratas, 2nd Edition, Eugrimas, 2015.

Ekdahl Sven, Crusades and colonization in the Baltic: A historiographic analysis, In The expansion of Latin Europe 1000-1500, The North-Eastern frontiers of medieval Europe the expansion of Latin Christiandom in the Baltic lands, Ed. By Alan V. Murray, Vol.4, 1st Pub., Routledge, 2016.

Erdmann Carl, The origin of the idea of Crusade, Trans. By Marshall W. Baldwin, Princeton University Press,1977.

Favreau Marie Luise Lilie, The German empire and Palestine: German pilgrimages to Jerusalem between the 12th and 16th century, In Journal of Medieval history, Issue 4, Vol. 21, 1995.

Fletcher Richard, The barbarian conversion from paganism to Christianity, Marian wood book/ Henry Holt and Company, NewYork, 1998

Forey Alan J., The military orders from the twelfth to the early fourteenth, centuries General ed. By Maurice Keen, 1st pub., Macmillan Education L.T.D., 1992.

Forey Alan J. :The emergence of the military order in the twelfth century, The journal of ecclesiastical history, Vol.36, Issue 2, 1958.

France John, The Crusades and the expansion of the Catholic Christendom 1000- 1714, Rutledge, 1st Pub., 2005.

Freed John B., The Friars and the German society in the thirteenth century, The Medieval Academy of America, Cambridge-Massachusetts, 1977.

Frost Robert, The Oxford history of Poland-Lithuania The making of the Polish-Lithuanian union 1385-1569, Vol.1, Oxford university press, 1st Edition, 2015.

Gdansk and East Prussia, Polish commission of work preparation of the conference of peace, Paris, 1919.

Gimbutas Marija, The Balts Ancient People and Places, London Thames and Hudson, G.B., 1963.

Graczyk Waldemar, The political activity of Mazovian dukes between the 13th and 15th century, The person and the challenges, Vol.5, N°1, 2015.

Guiley Rosemary Ellen, The Encyclopedia of Saints, Fact on File and Inc Pub., 2001

Halecki Oscar, Borderlands of western civilization A history of East Central Europe, Ed. By Andrew L. Simon, 2nd, Library of Congress, 1980.

Hermann Christofer, Malbork Castle and Town.

Herrmann Christofer, Thorn Stadtfuhrer.

Hindldley Geoffrey, The Crusades: A history of armed pilgrimage and holy war, Constable Pub., London, 1ST, 2003

Hofbauer Martin, The Battle of Tannenberg in 1410: Strategic interests and Tactical implementation, Journal of military and strategic studies, Vol.13, Issue, 2010.

Howad Donald, Writers and pilgrims medieval pilgrimage narratives and thier posterity, University of California, Berkeley-Los Angeles, 1980

Iben Fonnesberg-Schmidt, The Popes and the Baltic Crusades 1147-1254, Brill Leiden-Boston, Netherlans, 2007.

J. Smith Damian and **Bird Jessalynn L.**, The fourth Lateran Council and the crusades, In The fourth Lateran Council and the Crusade movement the impact of the Council of 1215 on Latin Christiandom and the East, Edited By Jessalynn L. Bird and Damian J. Smith, Brepols, 2018.

Jaroslav Miller, Urban societies in East Central Europe 1500-1700, Ashgate Pub., 2008.

Jaspert Nicholas, The crusades, Trans. By Phyllis G. Jestice, Taylor Francis, 2006.

Jaworska Sylvia, The German Language in Poland: the Eternal Foe and the Wars on Words, In Language discourse and identity in Central Europe The German language in a multilingual space, Ed. By Jenny Carl and Patrick Stevenson, 1ST Pub., Palgrave Macmillan, 2009.

Jencks Alden, Macabees on the Baltic : The Bablical apologia of the Teutonic order, University of Washington, Doctoral thesis (Pub.), .1989.

Johnson N. Edgar, The German crusade on the Baltic, In A history of the crusade, Ed. By Kenneth M. Setton, Vol.3, The university of Wisconsin press, 1975.

Jonathan Phillips, The crusades 1095-1197, 1st pub., G.B., 2002,

Jonathan Riley-Smith The first crusade and the idea of crusading, first pub., Continuum publisher, 2003.

Kaeuper Richard W., Holy warriors the religious ideology of chivalry University of Pennsylvania Press, U.S.A., 2009.

Kaminsky Howard, Chiliasm and the Hussite Revolution, In Church History, Vol.26, N°1(March 1957), Pub. By Cambridge university press.

Kasekamp Andres, A history of the Baltic state Palgrave Macmillan, 1st Pub., 2010

Kiaupa Zigmas, The history of Lithuania, Trans. By S. C. Rowell and Jonathan Smith, Lithuania, 2002,

Kiaupa Zugmantas and Others, The history Lithuania before of 1795, Trans. By Irena Zujiené and Others, Lithuanian Institute of History, Vilnius, 2000.

Kitchin William, A pope – philosopher of tenth century : Sylvester II Gerbert Aurillac, In The Catholic historical review, Vol.8, N°1, 1992.

Klussis Mikkels, Linguistic principles of the recovery of old Prussian,: http://donelaitis.vdu.lt/prussian/princip.htm.

Knoll Paul W., The Most Unique Crusader State: The Teutonic Order in the Development of the Political Culture of Northeastern Europe during the Middle Ages, In The Germans and the East, Ed. By Charles Ingrao and Franz A. J. Szabo, Purdue University Press, 2008

Knoll W. Paul, Jadwiga and education, The Polish review, Vol.44, N°.4, Published by University of Illinios press.

Knoll W. **Paul**, The rise of the Polish monarchy Piast Poland in east central Europe 1320-1370, The university of Chicago, U.S.A., 1972.

Koeppen Louis Adolphus, The World of the middle ages An Historical Geography, D. Appeton and Company, 1854.

Koter Marek and **Kulesza Marius**, The plans of medieval Polish towns, In Urban morphology, N°.3, Vol.2, 1999.

Krom Mikhail, The city of Pskov in the fifteenth and early sixteenth centuries, Russian History, N°. 41, University of St. Petersburg, 2010.

Kubicki Rafal, The schools and studies of the dominicans in the prussian contrata to the begining of the sixteenth century, In medieval studies, Vol.22, 2018.

Latham Andrew A., Theorizing medieval geopolitics war and world order in the age of the crusades, Routledge, 1st Pub., U.K., 2012,

Lawless George , Augustine of Hippo and his monastic rule, Clarendon press , 1987.

Lerski George J., Historical dictionary of Poland 966-1945, Greenwood Pub., 1st Pub., 1996.

Lords and Towns in Medieval Europe: The European Historic Towns Atlas Project , Ed. By Howard B. Clark and Anngret Simms, Routledge, 2nd Ed., 2016.

Lotan Shlomo, The battle of La Forbie 1244 and it's aftermath re-examination of the Military Orders' involvement in the Latin Kingdom of Jerusalem in the mid-thirteenth century, In Ordines Militares yearbook for the study of the Military Orders, Vol.17, 2012.

Lukoševičius Viktoras, Cartographic image of Samogitia in the old maps of Lithuania, Poland and other neighboring countries(1231–1700), Geodesy and Cartography, Taylor and Francis Pub., Vol.40, Issue 1, 2014.

Luttrell Anthony, The Hospitallers' medical tradition: 1291-1530, In The military orders fighting for faith and caring for the sick, Ed. By Malcolm Barber, Routledge, 2016.

Mackay Angus and Ditchburn David, Atlas of medieval Europe, Routldge, London NewYork, 1ST Pub., 1997.

Magocsi Paul Robert, Historical Atlas of Central Europe, University of Toronto, 3rd Rev., 2018.

Markman Kristina, Between Two World: A comparative study of the representations of pagan Lithuania in the chronicle of the Teutonic order and Rus, Doctoral Thesis (Published) University of California, 2015.

Mickunaité Giedré, Making a great ruler : grand Vytautas of Lithuania, Central Europe university press, 2006.

Milliman Paul Richard:

-Disputing territoriallityand sovereinity : the place of Pomerania in social memory of the kingdom of Poland and the Teutonic Ordensstaat, Doctoral thesis (Pub.) University of Cornell,U.S.A., 2007.

-The Slippery memory of men The place of Pomerania in medieval kingdom of Poland, Brill, Leiden-Boston, 2013.

Moore W. G., The penguin Encyclopedia of places, Penguin books, 2nd edition, **1978, G.B.**

Morton Nicholas:

-The medieval military orders 1120-1314, Routledge Pub., London NewYork, 2014.

-The Teutonic knights in the holy land 1190-1290, The Boydell Press, 1ST,Pub. 2009.

Murry Alan V., The Crusades An encyclopedia, ABC-CLIO pub., 2006 .

Musiaka Lukasz, Medieval heritage of small towns in the state of the Teutonic order in the register of monuments, Department of Political Geography and Regional Studies, University of Łódź, Poland, 2015.

Musiaka Lukasz, The Teutonic order's cultural Heritage in towns of Warmia-Masuria in Poland, In Geografické informacie.

Myra Miranda Bom, Women in the military orders of the crusades, Palgrave-Macmillan Pub., 1st pub., 2012.

Myra Struckmeyer, Female hospitallers in the twelfth and thirteenth centuries, Doctoral thesis(Pub.), University of North Carolina, 2006.

Nedkvitne Arnved, The German Hansa and Bergen 1100-1600, Böhlau Verlag gmbh & Cie, 2014.

Nicholson Helen, Image of the military orders spiritual secular romantic 1128-1291, Doctoral thesis(Pub.) University of Leicester, 1989.

Nicolle David, Knights Hospitallers 1100- 1306, In Warriors, Vol.33, Ospray pub., 1st pub., 2001.

Nicolle David, Lake Peipus 1242 Battle of the ice, Osprey Military Campaign, Series: 46, 1ST Pub., G.B., 1996.

Nora Berend and others, Central Europe in High middle Ages Bohemia Hungary and Poland 900-1300, Cambridge university press, 1st Pub., 2013

Norman Davies, God's playground A history of Poland The origins to 1795, Columbia university press, NewYork, 2005.

Norman Housley, The crusade in the fifteenth century converging and competing cultures, Routledge, London and New-York, 1st Pub., 2017.

O'Connor Kevin, Culture and Customs of the Baltic States, Greenwood press, 2006.

Pàl Engel, The realm of St. Stephen A History of medieval Hungary 895-1526 , Trans. And Ed. By Tamas Pàlosfalvi, Andrew Ayton, I.B.Tauris Pub., London NewYork, 2010.

Pegatha Taylor, Moral agency in crusade and colonization: Anselm of Havelberg and the Wendish crusade of 1147, In international history review, Iss 4, Vol.22, 2000.

Per Beskow, Byzantine infuence in the conversion of the Baltic region, In The cross goes north processes of conversion in northern Europe 300-1300, Ed. By Martin Carver, The university of York, York medieval press, 1st Pub., 2003

Perlbach Max, Die statuten des deutschen ordens, Halle, 1890.

Plum Grant Harry, The Teutonic order and it's secularization A study in the Protestant revolt, University of Iowa, 1906.

Pluskowski Aleksander, The Archaeology of the Prussian crusade Holy war and colonization 1ST Pub., Routledge London –NewYork, 2013.

Polejowski Karol, Andrew de Baudement and the early years of the Templars in Champagne, In Military religious orders The Templars the rise fall and the legacy of a military religious order, Ed. By Jochen Burgtorf and others, 1ST Pub., Routledge, 2021.

Polejowski Karol, The Teutonic Order during the Fifth Crusade and their rise in Western Europe The French case study (1218– 58), In The fifth Crusade in context the crusading movement in the early thirteenth century Edited By E. J. Mylod and others, Routledge, 1st Pub., 2017.

Powell James M., Anatomy of a Crusade 1213-1221, University of Pennsylvania Press, 1986.

Pringle R. Denys Leach Peter E., A thirteenth century hall at Montfort castle in western Galilee, the antiquaries journal,Vol.,66, Issue 1, March, 1986.

Radziminski Andrzej, Christianisation the condition and course of the evangelization of the Prussians in the state of the Teutonic order in Prussia.

Ragab Ahmed, The medieval Islamic hospital mediine religion and charity, 1st Pub., Cambridge university press, 2015.

Riley-Smith Jonathan, The knights Hospitaller in the Lavent 1070-1309, 1st pub., Palgrave-Macmillan, 2012.

Rollo-Koster Joelle, Avignon and it's Papacy 1309-1417 Popes, Institutions, and society, Rowman and Littlefield, 2015.

Rowell S. C., Lithuania ascending A Pagan empire within East-Central Europe 1295-1345, Cambridge university press, 1ST Pub., 1995.

Ruegg Walter, A History of the University in Europe, Vol.1, Cambridge university press, 1ST Pub., 1992.

Runciman Steven, The pilgrimage to Palestine before 1095 In Kenneth Setton and other, A history of the crusades,Vol.1, 2ND Edition ,the University of Wisconsin press, 1969

Sălăgean Tudor, Transylvania in the Second Half of the Thirteenth Century The Rise of the Congregational System, Brill, Leiden Boston, 2016.

Salles Félix, Annales de L'order Teutonique ou Saint Mary de Jerusalem, Société Générale de Libraire Catholic et Gullaume Braumuller, Paris-Vienne, 1887.

Samerski Stefan, Cura animarum Seelsorge im Deutschordensland Preußen, Bohlau Verlag Koln Wien, 2013.

Sanford George, Historical dictionary of Poland, 2nd Ed., The Scarecrow press, Lanham Maryland Oxford, 2003

Sean Martin, The Cathars the most succesful heresy of the middle ages, 1ST Pub, 2005.

Sedlar Jean W., East Central European the middle ages 1000-1500, University of Washington Press, 1994.

Seward Desmond, The Monks of war .The military religious orders, 1ST Pub., Penguin group, 1972.

Slocombe G. E., Poland, The Nations' histories, London New-York, 1916.

Sluszka Sigmund John, Queen Jadwiga in history and legend, Doctoral **thesis(Pub.), University of Ottawa.**

Smith R. Jillian, Hanseatic cogs and Baltic trade : Interrelations between trade technology and ecology, University of Nebraska, Lincoln, Master thesis (pub.), Supervision of Peter Bleed, 2010.

Sterns Indrikis:

-The statutes of the Teutonic knights: A study of religious chivalry, Doctoral thesis(published), University of Pennsylvaia, 1969.

- The Teutonic knights in the Crusader states, In A history of the crusades by Kenneth M. Setton, Vol.5, The impact of the crusades on the Near East, Edited by Norman Zacour and Harry Hazard, the University of Wisconsin Press, 1st Pub., 1985.

Stone Daniel, The Polish-Lithuanian state 1386-1795, University of Washington press, 2001.

Strayer R. Joseph, Dictionary of middle ages, Vol.2, Charles scribner's sons, NewYork, 1983.

Striegler Stefan, Raumwahrnehmung und Orientierung im sudostlichen Ostseeraum vom 10 bis 16 jahrhundert, J.B.Metzler, 2017.

Suziedélis Saulius, Historical dictionary of Lithuania, 2nd Ed., The Scarecrow press Inc, 2011.

Taxel Itamar, From prosperity to survival : rural monastries in Palestine in the transition from Byzantine to Muslim rule(Seventh century AD), In Transition Mobility, and Change in Prehistory and Classical Antiquity, Proceedings of the graduate Archaeology organization conference on the Fourth and fifth of April 2008 at Hertford College, Oxford, U.K., Edited by Paul R. Preston and others, Lithoscapes, 2013.

The encyclopedia Britannia.

The Palestine pilgrims' text Society

Todd Malcolm, The early Germans, Blackwell, 2nd ed., 2004

Toomaspoeg Kristjan, Histoire des chevaliers Teutoniques, Flammarion, Paris, 2001.

Turnbull Stephen and **Peter Dennis**, Crusader Castles of the Teutonic knights The red-brick castles of Prussia 1230-1466, Vol.1, Osprey Pub., 1st pub., 2003.

Turnbull Stephen, Tannenberg 1410 Disaster for the Teutonic In knights, Campaign 122, Osprey Publication, 1ST Pub., 2003.

Tyerman Christopher, The invention of the crusades, Palgrave-Macmillan Pub., 1998

Urban William:

- The Prussian Crusade, 2nd Ed., Lithuanian research and studies center Inc, Chicago-Illinois, 2000.

- The Baltic crusade, 2nd Ed., Lithuanian research and studies center and Inc, Chicago-Illinios, 1994.

-The last years of the Teutonic knights Lithuania Poland and the Teutonic order, Greenhill books, 1ST Pub., 2019

- The Teutonic knights A military history, Greenhill Books Stackpole Books, London Pennsylvania.

Waldman Karl and **Mason Cathrine**, Encuclopedia of European peoples, Fact on file Pub., 2006,

Walsh Michael, Warriors of the lord the military orders of Christendom ,1st pub., William B. Ferdmands pub., U.K., 2003.

Webb Diana, Medieval European pilgrimage 700-1500, 1st pub., Palgrave Edition, 2002

Wende Peter, A history of Girmany, Palgrave Macmillan, 1ST ed., 2005.

Wood Ian, The missionary life Saints and the evangelization of Europe 400-1050, 1st Pub., G.B., 2001.

Woodhouse F.C., The military religious orders of the middle ages The Hospitallers The Templars The Teutonic knights and others,London,1879.

Zamoyski Adam, The Polish way A thousand-year history of the Poles and their culture, 1st Pub., 1987.

Zugmantas Kiaupa and Others, The history of Lithuania befor 1795, Trans By Irena Zujiné and others, Lithuanian institute of history, Vilinius, 2000.

. مقالات أجنبيّة:

Alan J. Forey, The military order of St Thomas of Acre, In The **E. H. R.**, Vol.92, N°364, 1977.

Barber Malcolm, The order of Saint Lazarus and the Crusades, In The Catholic Historical Review., Vol.80, N°3, 1994.

Favreau Marie Luise Lilie, The German empire and Palestine: German pilgrimages to Jerusalem between the 12th and 16th century, In Jurnal of Medieval History, Issue 4, Vol. 21, 1995, PP.321-341.

Leighton Gregory, Did the Teutonic order creat a sacred landscape in thirteenth century Prussia?, In Journal of medieval history, Vol.44, Iss. 4, 2018, PP.457-483.

Murray Alan V., The Saracen of the Baltic: pagan and Charistian Lithuanians in the perception of English and French crusaders to late medieval Prussia, In Journal of Baltic studies, Vol.41, Iss.4, PP.413-429.

Berman Harold J.,Urban Law I, In History of European Ideas, Vol.4, N°3, 1983, PP.275-291.

Neitmann Klaus, Zur Revindikationspolitik des Deutschen Ordens nach Tannenberg: Die Auseinandersetzungzwischen dem Deutschen Orden und Polen-Litauen um die Ratifizierung des Friedensvertragesvom Melno-See 1422/1423, In Jahrbücher für Geschichte Osteuropas, Vol. 31, 1983, PP.50-80.

Radziminski Andrzej, The contribution of the Teutonic order to the evangelization of Prussia some remarks based on Synod legislation, In Lithuanian Historical studies, Vol.11, 2006, PP.

William Urban:

-Renaissance Humanism in Prussia, In Journal of Baltic Studies, Vol.22, Iss 1, 1991.

-The organization of the Livonian frontier in the thirteenth century, In Speculum, Vol. 48, Issue 3, July 1973.

-The Wendish princes and the Drang nach dem Osten, In Journal of Baltic studies, Iss.3, Vol.9, 1978.

. المراجع الأجنبيّة المعرّبة:

. جوناثان رايلي سميث، تاريخ الحروب الصّليبيّة، ترجمة عبده قاسم عبده، ج.2، ط.1، المركز القومي للتّرجمة، القاهرة، 2009،

. ميخائيل زابزروف، الصّليبيّون في الشّرق، ترجمة إلياس شاهين، دار التّقدّم، 1986.

. يوشع براور، الاستيطان الصليبي في فلسطين مملكة بيت المقدس، تر. عبد الحافظ البنا، ط.1، عين للدارسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، 2001.

. المراجع العربيّة:

. إبراهيم خميس إبراهيم سلامة، دراسات في تاريخ الحروب الصّليبيّة جماعة الفرسان الدّاوية)، دار المعرفة الجامعيّة، 2002.

. جمال الدّين الشّيال، مجمل تاريخ دمياط، ط.1، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، 2000.

. حسن عبد الوهاب حسين، تاريخ جماعة الفرسان التيوتون في الأراضي المقدّسة حوالي 1190. 1291/586 690هـ، مكتبة الإسكندريّة، 1989م

. سعود عطية علي ، تاريخ الحروب الصليبية، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، ط.1، 2010

. سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيّوبيّون والمماليك في مصر والشّام، دار النّهضة العربيّة، 1996م

. سعيد عبد الفتّاح عاشور، الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، ج1، مكتبة الأنجلو المصريّة، ط.1.

عبد القادر أحمد اليوسف، العصور الوسطى الأوربيّة 1500476م، ط.1، المؤسّسة اللبنانيّة للكتاب الأكاديمي، 2014م.

. صلاح ضبيع، دور الألمان في الحروب الصّليبيّة في بلاد الشّام، ط.1، المكتب العربي للمعارف، 2009

. محمود سعيد عمران، الحملة الصّليبيّة الخامسة حملة جان دي برين على مصر 618615/1221218هـ، دار المعارف، 1985.

. محمّد سهيل طقوش، تاريخ الحروب الصّليبيّة حروب الفرنجة في المشرق (489. 690هـ/1291096م)، دار النّفائس، ط.1، 2011م.

. مصطفى محمّد الحنّاوي، عصر الحروب الصّليبيّة الفرسان الإسبتاريّة ودورهم في الصّراع الصّليبي الإسلامي، مكتبة الرّشد ومكتبة المهتدين، 2004.

. نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط أوغسطين أنسلم توما الأكويني، تر. حسن حبشي، ط.2، 1978، مكتبة الأنجلو المصرية.

. الرسائل الجامعيّة:

رشوان محمد السيد صديق الشريف، منظمة الفرسان التيوتون في شرق أوربا دراسة في التاريخ السياسي والعسكري(1466.1226م)، مذكرة ماجيستير(غير منشورة)، جامعة سوهاج، 2007.

كربال زكية ، العلاقات الخارجية لروسيا الموسكوفية خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، إشراف تومي رشيد، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر2، 2017/2016م.

. المقالات العربيّة:

– بن نيلي لخضر، هيئة الإسبتاريّة ونشاطها العسكريّ في الصّراع الصليبي الإسلامي بين مملكة أراجون ومسلمي الأندلس، مجلّة دراسات وأبحاث، مج.10، عدد 4، ديسمبر 2018م.

- الرويضي محمود محمد، عماد الدّين بن المشطوب وأثر حركات عصيانه على سلاطين بني أيوب وملوكهم(590619هـ/1193.1222م) المجلة الأردنيّة للتّاريخ والآثار، مج.3، العدد2، 2009م.

- اللهيبي فتحي سالم حميدي ، حصن عثليت بناؤه ودوره في الحروب الصّليبيّة، مجلّة كليّة العلوم الإسلاميّة ، المجلد 3، العدد 5، 2009م.

- نصير عبود عيدان وليث عبد الوهاب مهدي، السهم المصيب في الرّد على الخطيب للملك المعظّم عيسى بن الملك العادل سيف الدّين(ت624هـ)، في مجلة الدّراسات التربوية والعلميّة، مج.2، العدد11، 2018م، ص ص 13-17.

فهرس المحتوى

فهرس المحتوى

مقدّمة 1-10

الفصل الأوّل.

I. الأصول التاريخية للتنظيمات الرهبانية العسكرية.

1. حركة الحج المسيحي إلى بلاد الشّام.....12-13.

2. من العمل الخيري إلى فكرة تأسيس تنظيمات رهبانيّة وعسكرية.....14-21.

II. نشأة تنظيم فرسان التيوتون.

1. الحجاج الألمان في الأراضي المقدسة.....22-24.

2. الحملة الصّليبية الثالثة وظروف قيام المشفى الألماني بعكّا.....25-30.

3. نشاط الجماعة الألمانية في بلاد الشّام قبل سنة 1198م.....31-34.

III. الهيكل الإداري لتنظيم فرسان التيوتون في بلاد الشّام.

1. قوانين فرسان التيوتون وتنظيماتهم الدّاخليّة.....35-39.

2. الجهاز الإداري لهيئة فرسان التيوتون.....40-43.

IV. الدّور العسكري لتنظيم الفرسان اليتوتون في المشرق الأدنى الإسلامي.

1. الحملة الصّليبية الخامسة على مصر.....44-51.

2. معركة غزّة الثانية 1244م.....52-54.

الفصل الثّاني.

I. الأوضاع العامة في منطقة حوض البلطيق قبيل انتقال الفرسان التيوتون.

1. حركة التوسع الألماني صوب الشّرق"Drang nach Osten".....59-61.

2. الحروب الصليبية الشمالية وعلاقتها بحركة التوسع الألمانية.....62-68.

II. انتقال الفرسان اليتوتون من المشرق الأدنى الإسلامي إلى ربوع أوربا.

1. التجربة الترانسلفانية (1212-1225م). .....69-72.

2. العرض الماسوفي للتنظيم وضماناته.....73-77.

III. بروسيا وحملات فرسان التيوتون الصليبية عليها.

1. الأراضي البروسيّة قبيل غزو فرسان التيوتون. .....78-84.

2. اجتياح تنظيم فرسان اليتوتون لبروسيا.....85-91.

3. الانتفاضة البروسية (1242-1283م).....92-106.

أ – الانتفاضة البروسية الأولى(1242-1247م).....92-94.

ب – الانتفاضة البروسية الثانية(1260-1274م).....95-106.

الفصل الثّالث.

I. علاقة فرسان اليتوتون بقوى شرق نهر الأودر.

1. علاقة دولة فرسان التيوتون بدوقية ليتوانيا الكبرى قبل سنة 1386م.....111-118.

2. علاقة دولة التنظيم بمملكة بولندا.....119-120.

II. إقليم بوميرانيا محور النّزاع الألماني ـ البولندي.

1 ـ احتلال فرسان اليتوتون لإقليم بوميراليا وبداية الحرب مع بولندا.....123-131.

2 ـ تنظيم فرسان التيوتون في مواجهة التحالف البولندي ـ الليتواني.....132-141.

3 ـ معركة تاننبورغ سنة 1410م وانعكاساتها على قوى شرق نهر الأودر.....142-149.

أ- حصار قلعة مارينبورغ.....148-151.

ب – سلام ثورن الأوّل(1411م) وانعكاساته على نفوذ التّنظيم في المنطقة.....151-152.

III. مرحلة ما بعد هزيمة تاننبورغ وبداية انهيار تنظيم فرسان التيوتون.

1. حرب الثلاثة عشر سنة (1454.1466م).....159-162.

2. سلام ثورن الثّاني 1466م ونتائجه.....162-164.

الفصل الرابع.

I ـ الأثر الحضاري لتنظيم فرسان التيوتون في منطقة حوض البلطيق.

1. تنصير إقليمي بروسيا وليفونيا وبروز دولة ثيوقراطية ـ عسكرية.....168-174.

2. من القبلية المتبربرة إلى معالم المدنية.....175-185.

3. جرمنة أقاليم ما وراء نهر الأودر.....186-193.

خاتمة.

الملاحق.

الملخص: تسلط هذه الرسالة الضوء على نشاط هيئة فرسان التيوتون في فضاء حوض البلطيق، حيث تزعّم أعضاؤها وبحماس فياض حركة صليبية وراء نهر الأودر ضدّ الجيوب الوثنية الليفونية، البروسية والليتوانية التي شكلت أراضيها امتدادا طبيعيا ومجالا حيويا لمنطقة جرمانيا. وفي غضون عقود نجح تنظيم الفرسان التيوتون في تأسيس دولة مترامية الأطراف اصطلح عليها تاريخيا باسم "**Ordenstaat**" التي شكّلت تهديدا لجيرانها، ولا شك أنّ تهديد دولة التنظيم دفع بدوقية ليتوانيا الكبرى ومملكة بولندا إلى تشكيل حلف عسكري قوي أجبر هؤلاء الفرسان على المواجهة في عدّة جبهات أسفرت عن تحوّل ميزان الصّراع لصالح الحلف فكان إيذانا بوقوب غسق التنظيم ونهايته. ومن باب الإنصاف، ينبغي الاعتراف بالدّور الحضاري الملموس الذي اقترن بحركة توسّع هؤلاء، حيث نجح تنظيم التيوتون في الانتقال بالقبائل البلطية من ظلمات الجهل والفوضى والانحطاط إلى أنوار المدنيّة والتّحضّر.

الكلمات المفتاحية: فرسان التيوتون، بروسيا، ليفونيا، البلط، دوقية ليتوانيا ، معركة تاننبورغ، معاهدة ثورن.

Abstract: This dissertation aim to sheds light on the activity of the Teutonic Knights in the Baltic region, Where its members led with overflowing enthusiasm a crusade movement beyond the Oder River against the pagan enclaves of Prussians, Livonians, and Lithuanians which their lands formed a natural extension and a vital area for Germania region. And Within decades, the organization of the Teutonic Knights succeeded in establishing a sprawling state that was historically called "Ordenstaat", which posed a threat to its neighbors. There is no doubt that the threat of the organization's state prompted the Grand Duchy of Lithuania and the Kingdom of Poland to form a strong military alliance that forced these knights to confront on several fronts that resulted in a shift in the balance of the conflict in favor of the alliance, it was a sign of the imminence of the twilight of the organization and its end. In fairness, it should be recognized the tangible civilizing role that was associated with the expansion movement of these German knights in the Baltic region by as the Teutonic knights succeeded in moving the Balts from the darkness of ignorance, the chaos and decadence to the lights of civilization.

Keywords: Teutonic knights, Prussia, Livonia, The Balts, Grand duchy of Lithuania, Battle of Tannenberg, Treaty of Thorn.